

محور العدد

الشيعة والتشيع



٢٠

السنة الخامسة - العدد العشرون - شوال ١٤٣٠ هـ - سبتمبر ٢٠٠٩ م

(مرفق بالداخل فهرست أعداد المجلة لخمس سنوات)

Resalat Alqalam

- ♦ التشيع عند المستبصرين .. في حوار مع السيد د. عصام العماد
- ♦ متى نشأ التشيع
- ♦ رجال البحرين خير أهل المشرق
- ♦ الدور الفقهي للشيخ البهائي
- ♦ إثبات السنن التاريخية في القرآن الكريم

Resalat Alqalam

رسالة القمر

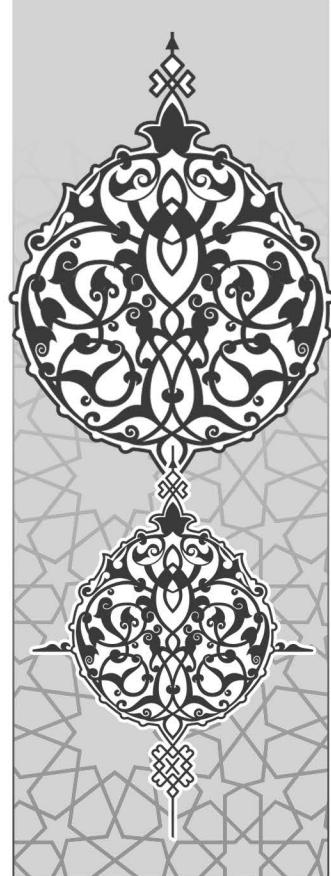
إسلامية ثقافية شاملة

فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية



■ المشرف العام والمدير المسؤول:

عبد الله علي الدقاد

■ رئيس التحرير:

علي أحمد الكريباudi

■ مدير التحرير:

عبد الرؤوف حسن الربيع

■ هيئة التحرير:

عزيز حسن سلمان

غازي عبد الحسن إبراهيم



كتابات

٢٠

(١٨٩) فهرست الأعداد

السيد مرتضى السيد مجيد السندي

(١٧١) إثبات السنن التاريخية في القرآن الكريم

علي فاضل الصددي

(١٦١) إمساك المحرم على أنفه من الرائحة المنتنة... تحريمه؟

سعید جعفر حماد

(١٣٠) الدور الفقهي للشيخ البهائي

حسین علی أبو رویس

(١١٩) نظرة في عوامل الثورتين الحسينية والمهدوية (٢)

علی أحمد الكربابادي

(٩٧) التشیع.. حقائق مطوقة بالنور

محمد علی العربی

(٧١) رجال البحرين (خير أهل المشرق)

قصی الشیخ علی العربی

(٤٠) شیعتنا

حسن عبد الله القصّاب

(٢٧) متى نشأ التشیع؟

في حوار مع سماحة السيد الدكتور عصام العماد

(٥) (التشیع عند المستبصرين)



ثقافتنا التكفير والتحرير

هناك ثقافتان مختلفتان؛ لا تجتمعان في العادة، ثقافة التكفير، وثقافة التحرير. أما ثقافة التكفير التي لا تكتف عن التشهير، فهي موظفة لدى أجهزة الطائفية، وظيفتها الوجودية التي خلقت من أجلها هي أن تثير النعرات الطائفية والمذهبية، ثم تلقي بها في ساحة السنة والشيعة، وكأن المشكلة من عندهما، والحال أنها مشكلتها هي، بل وجودها لم يكن إلا لفرض المشكلة والفتنة.

أما ثقافة التحرير فهي تعرف العدو، وتشخصه على جميع المستويات، وتدرك أن الاختلاف مهما عظم ومهما كان جوهرياً، فإنه لا يبرر الفتنة، ولا يسوغ التناحر.

هي ثقافة واضحة وصريحة وجريئة، أثبتت نزاهتها، وإيمانها، وتدينها، وعقلانيتها، وقد وقّررتها على التغيير، وتطهير البلاد الإسلامية من دنس الكفر المتمثل في الصهيونية، وقد أرجحت أتباع الصهاينة وأخذت بخاهم؛ لذلك أُجبرت هذه الثقافة (ثقافة التحرير) وجдан البشر على الاعتقاد بآيات الله ودلائله، فصار الناس - أعم من المسلمين - يأنسون بقوله تعالى: «إِنَّ تَنَصُّرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيَثْبِتُ أَقْدَامَكُمْ»، قوله: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى»، و«حَسِبْنَا اللَّهَ وَنَعَمْ الْوَكِيلُ».

هذه الثقافة أزاحت غمامه قاتمة كانت تعترض بصيرة الإنسان، وعلى مدى عقود متتمادية من الزمن، حينها ذهب الاستيحاش عن قبول الإسلام، وأصبح الباب مشرعاً للدين، كما يقول ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

وأما إذا عدنا إلى ثقافة التكفير فهي وإن كانت لهجة بالقرآن، إلا أنها كلما لهجت صدّت عن ذكر الله، فهي لا ترى إلا الكفر، والتهمة، والطرد عن الرحمة؛ لذلك فقد اصطحبـت بهذه الصيغة، وأصبحـت طاردة صادـة عن ذكر الله. فلذلك امتهنت السباب والقذف في أغراض المسلمين؛ كالشيعة الأبرار، أبناء الخفرات وجارات الذيول.

لقد أمست نغمة التكبير قديمة مملةً، فلا شأن لها إلا بتكبير أبي طالب (صلوات الله عليه)، والدعوة لقطع الرؤوس، وتكفير من يسجد لربه ممرغاً جبروته الموهوم بالتراب، كما كان يفعل رسول الله ﷺ على ما نقله جميع المسلمين في أمهات مصادرهم.

هذه الثقافة الخاوية هي الأبعد عن المواطن، وهي الأكثر خيانة للأرض، فهي لا ترى في حب الأرض انتماءً، بل ترى حب الأرض والإخلاص لتراب الوطن شركاً، أو كفراً بالله ﷺ.

نعم، إن ثقافة التحرير ليست الثقافة المغلوبة على أمرها، بل هي ثقافة الرسل والأنبياء؛ التي تدرك الأمور، وتضعها في نصابها الصحيح، ولقد أثبتت أنها الأكثر إيماناً، وإخلاصاً، ووفاءً للوطن، والأكثر تعلقاً بتراب الوطن، لا لعنوان التراب، وإنما سوف يتبرأ من ذويه، ويلقيهم من بطنه ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أُنْقَالَهَا﴾، ولكنها مع هذا تدرك أموراً يقصر عنها التكفيرون، تدرك الحياة في هذا التراب ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَكَنِّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ﴾، فترتبط بهذه التربة، وتعتصم معها بحب الهدى والتوحيد، فهناك صراطٌ واسعٌ للحياة، والمحبة، والعاطفة، والتوحيد، وغيرها من الروابط بين الإنسان، وبين الوطن والتراب، لا بمعنى الخنوع للتربة وجعله حاكماً، بل بمعنى عدم التفريط في هذه التربة أن لا يسودها ويحكمها (لا إله إلا الله) قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اتَّبِعِنِي طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعَيْنَ﴾، وقد كان الرسول ﷺ يتالم لفارق وطنه، ويقول بأنه لم يحب فراقها لو لأن طرده أهلها منها.

والمحصل أن من يريد الدعوة إلى الله فقد ميز له التاريخ السبل، ووضح الفرق بين طريق الدعوة الحسنة الآسرة للقلوب، وبين الصدّ عن ذكر الله، وإخراج الناس من دين الله أفواجاً.

رئيس التحرير

التشييع عند المستبدين

في حوار مع سماحة السيد الدكتور عصام العمامد عليه السلام

حاوره: عزيز حسن الخضران

كـ بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ، وـالـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـيـبـينـ
الـطـاهـرـينـ.

للتشييع والشيعة مكانة خاصة عند الجميع؛ لما لهم من دور كبير في شتى المجالات، ولكن اختللت أنظار الآخرين نحو التشيع، فمن مُعجبٍ بهذا المذهب وبرجالاته، ومن مبغضٍ له، وحاذد قد شوّه صورته، ومن الطبيعي حينئذ أن يدافع أصحابه عنه، وهو حقٌّ طبيعيٌّ لهم، وأبي أصحابٍ ورجالاتٍ لهذا المذهب إلا أن يستخدمو الأسلوب العلمي، والحقيقة التاريخية الناصعة في الدفاع عن مذهبهم، وهم في غنىٍّ عن الأساليب الساقطة، والتي لا يستخدمها إلا المُفلِّس، والتاريخ يثبت ذلك بوضوح.

وقد أجرينا حواراً مع رجلٍ اختار هذا المذهب الحق من بين جميع المذاهب، عندما رأى النورَ والحقَّ المبين يسطع من هذا المذهب، الذي هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو سماحة السيد عصام العمامد عليه السلام.

تعريف مقتضب بالشخصية المحاورـة:

الدكتور عصام علي يحيى العمامد، من أصل يمني، كان من المتشددين للوهابية،قرأ الفكر الشيعي، فرأى الحق فيه، فتبعد، له عدة مؤلفات، من أهمها: «رحلتي من الوهابية إلى الثانية عشرية»، و«المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين»،

وهو محاولة للتقرير بين الاثنين عشرية والوهابية.

ويكفي أن نقترب إلى شخصيته أكثر من خلال كتابه: «المنهج الجديد والصحيح في الحوار مع الوهابيين»، حيث يقول فيه: (..ومن خلال انتهائي السابق للوهابية، فقد درست عند كبار علماء الوهابية في اليمن، ثم ذهبت للدراسة في المملكة السعودية، وكنت من أشد الوهابيين تعصباً، حتى إنني كتبت كتاباً في تكفير الاثنين عشرية، سمّيته «الصلة بين الاثنين عشرية وفرق الغلاة»، وبعد أن تركت الوهابية، وانتقلت إلى الاثنين عشرية، كتبت كتاباً تحت عنوان: «حقائق المذهب الاثنين عشرى، وخصائصه، أو: رحلتي من الوهابية إلى الاثنين عشرية»^(١)).

أما الحوار الذي أجرته «رسالة القلم» مع سماحة السيد فهو كالتالي:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نَبْدأ مَعَكُمْ سَمَاحَةَ السَّيِّدِ بِهَذَا السُّؤَالِ الَّذِي يِرْتَبِطُ بِأَصْلِ التَّشِيعِ، فَإِنَّهُ قَدْ نَسَبَ التَّشِيعَ لِلْفَرْسِ، فَلِمَادِا هَذِهِ الْفَرِيَةُ؟ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذاهِبِ الْأُخْرَى مِنْهُمْ مَنْ يَنْهَا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّ الْقُولَ بِأَنَّ التَّشِيعَ عَرَبِيًّا أَوْ فَارِسِيًّا، أَوْ أَنَّ التَّسْنِينَ عَرَبِيًّا أَوْ فَارِسِيًّا، نَفْسُ هَذِهِ الْفَكْرَةِ خَطَأً؛ لَأَنَّهُ لَا يَكُنْ أَنْ نَعْطِيْ هَوْيَةَ لِدِينِ اللَّهِ، فَلَا يَكُنْ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى دِينِ سَمَاوِيَّ بُعْثَ لِأَجْلِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ آدَمَ لِهُمْ عَلَيْهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ هَوْيَةً عَرَبِيَّةً، أَوْ فَارِسِيَّةً، أَوْ انْجِلِيزِيَّةً، أَوْ هَنْدِيَّةً، أَوْ أَمْلَانِيَّةً، نَفْسُ هَذِهِ التَّفْكِيرَ خَطَأً، نَعَمْ بِالْإِمْكَانِ أَنْ نَسْتَخْدِمَ الدَّقَّةَ الْقُرْآنِيَّةَ، وَنَعْبُرُ أَنْ لِسَانَ الْإِسْلَامِ عَرَبِيًّا؛ وَهَذَا عُبَّرَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ بِأَنْ لِسَانَهُ عَرَبِيًّا مُبِينًا، فَالْقُرْآنُ عُبَّرَ عَنْ لُغَةِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ يُعَبِّرْ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَذِكَّ لَا يَكُنْ أَنْ نَجْعَلَ هَنَالِكَ هَوْيَةً مُعِينَةً لِلْإِسْلَامِ، فَالْإِسْلَامُ لَيْسَ فَارِسِيًّا، وَلَيْسَ عَرَبِيًّا، وَلَيْسَ هَنْدِيًّا، وَلَيْسَ... هَذِهِ التَّسْمِيَّةُ خَطَأً، نَعَمْ، مُمْكِنَ أَنْ تَكُونَ لُغَةُ الدِّينِ عَرَبِيَّةً، وَتَارَةً سَرِيَانِيَّةً، وَتَارَةً

عربية، هذا لا شك فيه، وهذا هو الموجود في الكتب السماوية، فلغة الأديان تختلف باختلاف اللغات، فأنا أعتقد بأنَّ تعبيرَنا عن التسنن -أو التشيع- بائمه فارسي خطأً كبيراً، نعم إذا أردنا بقولنا أنَّ التشيع فارسي، أو أنَّ التسنن فارسي، هو: أنَّ المؤسسين الأوائل له هل كانوا من الفرس، أم من العرب، فهذا موضوع آخر، ولكن هذا لا ينبغي أن يجعلنا أن نعتبر أنَّ التشيع أو التسنن فارسي.

﴿إذن ما هو الغرض من نسبة التشيع للفرس؟﴾

﴿أنا أعتقد بأنَّ البحث إذا كان يتعلق بالأوائل الذين أسلموا، هل أنهم كانوا من العرب أو من الفرس، -إن كان البحث يدخل في هذا الإطار - فهذا بحث علمي تاريخي، وليس مشكلة أن يعتمد على الاستقراء والبحث التاريخي، ونحن نجد في البحث التاريخي أنَّ أوائل المتسننين هم من العرب، وأوائل المتشييعين هم من العرب أيضاً، يعني عندما نبحث في السطور الأولى لوجود الفكر السني، فنحن نجد أنَّه يتمثل في مجموعة عاشوا قبل إسلام الفرس.﴾

﴿ولكن هناك كثير من أصحاب المذاهب هم من الفرس.﴾

﴿ولكن العبرة في الحقيقة هي بالأوائل، وردود الأفعال غير مطلوبة، فعندما تثار قضيةٌ ضد الشيعة بأنَّ التشيع فارسي، فيكون رد الفعل عندنا أنَّ التسنن هو الفارسي، هذا خطأ، لا التسنن فارسي، ولا التشيع عربي، الفرس هم مجموعةٌ من الناس، أسلموا بعد أنْ تمَّ وجود المذهب السني والمذهب الشيعي، فلا يمكن أنْ تُحمل الفرس القضية، والفرس هم انقسموا بين فريقين، مثلهم كالعرب، بين مجموعة آمنوا بالمذهب الشيعي، وهم من قدماء الفرس، مثل زرارة خليفة، وغيره من الذين عرفوا بالموالي، ومجموعة من الفرس آمنوا بالمذهب السني، لكنَّنا ندعى بأنهم أسلموا التسنن أو التشيع فهذا خطأ، لماذا؟ لأنَّنا نجد أنَّ الفرسَ أسلموا في وقتٍ كان قد تمَّ

فيه تأسيس التسنن والتشيع، نعم، هم ساهموا، وكانت لهم خدمات كبيرة في المذهب السني، كما كانت لهم خدمات كبيرة في المذهب الشيعي، فمثلاً في المذهب السني نرى الإمام مسلم قدّم خدمات للمذهب السني، ولكن هذا لا يعني أنه مؤسس للمذهب السني، والإمام الكليني - أو الصدوق - قدّما خدمات للمذهب الشيعي، ولا يعني ذلك أنهما أرسيا المذهب الشيعي، فالمفروض أن تبحث المسألة بشكل علمي، نعم، الفرس أمة عظيمة، حيث خدموا الإسلام، سواء كان الإسلام بفهم أهل البيت عليهما السلام، أو الإسلام بفهم السني، فلا نريد أن نبخسهم حقهم.

﴿إذن سماحة السيد، هل في اعتقادكم أن نشوء التشيع والتسنن كان في زمن النبي عليهما السلام؟﴾

نعم، هذا صحيح، في زمان النبي عليهما السلام كان هنالك أنسٌ يرون التعبد بالنص، والالتزام بالوصية، هؤلاء الذين التزموا بما جاء عن النبي عليهما السلام في الإمام علي عليهما السلام، وكانوا معروفين، كانوا في زمن النبي عليهما السلام يسمون بشيعة علي عليهما السلام، مثل: عمار بن ياسر، وسلمان، وأبو ذر، وكانت هنالك مجموعة أخرى من الناس لا يتزمون بالنص في الإمام علي عليهما السلام، وهؤلاء تستطيع أن تقول إنهم هم البذور الأولى للمدرستين، بذور مدرسة النص، وهؤلاء يمثلون المذهب الشيعي في أوائله، وبذور مدرسة الاجتهد في مقابل النص، وهذا نجد أنه في زمن رسول الله عليهما السلام كانت هنالك مجموعة من الصحابة يسمعون من رسول الله عليهما السلام كلاماً، ويقولون مثلاً: إنَّ الرَّجُلَ لِيَهْجُرُ^(٢)، أو: حسبنا كتاب الله^(٣)، ويرفضون قضية الوصية، ثم بعد وفاة النبي عليهما السلام تكونت المدرستان، فجاء الفرس، وقد انتهت القضية، وطُبخت، وكانت وظيفة الفرس جمع وتدوين المدرستين، فدونوا المدرسة الشيعية كما هي، ودونوا المدرسة السنية كما هي، فالبخاري - مثلاً - ماذا صنع؟! نقل مرويات

عبدالله بن عمر العربي، ومرويات أبي هريرة الدوسي اليمني العربي، ولا نستطيع أن نقول أن البخاري هو المؤسس، وكذلك نجد الإمام الكليني جمع مرويات الإمام جعفر الصادق، والإمام الباقي، والإمام علي عليهما السلام، ولا نستطيع أن نقول إنه هو المؤسس للمذهب المغافري.

وأحياناً في معالجة الشبهات تكون ردة الفعل خطأ، كثير من الأشخاص يأتي ويقول: إن أهل السنة يقولون بأن التشيع فارسي، وأنا سأثبت بأن التسنين فارسي، فقلت له: هذا خطأ، هذا بحث غير علمي، لا التسنين فارسي، ولا التشيع؛ لأنَّ الرسول عليهما السلام بُعِثَ في جزيرة العرب، فمن الطبيعي أن يكون الأوائل من المؤسسين من العرب من المدرستين، ولا سيما أنَّ الفرس تأخروا عن العرب في دخول الإسلام، نعم، لو كان النبي عليهما السلام قد بعث في منطقة فارسية فمن المؤكد أنَّ المؤسسين حينئذ سيكونون من الفرس.

✿ بالنسبة للحكومات التي تأسست، أكثرها تنتمي للمذهب السني، منذ رحيل النبي عليهما السلام، وإلى يومنا هذا، والحكومة الأكثر شهرة بين الحكومات الشيعية هي الحكومة الصفوية، فهل كانت هناك حكومات شيعية قبل الحكومة الصفوية؟ وهل كانت فعلاً تطبق المذهب المغافري؟

✿ في الحقيقة إن الفكر الشيعي -ككل- كان يحمل ثلاثة تيارات كبيرة، التيار المتسبب للمذهب الحق، وهو الذي التزم بحديث الاثني عشر الموجود في البخاري ومسلم، «لا يزال الدين قائماً باثني عشر»^(٤)، هذا تيار المذهب الشيعي الذي التزم بالنصوص الواردة عن الرسول عليهما السلام، وبالمنظومة المرسومة من الرسول عليهما السلام بشكل كامل، وهناك تيار آخر متلزم بنظرية النص، ولكنه يقول بأن الإمامة المنصوصة وقفت عند الإمام الحسين عليهما السلام، وبذلت ولاية الفقيه بعد الحسين عليهما السلام، ويشمل هذا

التيار الزيدية، فيرون أن النص فقط في الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام، ثم بعد الحسين للأعلم والأفقه، وهذا شبيه بقضية ولاية الفقيه، فعندهم لا نص بعد الحسين عليه السلام، كما وضح الشيخ المفيد في عبارة مختصرة: (إننا نقول بالنص بعد الحسين لتسعة، والزيدية يقولون بأنَّه لا نص بعد الحسين عليه السلام)، فهم يرون أن ولاية الفقيه بدأت مباشرة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، في حين أنَّ أصحاب المذهب الحق يرون أنَّ ولاية الفقيه بدأت بعد الغيبة الكبرى، والتيار الثالث المتمثل بالإسماعيلية بأقسامها، وهؤلاء يرون أن الإمامة انتقلت من الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى إسماعيل.

وعندما نريد أن نبحث عن الدول الشيعية - كما هو الآن معهود في الجامعات الإسلامية في العالم، أو عند كثيرٍ من المفكرين والمؤرخين الشيعة - فإنهم إنما يبحثون عن الدول الشيعية بالمفهوم العام، بما يشمل الطوائف الثلاث.

﴿ لا يفرقون بينهم؟ ﴾

﴿ نعم، لا يفرقون؛ باعتبار أنَّ هذه دولة قامت باسم آل البيت عليهم السلام، وباسم التشيع، ولا يبحثون عن أن هذه فرقَة إسماعيلية، أو فرقَة شيعية، أو...﴾

ولهذا نجد مثلاً أنَّ كتاب: «دول الشيعة في العالم» قد ذكر الدولة الفاطمية من دول الشيعة، ولا نريد هنا أن نطعن في نسبهم، أو في دولتهم، ولكن بلا شك أن الدولة الفاطمية كانت دولة إسماعيلية، وهي كانت تتنافس الدولة العباسية، ولكنها في الأخير - نتيجةً أنها قامت باسم أهل البيت عليهم السلام، ولم تكن تضطهد الشيعة الجعفريَّة - نجد أنَّ الشيعة الجعفريَّة تعاطفوا معها، فنجد مثلاً أنَّ الشيخ الإمام العظيم الجلسي (رحمه الله ورضوانه عليه)، يذكر كتاب: (دعائم الإسلام)، لفتني الدولة الإسماعيلية الفاطمية، ويعده من الكتب المعتبرة، كتاب دعائم الإسلام كتابٌ حديسي

مروي عن الإمام جعفر الصادق ع عليهما السلام، ولكن الشيخ الجلسي - وغيره - يعتمدون على هذا الكتاب للقاضي النعمان الإسماعيلي، مفتى الدولة الفاطمية في عصره، كذلك نجد أن كتابه: (الأخبار، في فضائل الأخيار) -فضائل أهل البيت ع عليهما السلام - طبع في قم، وبتحقيق آية الله الجلاي، فهذه الدولة صحيح أنها إسماعيلية، لكنها لما رفعت من شأن الإمام الحسين ع عليهما السلام، والسيدة الزهراء ع عليهما السلام، وأقامت كثيراً من الشعائر المعتبرة في مذهب الطائفة الحقة، مذهب العفري، نجد أن الشيعة اهتموا بتاريخها، وبإنجازاتها، وأحياناً بالدفاع عنها، ليس الدفاع عن أخطائها، بل الدفاع عنها بما نسب إليها ظلماً من بعض المتعصبين من السلفية؛ لأن الوهابية يتهمون على أيّ دولة شيعية، سواء نشأت باسم الإسماعيلية، أو باسم العفري، أو باسم الزيدية.

وهناك أيضاً الدولة الزيدية في إيران (طبرستان)، أو دول أخرى مثل البوبيهيين، الذين أسسوا دولة، وكانوا في بداية أمرهم من الزيدية، ولكن بعد حوار -حسب ماقرأنا- بينهم وبين الشيخ الصدوق عليهما السلام - الذي كان له دور في إقناع ملوك الدولة البوبيهية - فتحوّلوا في أواخر دولتهم من الزيدية إلى العفري، وهذا نجد أنه كان لهم اهتمام كبير بالشيخ المفيد، وحتى أن المأساة التي حدثت للشيخ الطوسي عليهما السلام كانت بسبب ضعف الدولة البوبيهية، هذه دول قتل الشيعة بفرقها الثلاث، ثم جاءت الدولة الصفوية، وأعلنت المذهب العفري كمذهب رسمي، ولكن إعلامها للمذهب العفري كمذهب رسمي ليس يعني أن الشيعة مثل أهل السنة، أنهم يؤيدون جميع ما صدر من قبل الملوك الصفويين، فالميزة في المذهب الشيعي أنه يرفض من يمارس الظلم من الحكم، سواء كان هذا الحكم شيعياً، أو سنياً، أو مسيحياً، ولذلك نجد أن الشيعة تعاملوا مع الدولة الصفوية ليس مثل أهل السنة، ف مجرد كون هؤلاء الحكم في الهوية شيعة لا يعني أنه يجب التغطية على أخطائهم، بل نجد أن كثيراً من علماء الشيعة ذكروا الصفوين، وذكروا ما لهم - وما عليهم - بإنصاف، فلم يقفوا مثل

موقف الوهابية الذين ظلموا الصفوين، وتناسوا ما عندهم من إيجابيات كثيرة، وكذلك لم يقفوا موقف المتعصب الذي يريد أن يقول بأن الدولة الصفوية ليس عليها شيء.

✿ في محور آخر سماحة السيد، بالنسبة إلى مميزات المذهب الثاني عشرى، ما هي مميزاته عن غيره من المذاهب؟ والتي جعلتكم تختارونه دون غيره!

✿ أنا أعتقد أن المذهب الجعفري مما يتميّز به الله دقق في أحاديث الإمامة، فنحن نجد أن قضية الإمامة هي القضية التي عبر عنها الإمام الشهيرستاني بأنه: (ما سُلّ سيف في الإسلام كما سُلّ في الإمامة)^(٥)، والإمامية يتميزون بأنّ عندهم دقة في البحث القرآني، والبحث في كتب المسلمين، سواء كانوا من السنة، أو من الزيدية، أو حتى من الإسماعيلية، فيما يتعلق بفهم الإمامة في القرآن والسنة، فلم نجد أن هنالك منظومة متكاملة تنسجم مع القرآن والسنة في معرفة الأئمة، وخصائص الأئمة، وصفات الأئمة كالجعفرية، فمثلاً حديث الاثني عشر تناقلته الأمة الإسلامية قاطبة، فورد في كتب المسلمين - سنة وشيعة -، سواء من الزيدية أو حتى من الإسماعيلية، وتواتر عند الأمة الإسلامية بأجمعها مع اختلاف فرقها، حتى في كتب الأباضية من الخوارج، وحديث الاثني عشر موجود بصفته، وبإشارات في الكتب السماوية السابقة، فهو موجود في التوراة، موجود في الإنجيل، وهذا الحديث لا يوجد له تفسير واضح عند غير الشيعة الجعفرية، فإن كل المذاهب الإسلامية - بل حتى المذاهب غير الإسلامية، من الذين شرحوا الكتب السماوية في التوراة والإنجيل - تحرّروا في فهم الاثني عشر في آخر الزمان، وهكذا الإمام البخاري، والإمام العسقلاني الذي شرح البخاري، تحرّرا في حديث الاثني عشر، وهكذا الزيدية،

تحيّروا في فهم حديث الاثني عشر، وهكذا الإسماعيلية، وهكذا الشافعية، والحنبلية، ولا تجد الجواب الشافي المدعوم بالأدلة القرآنية، والأحاديث، والنصوص المتواترة عند هؤلاء عندما تجمع صفات الاثني عشر من التوراة، ومن الإنجيل، ومن البخاري، ومسلم، ومن كتب الشيعة، ككتب الكليني وغيره، ومن كتب الزيدية، وكتب الإسماعيلية، وكل المسلمين، وكل المسيحيين، وكل الذين انشغلوا في شرح الأنجليل، أو الذين انشغلوا في شرح الكتب الستة عند أهل السنة، أو انشغلوا في شرح الكتب الثمانية عند الزيدية، أو انشغلوا في شرح كتب الحديث عند الإسماعيلية، فنجد أنهم وقعوا في مشكلة، ولم يوجد عندهم أي دليل على نقض دليل الاثني عشرية، والإنسان يستطيع أن يبحث في حديث الاثني عشر، فعندما يجمع الباحثُ هذا الحديث مع حديث التقلين، ويركب بين الأحاديث التي وردت في صفات الأئمة، يجد أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على الأئمة الاثني عشر، الذين تم تعريفهم في كتب الاثني عشرية، وهذا نجد أنَّ الفرقَ الوحيدة في العالم الإسلامي، بل في الفرق غير الإسلامية - التي استطاعت أن تضمَّ غيرها على مستوى مليوني - هي الفرقة الاثني عشرية، في حين أننا نجد أنَّ الفرق الأخرى تعجز أن تضمَّ غيرها، ويكون المذهب في التكاثر يعود فقط إلى التناسل، والتکاثر عبر التوارث في المذهب، أما المذهب الاثني عشري فتجده بالعكس، فإنه لا يتمدد فقط عبر التناسل، بل هو أكثر قدداً عبر الدخول من غيره، لماذا؟ لأنَّه عنده ما يقدمه للآخرين.

﴿ يعني حديث الاثني عشر تعتبرونه من أهم الأحاديث في إثبات المذهب؟

نعم.

﴿ في الجانب الروحي - سماحة السيد -، والعلاقة بالله، أنتم كنتم

سابقاً - وفي فترة من الفترات - على المذهب السلفي، فهل وجدتم تغييراً في هذا الجانب عندما انتقلتم للمذهب الجعفري؟

✿ للأسف الشديد، الإنسان عندما يكون على مذهب لا يلتفت إلى أخطاء هذا المذهب إلا إذا انتقل إلى غيره، فعندما كنتُ على الوهابية كنتُأشعر أنَّ عندي عرفاً، وأنَّ عندي حالة روحية، وحالة صوفية، وحالة إيمانية، لا يمكن أن توجد عند غيري، لكنْ حينما تحولتُ إلى المذهب الثاني عشرى، رأيت أنَّ الجانب الروحي في المذهب الثاني عشرى جانِبٌ قوى، وأنا رأيت حتى عند المفكر المصري عبد الرحمن بدوي السنى في كتابه دراسات إسلامية - وهو عالم سنى منصف، في آخر حياته اتجه اتجاهها إسلامياً قوياً، وكانت عنده في بداية حياته بعضُ الأفكار المنحرفة عن الدين، وكان في آخر حياته كتب كتاب دراسات إسلامية -، ففي فضل التشيع يذكر ويقول: (للأسف، نحن انشغلنا في البحث عن الجانب الثورى عند الشيعة، والثورات التي خاضوها، ونسينا الجانب الروحي عند الشيعة، مع أننى أعتقد لو لا الجانب العاطفى، والأخلاقي، والروحي عند الشيعة، لتحول الإسلام إلى مجرد معادلات كيماوية، ولجفَّ ينبوع الروح في الإسلام)، قال: (فيجب أن نعرف بأن تركيزنا على الجانب السياسى والثورى عند الشيعة جعلنا - نحن أهل السنة - غافلين عن الجانب الروحي عندهم، فماذا قدم الشيعة في الجانب الأخلاقي، والجانب الروحي؟)، فنتيجة انشغال المذهب السنى في الحكم على مدار ألف وأربعين سنة، وصراعهم على السلطة بين العباسيين، والأمويين، والعثمانيين، وانشغال علماء أهل السنة في الصراع على القضاء والسلطة، وكانت هناك حروب بين المذاهب الأربع، فيمن يكون هو قاضي القضاة في الدولة، أو من يكون شيخ الإسلام في الدولة، والمحروب التي اندلعت عندهم سبب حالات جفاف في المذاهب السنوية، وبالاخص

في المذهب السلفي، وانشغل مذهب أهل البيت عليه السلام في معالجة الجانب السياسي، والمعارضة للدول التي قامت من عثمانيين، وعباسيين، وأمويين، ومن الخلفاء الثلاثة من قبل، في جوار انشغالهم في التربية الروحية، وإكثارهم من الأدعية المتواترة عنهم، انشغالهم بالأدعية - كالصحيفة العلوية، والصحيفة السجادية - هي التي غدت الإسلام في الجانب الروحي، وإلا تحول الإسلام إلى كنالة سياسية بالمفهوم السلبي للسياسة، لا بالمفهوم القرآني للسياسة، وأنا لاحظت هذه الحالة، فأنا لاحظت أنَّ الجانب الروحي عندي بعد الاستبصار ارتفع من حيث تغذية الأدعية؛ لأنَّه للأسف أنَّ السنة -والسلفية بالذات؛ لأنَّها أكثر عداءً للشيعة - حُرمت من أدعية أهل البيت، وبالتالي انعكس هذا على حالتهم الروحية، ولذلك: لماذا أنت لا تجد سلفياً في العالم عندما يرى صوفياً -أو حتى شيعياً- يبكي إلا ويتعجب منه؟! لأنَّ الجفاف الموجود في المذهب السلفي ملموس، وأنا لاحظت هذا عندي، ووجدت الفوارق من خلال تجربة واضحة في حياتي، وشرحتها في كتابي: «رحلتي من الوهابية إلى الاشتراكية».

❖ وبالنسبة للتوحيد، والذي طالما أثّمِم الشيعة فيه بأنَّهم مشركون، كيف وجدتم الفارق بينه عندما كنتم على المذهب السلفي، وبين التوحيد الآن، وبعد انتقالكم إلى المذهب الجعفري؟

❖ أنا أعتقد أنَّ المشكلة أَنَّه كان عندنا فهمٌ ساذج في التوحيد، الفهم الصحراوي، أو الفهم البدوي، والفهم البسيط والساذج للتوحيد يصور للإنسان الساذج غير المتمعن في القرآن والسنة النبوية أنَّ التوحيد الحقيقي هو توحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنا شرحت هذه الحالة في كتابي: «نقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الداخل»، وهو مطبوع، وبَيَّنتُ أنَّ التوحيد القرآني مختلفاً

جذرياً عن التوحيد الوهابي، وأنَّ نظرةَ الشيخ محمد عبد الوهاب للتوحيد نظرٌ جداً بعيدةُ كلِّ بعد عن القرآن، وعن معرفته، ولذلك نجد أنَّ الشيخ محمد الغزالى المصرى يبين أنَّنا لا نستطيع أنْ نقدِّم توحيدَ الشيخ محمد عبد الوهاب للبشرية في هذا العصر.

﴿لماذا؟﴾

﴿لأنَّ المسلمين في العالم رفضوا هذا التوحيد، سواء الشافعية، أو الحنبلية، أو المالكية، أو الجعفرية، أو غيرهم، فإذا نحن لم نستطع أن نقنع المسلم بهذا التوحيد، فبالله عليك هل نستطيع أن نقنع البشرية به؟! فإذا كان المسلمون - وقادة المسلمين من السنة والشيعة - اعتبروا أن توحيدَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب توحيد ساذج، بل عَبَرُوا عنه بالتَّوْحِيد البعيد عن القرآن، فهل - بالله عليك - توحيد مثل هذا - لم يستطع أن يقدِّم أدلةً للمسلم السفي والشيعي -، هل يستطيع أن يقدم أدلةً لغير المسلم؟! فلذلك أعتقد أنَّ توحيدَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النَّظرة الأولى والبدوية الساذجة البسيطة للإنسان يتخيَّل له أنَّه توحيد عميق، ولكنْ إذا تعمق، ودقق، ونظر إليه نظرة دقيقة، سيجد أنَّه لا علاقة له بالعقل، ولا بالقرآن.

﴿هناك حرب شعواء ضدَّ التشيع من قبل طرفين رئيسين، الطرف الأول: هم الأنظمة الحاكمة الظالمَة، والطرف الثاني: هم بعض علماء المذاهب، ففي رأيكم ما هي أسباب هذه الحرب؟﴾

﴿أنا أعتقد أنَّ المذهب الوحدَي الذي استطاع الآن في هذا العصر أن يثبت حقانيته هو المذهب الائتني عشرى، ومن مميزات وخصائص هذا العصر أنَّ العالم تحول إلى غرفة زجاجية مكشوفة للجميع، بحيث عرضت بضائعات الجميع للكل، فعرضت جميع الأديان البشرية، وبطبيعة الحال المذاهب الإسلامية، وغير الإسلامية إلى الجميع،

فتحوَّلت المذاهب معروضة في معرض دولي زجاجي، يراها الجميع، فلم يعد من السهولة للرجل المعاصر أن ينخدع، فحين يقال له: إن الشيعي كذا. فهو يعيش في معرض يرى الجميع، وبإمكانه أن يطلع على كتب الشيعة من خلال هذا المعرض المفتوح، وحينما تم عرض المذهب الشيعي بعيداً عن الكذب، والشائعات، والمكذوبات التي أثيرت ضد المذهب عبر التاريخ، تبين للناس حقانية هذا المذهب، وبدأ الناس يدخلون في مذهب الشيعة أبداً، فأغاض هذا الأمرُ التيارات الوهابية، وبعض الأنظمة التي رأت أن كثيراً من الناس المسلمين -وغير المسلمين- يدخلون في مذهب الشيعة الاثني عشرية أبداً، وهذا هو السر في هذه الحرب، وفي هذا العصر -عصر عرض المذاهب- نجد أنَّ الآفَّ من الكتب كتبت ضد الشيعة من السلفية، وفي مقدمة كتابي: «مستقبل الشيعة الاثني عشرية» ذكرتُ أنني عرفت مستقبلَ الشيعة الاثني عشرية من مقدمات كتب الوهابية، فأحدهم يذكر ويقول في كتابه: «الحكم الإسلامي في الاثني عشرية»: (الذي دفعني أنْ أكتبَ عن الاثني عشرية أنني زرت مصر بعد خمس سنوات، فوجدت أناساً كثيّراً نحسن الظن فيهم من طالما صلينا معهم التراويح، وكثيّراً نؤمّل فيهم، قد دخلوا في الاثني عشرية)، وهكذا كل الكتب التي كتبت في العصر الحديث هي من هذا القبيل.

❖ بالنسبة لظاهرة التكفير، تكبير الشيعة، هل هي ظاهرة قديمة أم حديثة؟ وما هو الطابع العام لعلماء المسلمين من المذاهب الأخرى تجاه التشيع؟

❖ تقريراً أنا قد بحثت في هذا المجال، وللأسف الشديد إن الملاحظ الآن أنَّ هناك تصويراً خطأً قد طُرِحَ من قبل السلفية الوهابية في العالم، فقد تم مثلاً توزيع كتاب صغير تحت عنوان: (حكم علماء الإسلام في الاثني عشرية)، أنا لاحظت أنَّ

في هذا الكتاب مغالطةً، فالوهابية لأنهم بذلوا مشروع تكفير الشيعة أرادوا أن يصوروا أنَّ مشروعَ تكفير الشيعة ليس مشروعًا سلفيًّا وهابيًّا، بل هو مشروعٌ سني، وهناك مغالطة كبيرة، فالباحث الكبير فهمي هويدى يثبت بالأدلة في كتابه (إيران من الداخل) أنَّ مشروعَ تكفير الشيعة هو مشروع وهابي، وليس مشروعًا سنياً، والعالم المصري المرحوم الشيخ محمد البحري رحمه الله يذكر ويصرح أنَّه صحيح أنَّه كان هناك صراع بين السنة والشيعة، ولكن حينما وجدت الوهابية وسعت من دائرة الصراع والخلاف، فبينما كان الصراع طبيعياً بين مذهبين مختلفين، تحولَ الصراع وكأنَّه صراعٌ بين دينين مختلفين، فالوهابية في كتبهم، (حكم الإسلام في الثانية عشرية) كتاب ربيع السعدي، أو كتب ربيع المدخل، أو كتب الشيخ مال الله البحريني من البحرين، أو كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير، أو كتب الدكتور علي السالوس (مع الثانية عشرية في الأصول والفروع)، وغيرهم، نجد -للأسف- أنَّهم حاولوا القفز على المذهب السني، وتصوير أنَّ ما عندهم من بضاعة تكفير الشيعة هي بضاعة سنية، وهذا خطأ كبير.

والدليل على أنه خطأ كبير: أنَّ الإمام البغدادي في كتابه (الفرقُ بين الفرق) يذكر الثانية عشرية من فرق المسلمين، والإمام الشهيرستاني صاحب (الملل والنحل) يذكر الثانية عشرية من فرق المسلمين، والإمام أبو الحسن الأشعري إمام الأشعرية، ذكر كتابه بعنوان: (مقالات الإسلاميين)، وذكر الثانية عشرية من المسلمين، والإمام مجد الدين ابن الأثير في كتابه: (جامع الأصول)، عندما يأتي إلى حدث الرسول الأكرم عليه السلام عن أبي هريرة، قال: (يبعث الله في كل مائة عام رجلاً يجدد هذا الدين)، فيذكر بأن الشافعية قالوا بأنَّ مجدد الدين هو الشافعي، ومن الشافعية، والمالكية قالوا: مالكي، والحنفية قالوا: حنفي، فيذكر ابن الأثير -وهو من علماء القرن السادس- : بأنَّه لا يصح حصر تجديد الدين بمذهب واحد، فقال مجدد

الإسلام: هم من الشافعية، والحنبلية، والمالكية، والجعفريّة.

❖ فهذه الظاهرة إذن ظاهرة جديدة؟

❖ نعم، والسنة وإن كانوا يعتبرون الشيعة فرقة ضالة، لكن يقولون: إنها فرقة ضالة من فرق المسلمين، وهناك أصلاً مائة وثمانين درجة، وبون شاسع بين التضليل وبين التكفير، فنحن لا نعاني من مشكلة التضليل، التضليل لا يشكل خطراً، لأنّك تقول: ضلّ عن الطريق وهو في دائرة الإسلام. لكن التكفير أنْ تقول: إله خرج عن الإسلام. إذن فالتكفير هو مشروع سلفي، ولكن السلفية تحاول أن تقتني عبارة من الإمام البغدادي، أو عبارة من الإمام الأشعري، أو عبارة من الإمام فخر الدين الرازي، ثم تمارس دور التقطيع، والتحريف في كلمات أئمة أهل السنة، وتتصور أن مشروع التكفير هو مشروع سني، نعم، السنة ضللوا الشيعة، لكن كان يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: أشهد بالله أن الشيعة من أهل القبلة، وإن كنت أعتقد أنهم من أهل الضلال، ولكني لا أجوز لأحد أن يكفرهم، أو أن يخرجهم من الدين. والإمام أبو حنيفة كذلك كان يتحاور مع مؤمن الطلاق، ويجلس معه، ويجالسه، ويرؤانسه، فلو كان التكفير مشروعًا سنيا، فلماذا جلس أبو حنيفة مع مؤمن الطلاق؟!

❖ سيدنا، هناك تشويهٌ للمذهب الشيعي، ومحاولة فصل الشيعة عن أهل البيت عليهما السلام، والتصوير للرأي العام بأنَّ الشيعة هم بعيدون عن أهل البيت عليهما السلام، وأنَّ غير الشيعة من المذاهب الأخرى هم الأتباع الحقيقيون لأهل البيت عليهما السلام، بل سمعت من أحدهم في إحدى القنوات يقول بأنَّ أئمة أهل البيت عليهما السلام أصلاً كانوا من أهل السنة والجماعة، فما تعليقكم على ذلك؟

❖ أنا أعتقد أنَّ هذا يعتمد على البحث العلمي والتاريخي، فالإنسان الذي

يدعى أن الشيعة ليسوا أتباع أهل البيت، لا بد أن يقدم الدليل، والدليل لا بد أن يكون تاريخياً، فعندما تأتي وتجد آلاف الكتب كتبت باسم أهل البيت عليهم السلام، كتب الشيخ الصدوقي، كتب الإمام الكليني، كتب الشيخ المفيد، كتب ابن بابويه والشيخ الصدوقي، الشيخ الطوسي، وألاف من العلماء الذين عاشوا في القرون المتقدمة، نقلوا عن أئمة أهل البيت الكثير من الروايات، ثم تأتي وتقول هذا ليس كلام أهل البيت، لا بد أن تأتي بدليل؛ لأنَّ هذا سبب مشكلة خطيرة، الإمام أبو زهرة رض وهو من السنة المنصفين - يذكر هذا في كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية، وفي كتاب الإمام جعفر الصادق رض، يقول ويرد على هؤلاء عندما قالوا بأنَّ ما هو موجود في كتب الشيعة ليس كلام أهل البيت، فقال لهم إمام أهل السنة كلاماً عظيماً: لو قلتم ذلك لشككتم في كتب الشافعية، ولقال قائل بأن الشافعية ليسوا أتباع الشافعى، ولقال قائل بأنَّ المالكية ليسوا أتباع مالك، ولقال قائل بأنَّ الحنفية ليسوا أتباع أبي حنيفة، ولقال قائل بأنَّ الوهابية ليسوا أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب؛ لأنَّ هؤلاء نقلوا روايات أهل البيت بالأسانيد، ونحن نقلنا الروايات عن الشافعى بالأسانيد، فلو شككتنا في أسلوب النقل عندهم لشككتنا في أسلوب النقل عندنا؛ لأنَّ الطريقة واحدة)، ولذلك قال: (أنا أثق - وأنا سفي - بأنَّ سبعين في المائة مما في كتب الشيعة هو كلام أهل البيت، فالمشكلة إذن أنَّ هذا لم يقم على بحث علمي، وهؤلاء لم يطعوا على تاريخ تدوين كلام أهل البيت في كتب الشيعة، إنما عندهم فتوى فقط، وأنَّ ما نقله الشيعة ليس كلام أهل البيت، فنقول: إله هل عندكم دليل على هذه الفتوى؟!

❖ وكيف بالنسبة للجانب العقائدي؟

❖ حتى في الجانب العقائدي؛ لأنَّ الجانب العقائدي مبنيٌ على الروايات، ففي

الأخير: الروايات والأحاديث هي البنية التحتية لمذهب أهل البيت عليهما السلام، فالشيخ الصدوق عندما ألقى: (الاعتقادات)، والشيخ المفيد عندما كتب: (تصحيح الاعتقادات)، أو كتاب: (العقائد) للشيخ الطوسي، هذا كله مبني على استقراء لما جاء عن أهل البيت في المسائل العقائدية، فهي كلها ترجع للروايات، فالوهابية الآن يريدون أن يضربوا البنية التحتية، فيقولون: (نهج البلاغة ليس كلام الإمام علي عليهما السلام). مثلاً! ويقولون: (الصحيفة السجادية ليست للإمام زين العابدين!). كتاب التوحيد الذي نقله الصدوق عن أهل البيت ليس كلامهم)! فإذا شكوا في الروايات وبالتالي يكون من السهولة التشكيك في العقيدة؛ لأن علماء العقائد استخرجوا هذه الروايات من خلال فهم هذه الروايات، ولكن أنا أقول إن مشكلة الوهابية أنهم لم يطّلعوا على تاريخ تدوين الحديث عند الشيعة.

﴿ هذه المقوله ليست خاصة بالوهابية، حتى بعض أهل السنة يقولون

بأن أهل البيت عليهما السلام ليسوا مخالفين لهم في مذهبهم! ﴾

﴿ لأنهم لا يقرأون، أنا رأيت كتاب: (تاريخ التشريع) لأحد أهل السنة، (تاريخ التشريع الإسلامي)، (تاريخ تدوين الحديث)، للأسف إنهم لا يدرسون تاريخ تدوين الحديث عند الشيعة، وهذه هي المشكلة الكبرى، المشكلة عند أهل السنة أنهم لا يدرسون! الآن مثلما يدرسون بالدقة والبحث كيف دون الإمام البخاري كتابه، ويدرسون سنوات تاريخ تدوين الكتب الستة، أنا أقول: أنتم عندما تريدون أن تحكموا أن الشيعة ليسوا أتباع أهل البيت، لا بد أن تدرسوها تاريخ تدوين الكتب الأربع، وتعرفوا تاريخ الأصول الأربع، وكيف وصلت إلى الذين دونوها، ثم كيف وصلت إلى المدونات الأربع، ثم كيف نقل الشيعة الأصول الأربع من كتاب الإمام علي عليهما السلام، ثم كيف وصل كتاب الإمام علي عليهما السلام، ثم تدرس تاريخ

التدوين؛ حتى تصل إلى نتيجة، أما أثرك تحكم من دون دليل فلا، ولا يوجد الآن - للأسف - في مادة تاريخ التشريع والتدوين عند أهل السنة تاريخ تدوين مذهب أهل البيت عليهما السلام.

✿ بالنسبة إلى نشر التشيع، الآن هناك من يشبه نشر التشيع بنشر المسيحية، فهل يعتبر نشر التشيع جريمة إذا كان أصحاب المذهب يعتقدون بحقانية مذهبهم، وينشرونه بالأدلة العلمية والتاريخية؟!

✿ والله أعتقد الآن في هذا العصر، أنه عصر لم يعد بحاجة هذه المقوله، الآن الإنسان بطبيعته يبحث، يعني الآن نجد أن الذين استبصروا - كمثال - لم يستبصروا لأنه جاء إليهم الشيعي وخبرهم بالمذهب، الآن أصبح الإنسان هو يبحث بنفسه، القنوات موجودة، والإنتernet موجود، والإمكانات موجودة، أعتقد أنه أصبحت الآن قضية التبليغ قضية أوتوماتيكية طبيعية، فلم تعد هناك أسباب وموانع تمنع الإنسان من أن يطلع على فكر الآخرين.

✿ بالنسبة لطرح المسائل الخلافية، وهو موضوع حساس، فهل طرح مثل هذه المسائل ضرورية في المناظرات العقائدية أو لا؟

✿ أنا أعتقد أن طرح المسائل الخلافية إذا طرحت بحسب الضوابط القرآنية وضوابط الأحاديث النبوية، والالتزام بالموعظة الحسنة، والالتزام بالقاعدة القرآنية، «ادفع بالتي هي أحسن»^(١)، الالتزام بالأخلاق القرآنية، والموعظة الحسنة القائمة على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فالمشكلة ليست أن تعرض المسائل الخلافية، المشكلة هي في كيفية عرض هذه المسائل، فإذا طرحت المسائل الخلافية بطريقة ليس فيها أي تعصب، وملتزمة بالقواعد القرآنية، فلا يوجد مشكلة،

ال المشكلة أنَّ هنالك نُطِّاً معيناً من طرح المسائل المذهبية الموجودة عند إخواننا من السلفية، هذا هو الطريق الخطأ، وهو الذي يقوم على أسلوب التكفير، والتهميش، والتضليل، واستخدام العبارات غير الجيدة، وبعيدة عن الطريق القرآني، هذه المشكلة، بل بالعكس، إنَّ طرح المسائل الخلافية يسبب في تقريب المسلمين؛ لأنَّه حينما أعرف فقط القضايا المشتركة بيني وبينك، ولا أطلع على قضايا الخلاف بيني وبينك، فإنه إذا التقينا فسوف تكون معركة كبيرة، لكن إذا كنتُ أنا أعرف ما عندك في قضايا تختلف فيها، وأنت تعرف ما عندي من قضايا أخالفك فيها، ثم ندرس هذه المسائل بأسلوب علمي قرآنٍ منطقي، فأعتقد بأنَّ هذا سيقلل من الصراع.

❖ من أراد التخصص في مجال المناظرات العقائدية، فما هي أهم الأمور التي يحتاج إليها؟ وما هي الكتب التي يجب قراءتها، والتي هي مفيدة في هذا المجال؟

❖ لا بد للمتخصص أنْ يوجد عنده إمامٌ ودراسةٌ علمية حوزوية، هذا مهم جدًا، أن يدرس أصول الفقه، يدرس علوم اللغة العربية، يكون عنده إمام بعلوم القرآن، وعلوم الحديث، تاريخ علم الحديث، إمام بالتفسير، ولو لم يكن على سبيل الاجتهاد، بل على سبيل المعرفة الإجمالية، ويكون على دراسة كاملة بكتب علم الكلام، علم العقيدة، وتاريخ العقيدة، ودراسة التاريخ الإسلامي، وكتب الحديث عند الفريقين، وكتب التفسير عند الفريقين، ولا بد أنْ يطّلع على مجموعة من الكتب كما ذكرتم، مثلاً، لا بد أنْ يقرأ مثل كتاب المرحوم صاحب العقبات السيد النجوي الهندي، الذي الآن طبع بشكل ملخص، طبعه العلامة الميلاني تحت عنوان: (نفحات الأزهار في تلخيص عقبات الأنوار)، يقرأ مثل كتاب: (إحقاق الحق) للإمام

المرحوم المرعشي النجفي، يقرأ كتاب: (المراجعات)، يقرأ مثل كتاب: (الغدير) للإمام الأميني، يقرأ مثل كتاب: (ليالي بيشاور)، يقرأ كتب الموارد العقائدية الموجودة، يقرأ حوارات ومناظرات الأئمة عليهما السلام، يقرأ كتاب الاحتجاج للإمام الطبرسي، ويكثر من قراءة كتب الموارد بين علماء الإسلام من القديم والحديث، ولا بد أن يقرأ كتب آداب المعاشرة، وآداب الحوار، يقرأ مثلًا كتاب: (الحوار في القرآن)، (أسلوب الحوار في القرآن)، أن يقرأ مناظرات الإمام الرضا عليهما السلام، مناظرات الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، ومناظرات الإمام علي عليهما السلام، وغيرهم.

❖ بالنسبة لكتب الأطراف الأخرى من المذاهب الإسلامية، هل هناك ضرورة في قرائتها ومعرفتها؟

❖ نعم، يحتاج أن يقرأها، ولكن لا أريد أن يبدأ من صحراء، نحن يجب أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون، وهذا أنا ذكرت هذه الكتب، فيبدأ بهذه الكتب، ثم إذا أراد أن يتعمق أكثر يقرأ كتب الخلاف والعقائد، يقرأ كتاب: (العقيدة الطحاوية)، فهو مفيد جداً، كتاب: (كشف الشبهات) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، يقرأ كتاب: (العقيدة الواسطية)، يقرأ كتاب: (منهاج السنة) لابن تيمية، مع كتاب: (منهاج الكرامة)، مع الردود على منهاج السنة، يقرأ كتاب: (دلائل الصدق)، وهو أيضاً مفيد جداً، للمرحوم آية الله الشيخ حسين المظفر، أخو الشيخ محمد رضا المظفر، ويقرأ الكثير من الكتب، ولكن أنا أقول: إنه لا بد أن يقرأ الكتب التي كتبت في هذا المجال، ثم إذا أراد أن يتخصص يرجع مباشرة إلى كتب أهل السنة والسلفية.

❖ كانت لكم تجربة واسعة في المناظرات العقائدية، كيف تقيمون هذه

التجربة؟

❖ والله أنا كتبت في هذا المجال بشكل مفصل في كتاب: (المنهج الصحيح في الحوار مع الوهابيين)، وأرى أنه لا بد أن يكون هنالك تخصص، مثلاً من يريد أن يناظر الوهابية، لا بد أن يتخصص في الوهابيين، من يريد أن يناظر الصوفية، لا بد أن يقرأ كتب الصوفية، من يريد أن يناظر الشافعية، لا بد أن يلم بكتب الشافعية، ولا بد من التخصص في الحالات حتى تكون المناظرة أقوى، الآن -مثلاً- من يريد أن يناظر المسيحية، لا يمكنه ذلك إلا أن يكون قد درس كتب المسيحية، واطلع عليها، وشرح التجربة كاملة في كتابي: (المنهج الصحيح).

❖ خاتماً، لطيفة من اللطائف التي حدثت لكم أثناء المناظرات، أو موقف رَكَزَ في ذهنكم؟

❖ عندما كنت في مناظرة مع الشيخ عثمان الخميس، أردت منه أن يجيب: مَنْ هم الثقلان في صحيح مسلم؟ انظر، المشكلة هو كان يبتعد، لماذا؟ لأنَّ الشيخ عثمان الخميس لو سأله: من الثقلان؟ سيقول: (كتاب الله وسنني)، لكن أنا سأله: من الثقلان في صحيح مسلم؟ في صحيح مسلم الثقلان هما: (كتاب الله وأهل بيتي)، فظلَّ أكثر من ساعة تقريباً وهو يتهرب، كان يقول: كتاب الله وسنني. قلت له: في صحيح مسلم، لا أريد أن تقول من هم الثقلان في غير صحيح مسلم. قال: إذا أردت من هم الثقلان في صحيح مسلم فهم: (كتاب الله وأهل بيتي)، لكن أنا كلامي في غير مسلم، فهما (كتاب الله وسنني). قلت له: أنا لا يهمني ذلك، أنا يهمني أصح كتاب بعد كتاب

الله، أما ما عداه فليس أصح كتاب بعد كتاب الله عند أهل السنة، فهو بعد ذلك قال بغضب شديد: أقوها بصراحة، الثقلان هما: (كتاب الله وأهل بيتي)، لكن قالها بعد ساعة من التهرب! وجزاكم الله ألف خير.

المواهش:

- (١) المنهج الجديد وال الصحيح في الحوار مع الوهابيين، ص ١٠.
- (٢) البخاري، ج ٤، ص ٣١.
- (٣) البخاري، ج ١، ص ٣٧، ج ٥، ص ١٣٨.
- (٤) في صحيح مسلم، ج ٦، ص ٤: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»، وفي البخاري، ج ٨، ص ١٢٧، عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش».
- (٥) الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤.
- (٦) المؤمنون: ٩٦

متى نشأ التشيع؟!

حسن عبد الله القصّاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةَ وَأَتْمَّ التَّسْلِيمَ عَلَى خَيْرِ الْخَلَائِقِ
أَجْمَعِينَ، مُحَمَّدٌ وَآلُهُ الطَّيِّبَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ، وَاللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ الْمُؤْبَدَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ،
مِنَ الْآنِ حَتَّىٰ قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

مقدمة البحث:

لقد أثيرتْ حول المذهب الشيعي الإمامي عدّة شبّهات، وفي شئّي الجواب، تبدأ في نشأته، واستمرارّيّته، وأصول معتقداته، وفقهه، وبعد غياب الإمام الثاني عشر عليه السلام بذات الشبهات تطال الفقهاء، ونواب الإمام الحجة عليه السلام، وكان من جملة ما أثاره بعض علماء أهل السنة مسألة الزمن الذي نشأ فيه الشيعة، مما حدا بهم إلى إلصاق التهم والتشنیعات المختلفة، والواقعية في هذا المذهب المضطهد.

و قبل الشروع في تحديد زمن نشوء التشيع لا بد أن نتعرّض ببدايةً إلى معنى التشيع، وما هي الفترة الزمنية التي تم نشوء التشيع فيها؟ وعلى يد من كانت أول بذرة لهذا المذهب؟ ونتعرّض من قريب وبعيد إلى أهم الأقوال في هذه المسألة، مع وقفة لكل قولٍ من هذه الأقوال، وإيضاح الحقّ من الباطل منها.

المحور الأول: ما هو معنى التشيع؟

التشيع لغةً كلمة ترجع إلى مادة: (شيع)، ويقول الطريحي - صاحب مجمع البحرين - فيها: (... والشيعة: الفرقـة، إذا اختلفوا في مذهب وطريقة). ويقول أيضاً:

(الشيعة: الأتباع، والأعون، والأنصار، مأخذ من الشیاع... ثم صارت الشيعة جماعة مخصوصة، والجمع: شیع...).

وأما التشیع اصطلاحاً فهو: الاعتقاد بآراء وأفكار معینة. وقد غالب هذا الاسم على أتباع علي علیه السلام، حتى اختص بهم، وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم.

ويقول في ذلك الشهريستاني في (الملل والنحل) ما يلي: (الشيعة هم الذين شایعوا عليه، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً، ووصایة، إما جلیاً، وإما خفیاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإنْ خرجت فظلمٌ يكون من غيره، أو بتقییة من عنده). وأضاف بعض علماء أهل السنة بعض المعتقدات الخاصة بالشیعه، من قبيل عصمة الأئمة من الكبائر والصغرى، والقول بالتولی والتبرّی قولًا، وفعلاً، إلا في حال التقییة، إذا خافوا بطش ظالم.

وأضاف الشهید الثانی قیسی في كتابه: (شرح اللمعة): (تقديم أمیر المؤمنین على غيره في الإمامة، وإن لم يوافق على إمامية باقي الأئمة، فيدخل فيهم الإمامية، والجاردية من الزیدية، والإسماعیلیة غير الملاحدة منهم، والواقفیة، والقطحیة).

أيًّا أنَّ دائرة التشیع أوسع من كونه شیعیاً إمامیاً، أو زیدیاً، أو إسماعیلیاً، أو غيرهم، فكلهم شیعه، ومنت�ون إلى أمیر المؤمنین علیه السلام، إلا أنهم يختلفون في بعض المعتقدات، ولا يؤمنون ببقىَّة أئمة الشیعه الإمامية الاثني عشرية.

إضافة: فيما استعمله القرآن الكريم بلغة شیعه ومشتقاتها:

ورد لفظ (شیعه) في القرآن الكريم مرة واحدة، ولفظ (شیعته) ثلاث مرات، ولفظ (شیع) - جمع شیعه - خمس مرات، ولفظ (أشیاعکم) مرة واحدة، ولفظ

(بأشياعهم) مرة واحدة، فيكون القرآن قد استعمل كلمة شيعة واشتقاقتها المذكورة إحدى عشرة مرة، ومن خلال هذه الاستعمالات أبرز العناصر الأساسية لمعنى الكلمة لغة واصطلاحاً، وجاءت استعمالات القرآن الكريم لها بالمعنى الذي أراد تأكيداً على استقراره، وعلى الوحدة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

نذكر جملة من الآيات التي تناولت الكلمة (شيعة) في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿نُمَّ لَنْزِعَنَّ مِنْ كُلٌّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًا﴾^(١).

قال تعالى في قصّة نبي الله موسى عليه السلام: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ...﴾^(٢)، وهي تتحدث عن النبي موسى عليه السلام حينما رأى المشاجرة بين الرجلين، كان أحدهم من بني إسرائيل، وهو الذي عبرت عنه الآية (من شيعته)، والآخر من أتباع فرعون.

ونلاحظ بأن الآية عبرت: ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾، أي: من شيعة موسى عليه السلام، فلماذا هذا التعبير؟! لعله إشارة إلى أن المجتمع المصري آنذاك كان منقسمًا إلى مجموعة كبيرة من الفرق والجماعات، والشاهد على هذا الأمر ما أشار إليه القرآن عن فرعون: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَةً﴾، فاستعمل القرآن الكريم الكلمة: (شيعته)؛ للتعبير عن حال بني إسرائيل في مصر، فقد كانوا شيعة، أو فرقة متميزة عن الفرق الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٣)، ومن معاني هذه الآية المباركة أنَّ نوحًا عليه السلام كان يقود فرقَةً، أو جماعةً، وكانت هذه الجماعة متميزةً بتفكيرها، وقيادتها، وأمرها، ورأيها عن غيرها من فرق المجتمع الذي عاشه نوح عليه السلام وجماعته، وأنَّ نبيَ الله إبراهيم عليه السلام وآمن بفكر هذه الجماعة المؤمنة ورأيها، وسار في خطها، مما

جعله امتداداً لنبيّ اللهِ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن خلال هذه الآيات وغيرها، نستفيد أن لفظة (شيعة) ومشتقاتها جاءت بمعنى الحزب، أو الجماعة الواحدة، التي تتفق فيما بينها في الأفكار والآراء.

وبعد هذا العرض الموجز عمّا ورد في توضيح معنى كلمة (شيعة)، ننتقل لنطرح تساؤلاً آخر، وهو محظوظ البحث، متى نشأ التشيع؟ ولكي نحدد الزمن الذي نشأت فيه هذه الفرقة والجماعة لا بد من الرجوع إلى التاريخ الإسلامي، وإلى أقوال أهل العلم في التاريخ، لكي نقتصر منهم - ومن بين كلماتهم - زمن نشوء التشيع.

المحور الثاني: تحديد زمن نشوء التشيع:

اختلت وجهات نظر علماء السنة والمستشرقين في تحديد زمن نشوء التشيع والشيعة، وتعددت الآراء إلى أقوال كثيرة، أهمّها خمسة أقوال، وهي:

القول الأول: إنَّ ظهور التشيع كان بعد واقعة الطف، حيث يعتقد أتباع هذا الرأي أنَّ بوادر التشيع كانت موجودة قبل واقعة الطف، ولكنها لم تصل إلى حد تكوين مذهب متميّز له طابعه وخواصه، وإنما حدث ذلك بعد واقعة الطف، وكان سبب نشوئه ردّ الفعل من مقتل الإمام الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأهل بيته، وأصحابه، مما أثار سخطاً علىبني أمية، ورفضا لحكومتها، ومنها خرجوا للطلب بشار الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي حملة التوابين التي قادها المختار بن يوسف الثقفي، وهو قول أكثر المستشرقين، وأغلب المحدثين من الكتاب.

القول الثاني: أنَّ التشيع ظهر في زمن حكومة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وخلافته، حيث إنَّ الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تسلَّم الخلافة والإمامية، وبها صار إماماً

على المسلمين، ومن هنا نشأ التشيع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهو رأي النوجختي في كتابه: (فرق الشيعة)، وابن النديم في (الفهرست).

القول الثالث: وهو يذهب إلى أنَّ التشيع نشأ أيام عثمان بن عفَّان، ومن آرائهم أنَّ مؤسِّس الشيعة هو عبد الله بن سبأ اليهودي، حينما تولَّ عثمان خلافة المسلمين، وجاء ببني أبيه في السلطة آنذاك، وأبعَد الصحابة المؤمنين، ولم يولُّهم شيئاً من أمور المسلمين، بل اعتمد على بني أمية في أمور المسلمين، وغيرها من الأمور التي أحدثها عثمان في حكومته، مما سبَّب ردةً فعل من قبل كبار الصحابة على عثمان، وحاصروه لمدة أربعين يوماً في داره، ومنعوا عنه الماء، وغيرها من الأحداث التي جرت، وهي مدونة في أمهات كتب التاريخ، ويزعم أصحاب هذا القول بأنَّ إشارة المسلمين والصحابة على عثمان كان بتخطيط من عبد الله بن سبأ، وبتحريض منه، وهو -أي عبد الله بن سبأ- كان يدعو إلى خلع عثمان، وتولية الإمام علي بن أبي طالب بدلاً عنه، ومن القائلين بهذا الرأي ابن حزم، وجاءة آخرون، إن شاء الله نوفق في أبحاث لاحقة أنْ نبيِّن قضيَّة عبد الله بن سبأ، وقصة تأسيسه للشيعة!

القول الرابع: وهو يذهب إلى أنَّ التشيع نشأ بعد وفاة النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه، عندما اختلف المسلمون في الخليفة، وانقسمت الأمة الإسلامية إلى فريقين، شيعة، وسنة.

وإليك بعض كلمات علماء أهل السنة حول هذا الرأي:

* ابن خلدون في تاريخه: (إنَّ الشيعة ظهرتُ لما توفي الرسول، وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر، وأنَّ الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش، ولما كان جماعة من الصحابة يتشيَّعون لعليٍّ، ويرون استحقاقه على غيره، ولما أُعدل به إلى سواه تأفَّفوا من ذلك)^(٤).

* اليعقوبي في تاريخه: (ويُعد جماعة من المتخلفين عن بيعة أبي بكر هم النساء الأولى للتشييع، ومن أشهرهم سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، والعباس بن عبد المطلب)^(٥).

* الدكتور أحمد أمين: (وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي أنَّ أهلَ بيته أولى الناس بأنْ يخلفوه)^(٦).

القول الخامس: وهو يقول بأنَّ الشيعة كانت من زمن النبي الأكرم عليهما السلام، وهو من بذرة بذرة التشبيع.

الرأي الصحيح:

ولكن الرأي الصحيح من هذه الآراء هو: أنَّ التشيع نشأ من زمن النبي الأكرم عليهما السلام، والنبي الأكرم عليهما السلام هو من أسسَ لهذا المنهج، ولا بد من إقامة الدليل على هذه الدعوى، كما أن أصحاب الأقوال الأربع لا بد أنْ يقدموا الدليل على دعواهم هذه.

ومن المهم الالتفات إلى أمرٍ مهم في مناقشة الأقوال السابقة، وهو أنَّ هناك فرقاً بين انتشار التشيع وتأصيل معتقدات الشيعة، وبين أصل نشوء الشيعة، ففي بعض الأقوال تذكر بأنَّ زمن نشوء الشيعة كان في زمن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ولم تذكر هذا القول في ضمن الأقوال الخمسة، ولكن الصحيح أنَّ معتقدات المذهب الشيعي قد تأصلت بشكلٍ أوضح وتوسعت دائرة العقيدة عندهم في هذا الزمن، وهذا لا ينفي وجودهم في مرتبة متقدمة على زمن الإمام الصادق عليهما السلام.

المحور الثالث: الدليل على الرأي الصحيح:

من يرجع إلى النص القرآني وتفاسير المسلمين، يجد أن مصطلح الشيعة -ولفظة الشيعة- قد استعملها النبي الأكرم ﷺ في عدة مواطن، وهذا ما ينصّص عليه جملة من علماء المسلمين.

نماذج من النصوص:

جمل هذه النصوص جاءت في تفسير وسبب نزول الآية المباركة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٧).

١- ابن عساكر في تاريخه: عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيمة، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾»^(٨).

٢- ابن حجر في (الصواعق المحرقة): عن ابن عباس قال: لما أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين»^(٩).

٣- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة): عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «علي وشيعته هم الفائزون يوم القيمة»^(١٠).

٤- الشبلنجي في (نور الأ بصار): عن ابن عباس قال: لما نزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «أنت

وشييعتك، تأتي يوم القيمة أنت وهم راضين مرضين، ويأتي أعداؤك غضابا
مسمحين»^(١١).

٥- الحاكم الحسکاني في (شوادر التنزيل): أخرج بالإسناد إلى علي عليه السلام، قال:
«قال رسول الله عليه وآله : يا علي، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾؟! هم شيعتك، وموعدك وموعدك الحوض،
يُدعون غرّاً محجلين»^(١٢).

٦- الكنجي الشافعي في (كتاب الطالب): عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند
النبي عليه وآله، فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال النبي عليه وآله : «قد أتاكم أخي، ثم
التفت إلى الكعبة، فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشييعته هم
الفائزون يوم القيمة، ثم إن أولكم إيمانا، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله،
وأعدل لكم في الرعية، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية، قال: ونزلت: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾»^(١٣).

٧- الخوارزمي في كتاب (المناقب): عن جابر، قال: كنا عند النبي عليه وآله، وأقبل
علي عليه السلام، فقال رسول الله عليه وآله : «قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة، فضربها
بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن هذا وشييعته هم الفائزون يوم القيمة، ثم قال:
إن أولكم إيمانا معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدل لكم في الرعية،
وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزية، قال: ونزلت فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾، قال: فكان أصحاب رسول الله عليه وآله إذا
أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء خير البرية»^(١٤).

٨- الطبرى في تفسيره: عن محمد بن علي، قال: «لما نزلت الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ

أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ، فقال رسول الله ﷺ: أنت يا علي وشيعتك»^(١٥).

٩- السيوطي في الدر المنثور: عن علي، قال: «قال رسول الله ﷺ لي: ألم تسمع قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾؟! أنت وشيعتك، وموعدكم المو尸، إذا جاءت الأمم للحساب، تُدعون غرا مجلين».

ونقل السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لَمَّا نزلتْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَمْنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾، قال رسول الله ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك يوم القيمة، راضين مرضيدين». وأيضاً نقل السيوطي عمّا أخرجه ابن عدي، وابن عساكر، عن أبي سعيد مرفوعاً: «عليٌّ خيرُ البرية»^(١٦).

وقفة مع ابن حجر الهيثمي المكي:

ذكر ابنُ حجر في صواعقه جملة من الأحاديث التي تشيرُ إلى أفضلية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك الروايات الواردة في فضل شيعته وأتباعه، ولكنه لم يرق له أن يتراكها من دون تعليق، فأورد على هذه الروايات جملة من التعليق؛ حتّى ينتصر لمذهبة.

قال ابنُ حجر في الصواعق المحرقة: عن ابن عباس قال: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَمْنُوا...﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ لعلي: «هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيمة راضين مرضيدين، ويأتي عدوكَ غضاباً مقمدين، قال: ومن عدوّي؟ قال ﷺ: من تبرأ منك، ولعنك».

فأضاف قائلاً: (ولا تتوهم الرافضة والشيعة (قبحهم الله) من هذه الروايات أنّهم محبّوا أهل البيت؛ لأنّهم أفرطوا في محبتهم، حتّى جرّهم ذلك إلى تكفير الصحابة، وتضليل الأمة، وقد قال علي: يهلك في مفرط، يقرظني بما ليس في...).

وبعد ذلك يقول: (وشييعته أهل السنة؛ لأنّهم أحبوهم كما أمر الله (و) أمرنا رسوله، وأمّا غيرهم فأعداؤه في الحقيقة...). وأيضاً يضيف: (وأعداؤهم -أي أعداء أهل البيت- الخوارج، ونحوهم من أهل الشام، لا معاوية ونحوه من الصحابة؛ لأنّهم متاؤّلون، فلهم أجرٌ، وله وشييعته أجران، رضي الله عنهم).

ماذا أقول لمن تلبّس بزي العلم والفهمة، إن قوله هذا يُضحك التكلى، ويكتفي في إبطال ما يزعمه أنه خالف للوجدان، ولمن نظر بعيين للتاريخ الإسلامي، لا بعين واحدة كالأحول، فيرى ما يوافق مذهبـهـ، ويتركـ ما يخالفـهـ!

وقد يرد تساؤلـ من القارئ العزيـزـ، إذا علـمنـاـ مـقـىـ نـشـأـ التـشـيـعـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ، فـمـقـىـ نـشـأـ مـذـهـبـ أـهـلـ السـنـةـ؟ـ

الجواب:

إذا أردنا أن نتكلّم عن نشوء نفس مصطلح: (أهل السنة والجماعة) فإن بعض المؤرخين يذكرون أنه في زمن معاوية بن أبي سفيان، أطلقـ هذا المصطلحـ.

والمرادـ منـ السـنـةـ هيـ: سـنـةـ مـعاـوـيـةـ، التيـ سـنـهـاـ فيـ لـعـنـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ، والمـرادـ منـ الجـمـاعـةـ هيـ: اجـتـمـاعـ الـمـسـلـمـينـ بـعـدـ مـقـتـلـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ وصلـحـ الإـمـامـ الحـسـنـ الجـبـتـيـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ عـلـىـ الطـاغـيـةـ مـعاـوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ لـعـلـلـهـ، عـلـىـ الشـروـطـ الـتـيـ اـشـتـرـطـهـاـ الإـمـامـ الجـبـتـيـ عـلـيـهـ الـسـلـيـلـةـ مـنـ أـجـلـ الـصـلـحـ.

هذا لو كنّا نريد أن نذكر سبب نشوء مصطلح: (أهل السنة والجماعة)، وأمّا لو أردنا أن نتساءل عن أصل هذا المذهب، فهو يرجع إلى زمن النبي الأكرم ﷺ أيضاً.

وجوده في زمن النبي الأكرم ﷺ لا يعني أحقيته كما في التشيع، لماذا؟ لأنَّ التشيع لعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْتَضَى كأن واجب الاتباع من غيره، بخلاف التيار الذي كان في مقابل هذا المذهب، كما لاحظنا بأنَّ النبي الأكرم ﷺ كان يُطلق عبارات المدح، والثناء، والوعد بالجنة لمن تابع وشافع علىٰ بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْتَضَى، كما تفيد جملة من الروايات الشريفة الواردة عن النبي الأكرم ﷺ في حقِّ أمير المؤمنين، ومولى الموحدين، عليٰ بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْتَضَى، من قبيل:

* «عليٰ مع الحقِّ، والحقُّ مع عليٰ، يدور الحق معه حيثما دار»، فقد جعل النبي الأكرم ﷺ ميزةً له عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْتَضَى دون غيره من الصحابة وال المسلمين، وبه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُرْتَضَى يتميّز الحق من الباطل.

* وأيضاً: «منْ كُنْتُ مولاً، فهذا عليٰ مولاً»، حيثُ جعله النبي الأكرم ﷺ في نفس مقامه الشريف كولي للمسلمين، كما تُصرّح به أحاديث واقعة الغدير المتواترة، حينما أوقف المسلمين عند مفترق الطرق، وطلب من المتقدم أن يرجع، والتأخر أن يُسرع؛ حتّى يتكلم فيهم بما يناسب المقام بحسب مقتضى الحال والمقام، وقال: «أَلستُ بِأَوْلَىٰ مِنْكُمْ مَنْ أَنفَسَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مولاً، فهذا عليٰ مولاً، اللَّهُمَّ وَالَّذِي وَالَّذِي، وَعَادَ مِنْ عَادَهُ، وَانْصَرَ مِنْ نَصْرَهُ، وَاخْذُلْ مِنْ خَذْلَهُ».«

فإنَّ أيَّ عاقل حينما يقف عند هذه الشواهد، بل وغيرها الكثير الكثير، يجد

نفسه تنقاد للولي الذي عينه النبي الأكرم ﷺ بأمرٍ من الله تعالى.

و حول نشأة المذهب المخالف في زمن النبي الأكرم ﷺ، يذكر الشهيد الصدر الأول (عليه الرحمة والرضوان) أنَّ في زمن النبي الأكرم ﷺ كان يوجد تياران و اتجاهان آنذاك:

الاتجاه الأول: هم من سلكوا مسلك العبودي الشرعي بما يأمر به المولى عز وجل، والنبي الأكرم ﷺ.

الاتجاه الثاني: وهم من سلكوا مسلك الاجتهد مقابل النصوص الشرعية، و مقابل أوامر النبي الأكرم ﷺ.

ف كان الأول هم عليُّ بن أبي طالب، وسلمان الحمدي، وعمار بن ياسر، وأبو ذرٌ الغفاري، وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين اتخذوا عليًّا إماماً دون غيره، وكان موقفهم اتباعاً للنص الشرعي الوارد عن الله تعالى، ورسوله ﷺ.

وأما الاتجاه الثاني: ف كان كلُّ من خالف النص الشرعي في أحقيَّة وإمامَة علي بن أبي طالب عليهما السلام، ومن شاء المزيد عليه أن يرجع إلى بحث السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله تعالى عليه) في بحثه: نشأة التشيع.

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير الخلق أجمعين، محمد وآلـهـ الطيبين الطاهرين المعصومين (عليهم جميـعاً سلامـ اللهـ).

المواهش:

(١) مريم: ٦٩.

(٢) القصص: ١٥.

(٣) الصافات: ٨٣.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٣٦٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠٤.

(٦) فجر الإسلام، ص ٢٦٦.

(٧) البينة: ٧.

(٨) ابن عساكر، التاريخ، ترجمة علي عليه السلام، ج ٢، ص ٤٤٢، ط بيروت.

(٩) الصواعق الحرق، ب ١١، الفصل الأول، الآية ١١، ط بيروت.

(١٠) ينابيع المودة، ج ٢، ص ٦١، ط بيروت.

(١١) نور الأ بصار، ص ٧٨، ط المكتبة الشعبية.

(١٢) شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٥٦، ط بيروت.

(١٣) كفاية الطالب، ص ٢١٤، ط بيروت.

(١٤) المناقب، ص ١١١، ط قم.

(١٥) تفسير الطبرى، ج ٣، ص ٣٦٥، ط بيروت.

(١٦) الدر المثور، ج ٦، ص ٦٤٣، ط بيروت.

شيختنا

قصي الشيخ علي العربي

كَهُ أَوْ بِدَائِيَّةِ الإِشَارَةِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعَ
الْأَوَّلِينَ﴾^(١); لِتَوْضِيْحِ الْمَرَادِ مِنْ كَلْمَةِ (شِيعَ); لِارْتِبَاطِهِ بِالْمَعْنَى الْاَصْطَلَاحِيِّ فِي بَحْثَنَا
الْمُتَوَاضِعِ، رَاجِيًّا مِنَ الْعُلَيِّ الْقَدِيرِ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، إِنَّهُ خَيْرٌ مَعِينٌ.

(شِيعَ): جَمْعُ (شِيعَة)، أَيْ بِتَعْبِيرِ آخَرَ: أَنَّ الْمَرَادَ مِنَ الشِّيعَ هُوَ الْفَرْقُ، وَكُلُّ فَرْقَةٍ:
شِيعَةٌ. يَقُولُ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْمُفَرَّدَاتِ»: بَابُ شِيعَ: (الشِّيَاعُ: الْإِنْتَشَارُ،
وَالْتَّقْوِيَّةُ، يَقَالُ: شَاعَ الْخَبَرُ. أَيْ: كَثُرٌ، وَقُويٌّ، وَشَاعَ الْقَوْمُ. أَيْ: اِنْتَشَرُوا، وَكَثَرُوا،
وَشَيَعُتُ النَّارُ بِالْحَطَبِ. قَوْيَتُهَا، وَالشِّيعَةُ: مَنْ يَتَقَوَّى بِهِمُ الْإِنْسَانُ، أَيْ: أَنْهُمُ الَّذِينَ
يَتَبَعُونَ شَخْصًاً، أَوْ خَطًاً مَا، فَيُقَالُ لَهُمْ: شِيعَةٌ فَلَانَ^(٢).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٣)، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّ الْضَّمِيرَ فِي
شِيعَتِهِ يَعُودُ إِلَى نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ كَانَ فِي حَزْبِ نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ مَنْ
سَارَ عَلَى دَرْبِ نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَبُو الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَلْفَانٌ وَسِتُّمِائَةٌ
سَنَةٌ تَقْرِيْبًا، وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمَا هُودٌ وَصَالِحٌ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ يَعُودُ إِلَى النَّبِيِّ
مُحَمَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ التَّشِيعَ لِلْحَقِّ وَمُتَابَعَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَاحِدٍ، فَسَوَاءَ نَسْبُ إِلَى
نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ إِلَى أَوْصِيَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ نَهْجٌ وَاحِدٌ،
وَصِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُبَيِّنُ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ لِلتَّشِيعِ، الَّذِي هُوَ رَفْضُ الْجَبَتِ الدَّاخِلِيِّ
بِالْتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَرَفْضُ الْطَّاغُوتِ الْخَارِجِيِّ بِمَقَامَةِ الْانْحِرَافِ الْاجْتِمَاعِيِّ،

والسياسي، والثقافي، و....، في الواقع القائم، والذي هو صورة ظاهرية للجبن الداخلي، ثم التسليم لله، والتضحية، والاستقامة في سبيله.

بلى، إنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ من شيعة نوح عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ولكن كيف وصل إلى هذا المقام الرفيع؟! يجربنا القرآن العظيم على ذلك بـ: «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ»، وهو الذي سَلِيمٌ من كل الأمراض، كالحسد، والحدق، والجبن، والخوف، والتي يسميها القرآن الشريف بالأغلال، إذ يحدثنا عن أهداف بعثة الرسول مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول: «وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ»^(٤).

ومراد من الإصر هو: الثقل، والبشر يعيش في ذاته ثقل المادة، حيث يحنُّ إلى ما في الحياة من زينة، وينهارُ أمام شهوات النساء، والثروات، والمناصب، ويضغط عليه واقع اليوم دون حقيقة المستقبل، وهكذا يصبح البشر -إن لم يعصمه الله- جزءاً من الطبيعة، يتحرك حسب عواملها وتغيراتها. ورسالات الله تندّد بالإنسان من أصله، وترفع عنه هذا الثقل المادي بتوجيهه إلى العالم الأعلى، عالم الروحيات، وعالم المستقبل القريب في الدنيا، والمستقبل بعيد عن الآخرة. وكما ترفع الرسالة إصر البشر، ترفع الأغلال الآتية من الإصر، مثل الأغلال الاجتماعية التي يفرضها النظام السياسي، أو الاقتصادي الحاكم على المجتمع، والقوانين المعقّدة للتقدم، والكبت، والديكتاتورية، والإرهاب الفكري، الذي يمنع تفجير النشاط، وتفتّق المواهب، وإنما سماها القرآن الكريم بالأغلال والإصر تارة، وبالمرض تارة أخرى؛ لأنَّ الأغلال والإصر كما المرض، كلها تُنعدُ الإنسان، وتُكبّل عقله وطاقاته الخيرة.

قال علي بن إبراهيم: «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ»: (القلب السليم من الشك)^(٥).

وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «القلب السليم الذي يلقى ربِّه، وليس فيه أحد سواه»^(٦).

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾. أي: حينما خرج موسى عليه السلام من قصر فرعون، بعدما تأزمت العلاقة بينهما بسبب كلامه عن توحيد الله، وأراد الدخول إلى المدينة، اتخذ سياسة الكتمان والسرية في ذلك كما في بداية الآية.

من هنا على كل مؤمن واع، ويحمل قضية اجتماعية إسلامية، أن لا يكون ساذجاً، بل حذراً منتهاً، ويختار الوقت الأنسب الذي يعينه في تحقيق تكليفه الديني، أو الاجتماعي، فيستعين بكتمان أمره قدر الإمكان، وربما كان دخول موسى للمدينة ليلاً، أي: عند دخول الناس للبيوت، فتتعطل الأسواق، وتخلو الشوارع من المارة، أو في أول الصبح، وربما كان في مناسبة انشغل بها أزلام النظام عن الوضع، وكان بداية الآية هو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

وعند دخوله عليه السلام للمدينة في الوقت المناسب لها وجد فيها -بعد قيامه عليه السلام بنهايته الإلهية- أعمالاً سياسية وثقافية، وربما ميدانية في عملية الصراع بينه وبين فرعون حينذاك، استطاعت أن توجد في المجتمع تياراً مناهضاً للسلطة، بل وأكثر من ذلك، أن ترفع مستوى الصراع بين تيارها والتيار الآخر إلى حد المواجهة المباشرة، ومن أهم مسؤوليات وواجبات الهبة الإسلامية حين تصعد مستوى جماهيرها في الصراع أن تسيطر على الساحة؛ حتى لا يكون للصراع مردود سلبي على خططها وتحركها.

ويبدو من الآية الكريمة أن موسى عليه السلام منذ البداية كونَ مجموعة، أو شيعة حركية، حيث استطاع أن يجمع شمل أتباعه من بني إسرائيل تحت لوائه، ويتصدى للنظام الطاغوتي المتمثل آنذاك بالآقباط.

وربما يكون معنى: ﴿يَقْتَلَانِ﴾ هو: يتضاربان، ولكن ظاهر الأمر يدل على أن

أحدهما يريد قتل الآخر.

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي﴾ هو ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من أتباع فرقة موسى عليه السلام ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾.

لهذا، وأمام هذه الاستغاثة، وجد موسى عليه السلام نفسه مضطراً للدفاع عن الذي من شيعته، فبادر لنصرته، ودفع ضرر القبطي عنه، ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾، أي: فضرب موسى عليه السلام هذا العدو، ولكمه بقبضة يده القوية على صدره، ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾، أي: من شدة الضربة هو إلى الأرض ميتاً في الحال.

لهذا ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام حينما وقع القبطي ميتاً: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، يقصد بذلك العمل الذي دعا هذين -الإسرائيلي والقطبي- للاقتتال، وإذا ضربته فإنما للدفاع عن المظلوم والمستضعف، وقد قال بعض المفسرين: إن سبب الاقتتال هو محاولة القبطي تسخير الإسرائيلي -الذي يقال عنه إنه كان طباخاً في قصر فرعون- ليحمل معه الحطب إلى القصر بلا أجر.

وعندما قتل موسى عليه السلام القبطي، ولم يكن يريد قتله، بل ردعه قال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُئِنٌ﴾⁽⁷⁾.

وجاء ذكر كلمة (شيعة) في قوله تعالى: ﴿نُمَّ لَنَزِّعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾⁽⁸⁾.

المراد من (الشيعة) -كما في الأصل- هو: كل مجموعة يشايعون أحدها، ويتبعونه للقيام بعمل ما، وانتخاب هذا التعبير في الآية يمكن أن يكون إشارة إلى أن العترة المردة، والضالين الكافرين، كانوا يتتعاونون في طريق الظغيان، ونحن سنحاسب هؤلاء أولاً؛ لأنهم أكثر ترداً وعصياناً من الجميع، ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾، فمن الذين يكونون أولى بدخول نار جهنم؟! إنهم أئمة الضلال، وقاده

الأنظمة الفاسدة، فهم أول من يدخلها، ثم يتبعهم شيعتهم، الأقرب، فالأقرب، حسب درجاتهم في الدنيا، واتباعهم للإمام الظالم؛ فإنهم يوم القيمة أيضاً يتبعونه إلى نار جهنم.

ثم تأتي الآية التالية، وهي تشير لمسألة يثير سماعها الحيرة والعجب لدى أغلب الناس، فتقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارْدُهَا﴾.

طبعاً يرى أكثر المفسرين أنَّ (الورود) هنا بمعنى الدخول، وعلى هذا الأساس فإنَّ كل الناس بدون استثناء -الحسن منهم والمسيء- يدخلون جهنم، إلا أنها ستكون بردًا وسلاماً على المحسنين، كحال نار غرود على إبراهيم عليه السلام، ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٠)؛ لأنَّ النار ليست من سخن هؤلاء الصالحين، فقد تفرُّ منهم، وتبتعد عنهم، إلَّا أنها تناسب الجهنميين؛ فهم بالنسبة للجحيم كالمادة القابلة للاشتعال، فما أن تسهم النار حتى يشتعلوا.

وقد وصلتنا روایات متعددة في تفسير الآية على هذا المعنى، وهو أن المراد من (الورود) هو الدخول، أي: كل واحد منكم سيرد نار جهنم -والعياذ بالله-، ومن جملتها: ما روي عن جابر بن عبد الله الانصاري، أنَّ رجلاً سأله عن هذه الآية، فأشار جابر بإصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «الورود الدخول، لا يبقى بر وفاجر إلا يدخلها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى أن للنار -أو قال: لجهنم- ضجيجاً من بردها، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثياً»^(١١).

وهنا جواب عن السؤال التالي، وهو: لماذا يجب المرور عبر جهنم للوصول إلى الجنة؟! أي: ما هي الحكمة من هذا العمل؟! وهل أن المؤمنين لا يرون أذى ولا عذاباً من هذا العمل؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال الإشارة إلى حقيقة الصراط ضمن الإجابة على السؤال الأول: يقول المفسرون بأن أهل الدنيا ليس لهم اطلاع مفصل عن الحقائق المتعلقة بيوم القيمة، وعالم ما بعد الموت؛ حيث هو عالم فوق هذا العالم، ولكن هذا الأمر لا ينبع من المعرفة الإجمالية بهذا الموضوع، لهذا نقول: إن مشاهدة جهنم وعذابها -في الحقيقة- عند مرور أصحاب الجنة ستكون لذة لهم؛ حيث تنتظرونهم الجنة بأعلى مراتب اللذة والنعم؛ لأن أحداً لا يعرف قدر العافية حتى يبتلى بعصيبة، (وبعدها تتمايز الأشياء)، فهناك لا يبتلى المؤمنون بعصيبة، بل يشاهدون المصيبة على المسرح فقط، وكما قرأنا في الرواية السابقة، فإن النار تصبح بردًا وسلامًا على هؤلاء، ويطغى نورهم على نورها ويُخمدُه.

إضافة إلى أن هؤلاء يرون على النار بكل سرعة، بحيث لا يُرى عليهم أدنى أثر، جزاء بما قدموه من أعمال صالحة في الدنيا، طبق لوازمهما الإيمانية والولائية، كما قال رسول الله عليه وآله وسليمه: «إن شيعتنا من شاعينا، وتبعنا في أعمالنا». من هنا يستفاد من الروايات المباركة أن الصراط جسر على جهنم في طريق الجنة، ويرد كلُّ بر وفاجر، فالأبرار يرون عليه بسرعة، أما الفجار فتنزل أقدامهم، ويقعون في نار جهنم. قال النبي محمد عليه وآله وسليمه: «ما ثبت الله حبَّ عليٍّ في قلب مؤمن فزلت به قدم إلا ثبت الله قدماً يوم القيمة على الصراط»^(١٢).

وجاء في معنى الصراط -كما عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْمَوْلَى- أنه قال: «هو الطريق إلى معرفة الله عَزَّوجلَّ، وهو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه، مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة»^(١٣).

وهناك نكتة مهمة أشارت إليها الروايات، وهي أنه من العسير العبور على هذا

الطريق، فقد ورد حديث عن الرسول الأكرم ﷺ وكذلك عن الإمام الصادق علیه السلام أيضاً: «إِنَّ عَلَى جَهَنَّمْ جَسْرًا أَدْقَّ مِنِ الشِّعْرِ، وَأَحْدَدَّ مِنِ السَّيْفِ»^(١٤).
نعم، هكذا الصراط المستقيم، وحقيقة الولاية، والعدالة في هذه الدنيا، فهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وهذا يرجع إلى أن الخط المستقيم خط واحد دقيق لا أكثر، أما الخطوط الأخرى فهي منحرفة نحو اليمين، أو الشمال.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علیه السلام في صفة الأئمة علیهم السلام:
«...بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ^(١٥) فِي الْفَلَوَاتِ^(١٦)، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ^(١٧) حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينَاهُ وَشَمَالَاهُ ذَمَّوْا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَرُوهُ مِنَ الْهَلْكَةِ»^(١٨).
وقال الإمام الصادق علیه السلام: «إِنَّ النَّاسَ أَخْذُوا يَمِينًا وَشَمَالًا، وَإِنَّا وَشَيَعْتُنَا هَدِينَا الصراط المستقيم»^(١٩).

ومن الطبيعي أن يكون صراط القيامة هكذا؛ فهو تحبس عيني للصراط الدنيوي، ومع هذا فهناك طائفة تمر على هذا الطريق الخطر سريعة في ظل إيمانها وأعمالها الصالحة.

أي: بتعبير أجلى: كما أن كل إنسان يدخل الدنيا؛ ليختبر فيها، كذلك كل إنسان يدخل النار في الآخرة، وعليه أن ينقذ نفسه بما قدّم من أعمال صالحة في الدنيا.

بلا شك إن التمسك بالرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين علیهم السلام يسهل اجتياز هذا الطريق المخوف، فقد جاء في حديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «أَثْبِتُكُمْ قَدْمًا عَلَى الصِّرَاطِ أَشْدَكُمْ حَبَّاً لِأَهْلِ بَيْتِي»^(٢٠)، وقال علیه السلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَنَصَبَ الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ، لَمْ يَجِزْ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ جَوَازٌ فِيهِ وَلَا يَةٌ عَلَيْهِ أَبِي طَالِبٍ علیه السلام»^(٢١).

ولقد ورد نفس هذا المعنى بتعبير آخر يتعلق بفاطمة الزهراء عليها السلام، ومن البديري أن ولاية الإمام على عليه السلام وولاية الزهراء عليها السلام هما من ولاية الرسول الأعظم عليه السلام، ولا يمكن الفصل بين القرآن والإسلام وسائر الأئمة الموصومين، فإذا لم يكن هناك ارتباط إيجابي وأخلاقي مع هؤلاء العظام، فلا يمكن الجواز على الصراط، وتوجد في هذا المجال روايات عديدة^(٢٢).

وهنا لا بد من الإشارة إلى البعد التربوي للإيمان والاعتقاد بثل هذ الصراط؛ حيث هو صراط مخوف، مرعب، متزلزل، تشوبيه الأخطر، صراط أدق من الشعر، وأحد من السيف، صراط له عدة مواقف، وفي كل موقف يُسأل فيه عن شيء، فأما الأول فيسأل عن الصلاة، وأما الثاني فعن الأمانة، وصلة الرحم، والثالث عن العدالة، وما شابه ذلك، مم لا يمكن لأحد العبور عليه، واجتيازه إلا إذا كان معه جواز فيه ولاية الرسول الأعظم عليه السلام، وولاية الإمام على عليه السلام، والخلق بأخلاقهم، والسير على نهجهم.

جاء في حديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «تقول النار للمؤمن يوم القيمة: جز يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك هبى»^(٢٣).

نعم، اجتازه بقدرة نور الإيمان، والعمل الصالح، ومن لم يقدر على اجتيازه فسيقع حتماً في نار جهنم، ويلقى عذاباً أشد من رؤية هذا المشهد، وأن أهل الجنة يرون بتلك السرعة وهم يبقون في النار.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنت وشيعتك في الجنة»^(٤)، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيمة»^(٢٥). وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا قسيم الله بين الجنة والنار»^(٢٦)، وقال عليه السلام: «أنا قسيم النار يوم القيمة»^(٢٧).

ويتلخص لنا مما تقدم: أن أصل الشيعة من المشيعة، وهي: المتابعة. يقال: شايع فلانٌ فلاناً على أمره. أي: تابعه عليه، ومنه: شيعة علي عليه السلام، وهم الذين تابعوا على أمره، ودانوا بإمامته؛ لوجود النصوص في ذلك.

إضافةً لذلك: وجود صفات اختص بها، ولم تتوفر في غيره، من هنا نعرف أن جوهر التشيع هو الالتزام بإمامية عليٍّ ولده عليهما السلام، وتقديمه على غيره، وينتج من ذلك الالتزام أمران:

الأول: بما أن الإمامة وليدة النصوص، فهي امتداد للنبوة، يترتب عليها ما يترتب على النبوة من لوازم، عدا الوحي؛ فإن نزوله مختص بالأنباء.
قال النبي عليهما السلام مخاطباً للإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدك»^(٢٨).

الثاني: أن الإمامة لا تتم بالانتخاب، والاختيار، وإنما بالتعيين من الله تعالى، فهو الذي ينص على الإمام عن طريق النبي، يختاره؛ لتتوفر مؤهلات عنده، لا توجد عند غيره^(٢٩).

الشيعة وتهمة تحريف القرآن:

لا شك ولا ريب أن البحث عن سلامة القرآن من التحرير هو بحث في غاية الأهمية والمخطورة؛ لأن أدنى شك في سلامة القرآن سوف يهدم الأساس الذي نعتمد عليه في محمل معتقداتنا الفكرية والتشريعية؛ لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول لمجمل معارفنا الإسلامية، فإذا تطرق الشك إلى سلامة هذا المصدر فسوف لا يبقى مجال للاعتماد عليه، والاستناد إليه، وقد وجدها كيف انتهت الرسائلتان اليهودية والنصرانية حينما تعرّضت التوراة والإنجيل إلى الضياع، والتحريف.

فالشواهد التاريخية القطعية تفيد أنَّ سُنَّة التوراة حرفت مراراً إبان مختلف الحوادث التاريخية، لا سيما حين هجوم نبوخذ نصر على اليهود، فضاعت أغلب النسخ، وحررت لاحقاً من بعض الأخبار^(٣٠).

كما يشهد التاريخ أنَّ الأنجيل الأربعة كتبت بعد سنوات من المسيح عليه السلام، فلم يبق أثر للإنجيل الذي نزل ككتاب سماوي على عيسى عليه السلام^(٣١).

ولقد تلقَّى المسلمون القرآن الكريم جيلاً بعد جيل بالحفظ، والقراءة، والتفسير، والمدارسة، وبشكل متواتر، لا يعطي مجالاً لأحد أن يخفى، أو يسقط شيئاً منه، كما ليس بسع أحد أن يضيف إليه؛ لنشوز المضاف، وتقيزه عن كلام الله تعالى، وما يؤكد هذه الحقيقة هو قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذُكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣٢).

نعم، فقد وعد الله تعالى -كما هو ظاهر الآية المباركة- بحفظ القرآن من جميع النواحي من تحريف المبطلين، كمحاولتهم لتغيير النص القرآني، وتبدل كلمة بأخرى.

فقد حفظ الله -تبارك وتعالى- ألفاظ القرآن الكريم بنصر الأمة، ودخول الناس أزواجاً في دين الله، وإقبال الناس على كتاب الله، بحيث لم يبق مجال لتحرif ألفاظه، أو محاولة أعداء الإسلام لتغيير معاني القرآن، وتفسيرها بما يتناسب ومصالح المRFين وأهوائهم، ولأن كل كتاب ينسخه كتاب، إلا القرآن الذي جاء خاتمة للرسالات؛ فإن الله قد وعد أن يحافظ عليه؛ لكي يتهيأ للأجيال القادمة فرصة للهداية.

فقد قيَّض الله -سبحانه- هذه الأمة أئمَّة هدى، وعلماء ربانيين، حفظوا معالم الدين عن الاندراس، وأصبحوا بأفعالهم وأقوالهم تفسيراً صحيحاً لنصوص القرآن، ولا يزال العلماء الربانيون -والشباب المجاهدون- ماضين قدماً على هج أولئك

السلف الصالح، في نفي شبهات الضالين، وتحريف المبطلين.
وهكذا فقد حفظ الله -تعالى- القرآن العظيم كذلك من التلف، والاندراس،
والضياع، ورغم وجود بعض الآراء الشاذة التي أسقطها العلماء المختصون من
الاعتبار، إلا أن المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن^(٣٣)، كما أن
المشهور بين علماء الشيعة الإمامية ومحققيهم -بل المتسالم عليه بينهم- هو: القول
بسلامة القرآن، وصيانته من التحرير، وقد بيّن هذا الأمر بوضوح في كتب
التفسير، وأصول الفقه، وغيرها من الكتب، وتم إثبات ذلك بالأدلة العقلية، والنقلية.
ومن المفيد أن نورد بعضًا منها:

قال الشيخ الطوسي مدافعاً عن صيانة القرآن من التحرير، ورده على ما يردده
بعض: «وأما الكلام في زیادته ونقصانه، فمما لا يليق به أیضاً؛ لأن الزيادة فيه
مجموع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه، وهو
الألائق بال الصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى قتيله، وهو الظاهر في
الروايات، غير أنه رویت روايات كثيرة من جهة الخاصة وال العامة بنقصان كثير من
آی القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقة الآحاد التي لا توجب
علمًا ولا عملاً»^(٣٤).

ويوضح العلماء المختصون أن ما ورد من روايات عن أئمة أهل البيت علیهم السلام
تتحدث عن التحرير، إنما هي تعني تحريف معنى القرآن بتفسيره، أو قراءته على
غير ما أنزل، مما يغير معناه، ودلالته، وحذف ما ورد عن علي علیه السلام من تفسيره،
وتأويله الذي تلقاه عن رسول الله علیه السلام، وأثبته على المصحف الذي كتبه بيده.
وليس التحرير هو الحذف من حروفه، وكلماته، وآياته، وسوره، أو الإضافة
إليه، وقد وضح الشيخ المفيد قتيله بقوله: «وقد قال جماعة من أهل الإمامة: إنه لم

ينقص من الكلمة، ولا من آية، ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله»^(٣٥).

وأفاد العلامة الشريف المرتضى في جواب (المسائل الطرابلسية): «إن صحة نقل القرآن واضحة وبينة، كمعرفتنا لعواصم العالم، والحوادث المهمة في التاريخ، والكتب الشهيرة».

فهل هناك من يشك في وجود مدن كمكة، والمدينة، أو لندن، وباريس، وإن لم يزرهما؟! أو هل هناك من ينكر وقوع الهجوم المغولي على الشرق، والثورة الفرنسية، وال الحرب العالمية الأولى، أو الثانية؟! فإن لم يكن هناك من يشك، أو ينكر؛ بسبب توادر ذكر وجودها، فكذلك آيات القرآن الكريم، وهذا ما بينه محققوا الشيعة.

وإذا كان بعض المغرضين قد نسبوا للشيعة اعتقادهم بتحريف القرآن، فغايتهم إشعال فتيل التفرقة والفتنة بين الشيعة والسنّة، وقد فندت كتب كبار علماء الشيعة هذه الأباطيل الفاقدة لأي دليل منطقي.

ولا نستغرب من الفخر الرازي قوله في ذيل الآية مورد البحث: (إن الآية: ﴿إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ دليل على بطلان قول الشيعة في حصول التغيير، والزيادة، والنقصان في القرآن)، مما نعلم عن هذا الرجل من حساسية وتعصب تجاه الشيعة.

وهنا لا بد من الكلمة: إنْ كان يقصد بالشيعة كبار علمائهم، ومحققيهم، فليس هناك من يعتقد بذلك! وإن كان يقصد بوجود قول ضعيف بهذا الشأن بين أوساط الشيعة، فإنَّ نظيره موجود في أوساط السنّة أيضاً، وهو ما لم يُعْتَن به من قبل الطرفين.

وقد تطرق لذلك بوضوح المحقق الشيخ جعفر المعروف بكاشف الغطاء في كتابه

(كشف الغطاء)، بقوله: (الاريـب أـئـهـ أـيـ: القرـآنـ مـحـفـظـ مـنـ النـقـصـانـ بـجـفـظـ الـمـلـكـ الـدـيـانـ، كـمـاـ دـلـ عـلـيـهـ صـرـيـحـ الـقـرـآنـ، وـإـجـمـاعـ الـعـلـمـاءـ فـيـ كـلـ زـمـانـ، وـلـأـعـبـرـ بـنـادـرـ) ^(٣٦).

إنَّ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ مَزْدَحِمٌ بِالْتَّهَمِ الْبَاطِلَةِ الْمُتَغَذِّيَةِ مِنْ ثَدِيِّ الْعَصَبَيَّةِ الْمُقْيَتَةِ،
مَعَ عَلَمَنَا الْقَاطِعَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ إِلَيْسَامِ يَقْفُونُ وَرَاءَ حَيَاةً وَنَشَرُ هَذِهِ التَّهَمِ؛ لِإِيقَاعِ
الْبَعْضَاءِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الدِّينِ الْوَاحِدِ، وَأَنَّ غَايَةَ مَا يَسْعَونَ إِلَيْهِ أَنْ يَرَوُا الْمُسْلِمِينَ أُمَّةً
مُفَكَّكَةً غَيْرَ قَادِرَةً عَلَى الْقِيَامِ بِعَهْمَاهَا الْوَحْدَوِيَّةِ التَّوْحِيدِيَّةِ.

فَتَرَى كَاتِبًاً مَعْرُوفًاً (مِنْ أَهْلِ الْمَجَازِ) فِي عَرْضِ ذَمَّةِ الشِّيَعَةِ مِنْ خَلَالِ كِتَابِهِ
(الصِّرَاعِ) يَقُولُ: (وَالشِّيَعَةُ هُمْ أَبْدًا أَعْدَاءُ الْمَسَاجِدِ)! ^(٣٧)

وَالْحَالُ أَنَّا لَوْ أَجْرَيْنَا إِحْصَاءً لِعَدْدِ الْمَسَاجِدِ فِي شَوَّارِعِ وَأَسْوَاقِ وَأَزْقَةِ الْقَرَى
وَالْمَدَنِ الشِّيَعَيَّةِ، لِأَخْذِ مَنَا الْوَقْتَ الْطَّوِيلِ؛ لِكَثْرَتِهَا، لِدَرْجَةِ أَنَّ بَعْضًاً مِنَ الشِّيَعَةِ بَاتَ
يُشَكِّلُ عَلَى كَثْرَةِ الْمَسَاجِدِ فِي الْمَنْطَقَةِ الْوَاحِدَةِ، وَيُسْتَحْسِنُ أَنْ يَلْتَفِتَ الْمُحْسَنُونَ لِدُورِ
الْأَيْتَامِ، وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَمَا شَاكِلُهَا بَدْلًا مِنْ بَنَائِيَّةِ الْمَسَاجِدِ؛ لِكَفَايَةِ الْمُوجَودِ،
وَمَعَ هَذَا تَرَى كَاتِبًاً مَعْرُوفًاً يَتَحدَّثُ بِصَرَاحَةٍ عَنْ أَمْرٍ يَدْعُوا إِلَى الضَّحْكِ! وَعَلَيْهِ فَلَا
يَنْبَغِي الْاسْتَغْرَابُ لِمَا افْتَرَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ضِدَّ الشِّيَعَةِ الإِمامِيَّةِ.

وَقَدْ سَلَمَنَا بِخَاتِمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ خَاتِمُ الْأَدِيَانِ الإِلَهِيَّةِ،
وَأَنَّ رِسَالَةَ الْقُرْآنِ بَاقِيَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهَلْ يَصْدِقُ أَنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ- سَوْفَ لَا
يَحْفَظُ دِلِيلَ دِينِهِ، وَحْجَةَ نَبِيِّهِ الْخَاتِمِ ﷺ؟! وَهَلْ يَجْتَمِعُ تَحْرِيفُ الْقُرْآنِ مَعَ بَقَاءِ
الْإِسْلَامِ عَبْرَ آلَافِ السَّنِينِ، وَدَوَامِهِ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَالَمِ؟!

وَهُنَاكَ دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى أَصَالَةِ الْقُرْآنِ، وَحْفَظِهِ مِنْ أَيْةٍ شَائِبَةٍ، نَتَلَمَسُهُ فِي رِوَايَاتِ
الثَّقَلَيْنِ، الْمَرْوِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِطَرْقٍ مُتَعَدِّدٍ مُعْتَبِرٍ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

أئنْه قال: «إِنِّي تارك فِيْكُمُ الثقلَيْنِ، كِتَابَ اللَّهِ، وَعَتْرَقِي، مَا إِنْ تَمْسِكُمْ بِهِمَا لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدِي أَبْدًا»^(٣٨)، فَهَلْ يَصُحُّ هَذَا التَّعْبِيرُ عَنْ كِتَابٍ طَالَهُ يَدُ التَّحْرِيفِ؟! لَا شَكَّ وَلَا رِيبٌ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الْعَظِيمَ يَدْلِي بِوَضْوِحٍ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ -بِجَانِبِ عَتْرَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَلْجَأً آمِنًا لِهُدَايَةِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مُحَرَّفًا، فَكَيْفَ يَكُنْ أَنْ يَكُونَ مَلْجَأً آمِنًا، وَهَادِيًّا لِلنَّاسِ مِنَ الضَّيَاعِ وَالضَّلَالِ؟!^(٣٩)

إِنَّا شِيعَةً نَعْتَقِدُ -بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِ الدِّعَائِيَّاتِ الْمُسْمُومَةِ، وَالْمَغْرِضَةِ لِلنَّيلِ مِنَ الشِّيعَةِ- بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الْمُوْجَودُ عِنْدَنَا وَعِنْدِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، هُوَ عَيْنُ الْقُرْآنِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ دُونِ زِيَادَةٍ، أَوْ نَقْصَانٍ، حَتَّىٰ فِي كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ.

حملات كاتب تفسير (المنار) الظالمة على الشيعة:

يعاني كاتب تفسير المنار من سوء ظن بالغ الشدة بالنسبة إلى الشيعة! وبنفس القدر يعني من الجهل بعقائد الشيعة وتاريخهم! ففي ذيل قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعَاءَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»^(٤٠)، يعقد فصلاً حول الشيعة تحت غطاء الدعوة إلى الاتحاد، ويصفهم بأنهم يفرقون الصفوف، ويخالفون الإسلام، وأنهم من يعملون ضد الإسلام، ويقومون بنشاطات سياسية تخريبية تحت غطاء الذهب، والعقيدة الدينية، وكأن وجود كلمة (شيعاً) في الآية - والتي ليس لها أي ارتباط بقضية التشيع والشيعة - ذكره بهذه الأمور التافهة، فاندفع يتهم هذه الجماعة المؤمنة من دون تورع!

إن كتاباته أفضل جواب على أقواله، وخير شاهد على عدم معرفته بعقائد

الشيعة، وتاريخهم؛ وذلك لأنّه ربط الشيعة بعد الله بن سبأ! يربط بين الشيعة وعبد الله بن سبأ المشكوك في أصل وجوده من وجهة نظر التاريخ، والذي ليس له -على فرض وجوده- أدنى دور في تاريخ التشيع والشيعة! بينما نجده -من جانب آخر- يربط بين الشيعة والباطنية، بل حتى بين الشيعة والفرقة البهائية، التي هي أعدى أعداء الشيعة، على حين تكشف أدنى معرفة بتاريخ الشيعة أنّ هذه الأحاديث والمزاعم ليست سوى مزاعم وأحاديث خيالية وهمية، بل محض افتراء، واتهام، واختلاق.

والأعجب من كل ذلك هو أنّ هذا الكاتب يربط بين جماعة (الغلاة) -وهم الذين يرفعون علياً علية إلى درجة الألوهية غلوّاً- وبين الشيعة! في حين أن الفقه الشيعي أفرز فصلاً للغلاة تحت عنوان إحدى الفرق والطوائف المقطوع بکفرها! ويتهم الشيعة بأنهم يعبدون أهل البيت! وغير ذلك من النسب الباطلة الرخيصة. إن من المسلم أن كاتب (المنار) لو لم يكن قد تأثر بالأحكام المتسرعة والعصبيات العمياء، وسمح لنفسه بأن يسمع عقائد الشيعة من أفواههم أنفسهم، ويأخذها منهم، ويستقرئها من كتبهم لا من كتب أعدائهم، لعرف جيداً بأنّ ما نسبه إلى الشيعة ليس مجرد افتراءات وأكاذيب، بل هو مهازل مضحكة.

والأعجب من ذلك كله أنّه عزا نشأة التشيع إلى الإيرانيين، مع العلم أنّ التشيع كان فاشياً في العراق، والمحاجز، ومصر، قبل أن يتسيّع الإيرانيون بقرون مديدة، والوثائق التاريخية شواهد حية على هذه الحقيقة.

ذنب الشيعة:

إنّ ذنب الشيعة هو أنّهم عملوا بما صدر عن رسول الله ﷺ قطعاً، والذي ورد

- كذلك - في أوثق المصادر السنوية، وهو قوله ﷺ: «إِنَّمَا تاركَ فِيمَكُمُ التَّقْلِينَ، مَا إِنْ قَسَّكُتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا، كِتَابُ اللَّهِ، وَعَرْقَيِ الْأَهْلِ بَيْتِي»^(٤١).

إن ذنب الشيعة هو أنهم يعتبرون أهل البيت النبوى أدرى وأعرف من غيرهم بدين النبي ورسالته، يجعلوهم الملجأ، والرجوع في المشاكل الدينية، وأخذوا عنهم حقائق الإسلام.

إن ذنب الشيعة هو أنهم فتحوا باب الاجتهاد أخذًا بحكم المنطق، والعقل، والقرآن، والسنّة، وبذلك منحوا الفقه الإسلامي فاعلية متحركة، ولم يحصروه بأربعة أشخاص، ولم يجبروا الناس على اتباعهم، أليست خطابات القرآن والسنّة موجّهة إلى عموم المؤمنين في جميع الدهور والعصور؟! أم هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبعون في فهم الكتاب والسنّة أشخاصاً معينين؟! فلماذا انحصر الإسلام في حصار

قديم من الجمود باسم: (المذاهب الأربعة): الحنفي، الحنبلـي، المالكي، الشافعـي؟!

إن ذنب الشيعة هو أنهم سيقولون: إن صحابة رسول الله ﷺ مثل سائر المسلمين، يجب أن يقيّموا بمقاييس إيمانهم، وفي ضوء أعمالهم، فمن وافق عمله الكتاب والسنّة كان صالحـاً، ومن خالف عمله الكتاب والسنّة -سواء أكان في عصر النبي ﷺ أم جاء بعده- طردـ، وأبعدـ، ولا تكفي مجرد الصحابة ليتستر بها المجرمون والجناة، فلا يجوز أن يقدّسـ ويـحترـمـ رجالـ كـعاوـيـةـ الذي داـسـ كـلـ الـقيـمـ، وـتجـاهـلـ جـيـعـ الضـوابـطـ الإـسـلامـيـةـ، وـخـرـجـ عـلـىـ إـمـامـ زـمـانـهـ الـذـيـ رـضـيـتـ بـهـ الـأـمـةـ الإـسـلامـيـةـ، وـعـلـىـ الـأـقـلـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ -وـنـعـنـيـ بـهـ عـلـيـاـ عـلـىـهـ رـضـيـتـ بـهـ-. الكثـيرـةـ! لا يـجـوزـ تـقـديـسـ هـذـاـ الشـخـصـ وـأـمـالـهـ لـجـرـدـ صـحـبـتـهـ لـرـسـولـ اللـهـ ﷺ.

نعم، هذه ذنوب الشيعة، وهم يعترفون بها، ولكن هل وجدتم في عالمنا هذا من هو أشدّ مظلوميةً من الشيعة؟! بحيث تـعـتـبـرـ أـفـضـلـ نقاطـ القـوـةـ فيـ تـارـيخـهاـ وـعقـائـدـهاـ

نقاط ضعف، ويكتيرون لها سيلا من الاتهامات، والأكاذيب، بل ولا يسمحون لها بأن تنشر معتقداتها في أوساط المسلمين لتعرضها عليهم بحرية، كما يفعل غيرها من الطوائف، بل يأخذون عقائدها من غيرها.

ترى إذا عملت جماعة بأمر نبيهم في حين لا يعمل الآخرون به، فهل يعتبر عمل تلکم الجماعة تفریقاً للصفوف، وشقاً لعصى الأمة؟! وهل يجب صرف هذه الجماعة عن مسارها ليتحقق الاتحاد، أو تقويم من يسلك غير سبيل المؤمنين؟!

الشيعة هم البناء لعلوم الإسلام:

إنَّ تاريخ العلوم الإسلامية يشهد أنَّ الشيعة كانوا السباقين في أكثر هذه العلوم والمعارف، إلى درجة أنه اعتبرَ الشيعة هم البناء المؤسسين لعلوم الإسلام^(٤٢).

إنَّ الكتب التي ألفها علماء الشيعة في مجال التفسير، والتاريخ، والحديث، والفقه، والأصول، والرجال، والفلسفة الإسلامية، ليست أموراً يمكن تجاهلها، وإنكارُها، أو إخفاؤها، فهي موجودة في جميع المكتبات، اللهم إلا مكتبات أهل التعصب، والتكفير، وهذه الكتب شواهد حية على ما ذكرناه، فهل هؤلاء الذين صنفوا، وألفوا كل هذه الكتب حول الإسلام وتعاليمه، في سبيل نشرها، وبثها، وتعميقها، - هل هؤلاء - كانوا أعداءً للإسلام؟! وهل عرفتم عدوًّا يحب الإسلام بهذه الدرجة؟!

هذا، ونقول في ختام حديثنا: إذا أردتم أن نزيل كل هذا الاختلاف والفرقـة، تعالوا نعمل شيئاً آخر بدل التراشق بالاتهامات؛ لكي لا نعطي للأعداء ذريعة، ولتعلموا أنكم إذا أردتم الانتقام من الشيعة ومن أتباع أهل البيت عليهما السلام من خلال هذا الطريق، يمثل هذه النسب والافتراءات الباطلة، فإنكم سوف تضعفون أساس الإسلام من حيث لا تشعرون، بل وتوجه ضربة قاضية إلى أسس وتفعيل الوحدة

الإسلامية التي دعا إليها الإمام الخميني قيئض^(٤٣)، امثلاً للقرآن الكريم في عصرنا الحاضر.

عقيدة الشيعة في مسألة الإمامة:

من الملفت للانتباه أن القارئ الكريم يمكنه ملاحظة ثلاثة تعابير مختلفة في القرآن الكريم فيما يخص الرسول الأعظم عليه وآله :

أ- التعبير الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٤٤).

هذا التعبير البليغ الرائع الذي يقول: إن الرسول عليه وآله ليس وكيلًا عن البشرية في تحمل مسؤولياتهم تجاه العمل بالشريعة الإسلامية، والثورة ضد الطغاة، من الحكام، والمتربفين، والمؤسسات الثقافية المضلة، والإنسان هو الذي يلحق الضرر بنفسه عندما يخضع لهم، ويويد الشيطان، والكافار، ولو لا خضوع البسطاء من الناس، واستسلام أصحاب المصالح، لما قامت للظلم قائمة، دعنا نقرأ معًا حديثاً حكيمًا في ذلك:

عن علي بن أبي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني أمية، فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله، فاستأذنت له، فلما دخل سلم، وجلس، ثم قال: جعلت فداك، إني كنت في ديوان هؤلاء القوم، فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لو لا أنّ بني أمية وجدوا من يكتب لهم، ويجب عليهم الفيء، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً، إلا ما وقع في أيديهم، فقال الفتى: جعلت فداك، فهل لي من مخرج منه؟ قال عليه السلام: إن قلت لك تفعل؟ قال: أفعل. قال عليه السلام: اخرج من جميع ما

كسبت في دواوينهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدق به، وأنا أضمن لك -إن فعلت ما أمرتك به- على الله الجنة. قال: فأطرق الفتى طويلاً فقال: قد فعلت، جعلت فداك، قال ابن أبي حمزة: فرجع الفتى معنا إلى الكوفة، فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلا خرج منه، حتى ثيابه التي كانت على بدنها، قال: فقسمنا له قسمة، واشترينا له ثياباً، وبعثنا له بنفقة»^(٤).

إن من يعبد الطاغوت بخضوعه، يُظاهره، ويعاونه ضد الحق، وإنما استطاع
الطغاة التسلط على رقاب الناس؟!

١- أليس بالصحفيين المأجورين، وأمثالهم، من يتسلكون على عتبات القصور
من أجل فنات الخبز، وفضالة الطعام، ثم يلمعون أوجه الطغاة القبيحة بقالاتهم
السخيفة؟!

٢- أو ليس بالجنود المجندة من الشباب الذين يصرفون طاقاتهم في خدمة
الطغاة، بدلاً من أن يكون كل واحد منهم قائداً في مجتمعه؟!

٣- أو ليس بالموظفين الذين أذلوا أنفسهم في دوائر السلطات المجائرة كي
يُشعروا بطنفهم؟!

إذن، فالجرحية ليست من الطغاة وحدهم، بل للشعوب المستسلمة نصيب وافر
من المسؤولية أيضاً.

ويتلخص لنا مما سبق أن الرسول ينذر، ويبشر، والناس يتحملون مسؤوليتهم،
وإذا ساد الظلم أمة من الناس ينتمون ظاهراً إلى رسالة إلهية، فلا يعني أبداً أن في
رسالات الله نقصاً، بل إنهم هم المسؤولون؛ لأنهم تركوا العمل الجاد بها، وتحمل
مسؤولية الثورة ضد المستكبرين الجشعين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٥).

إذا تسلط الطاغوت، فإن البعض يحاول أن يلقي باللوم والمسؤولية على كاهل

الإسلام، والأمة الإسلامية، ثم ينتظرها تخلصه من هذه الأزمة، كلا، وهذا خطأ، إن الرسل - ومن يثلمهم عبر التاريخ - لا يطلبون الناس أجراً مقابل ما يقدمون لهم من خدمة البشرية والإنذار، هذا فيما يخص الناس، أما فيما يخص الرسول عليه السلام، والأئمة الـهادءـ، والعلماء العاملين، فإن واجبـهم السير في الطريق رغم الصعبـ، بالـتوكـل على الحيـ الـقيـومـ، دون الـالـتفـاتـ لـقلـةـ الـأنـصارـ حـوـلـهـمـ، أوـ مـدىـ الطـاعـةـ وـالـرـفـضـ مـنـ قـبـلـ النـاسـ.

بـ- التعبير الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤٧)، حيث يـبيـنـ اللهـ تعـالـىـ منـ خـالـلـ هـذـهـ الآـيـةـ المـبارـكـةـ جـزـاءـ الصـالـحـينـ الـذـيـنـ يـجـتـبـيـونـ الطـاغـوتـ، وـيـتـبعـونـ الـقـيـادـةـ الشـرـعـيـةـ الـبـدـيـلـةـ، الـمـتـمـثـلـةـ فـيـ أـقـرـبـ النـاسـ إـلـىـ الرـسـوـلـ نـهـجاـ وـنـسـبـاـ، وـيـبـشـرـ الـرـبـ الـذـيـنـ يـتـيـمـونـ بـحـبـ آـلـ الرـسـوـلـ بـزـيـادـةـ فـيـ الـأـجـرـ، وـبـالـفـضـلـ الـكـبـيرـ، وـبـجـنـاتـ فـيـهـاـ كـلـ مـاـ نـرـيدـ، وـأـكـرمـ بـهـ وـعـداـ صـادـقاـ، وـقـوـلـنـاـ: (الـفـضـلـ الـكـبـيرـ) نـعـنيـ بـهـ الـفـضـلـ الـمـقـتـرـنـ بـالـعـمـلـ الـكـبـيرـ؛ وـهـ الـمـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـىـ الـتـيـ جـعـلـتـ بـثـابـةـ أـجـرـ عـلـىـ الرـسـالـةـ.

وـبـاـ أـنـ الـإـسـلـامـ هـوـ خـاتـمـ الـأـدـيـانـ، وـأـنـهـ كـانـ بـحـاجـةـ إـلـىـ قـيـادـةـ شـرـعـيـةـ نـابـعـةـ مـنـ قـيـمـةـ الـرـبـانـيـةـ، تـحـافـظـ عـلـيـهـ مـنـ زـيـغـ الـمـتـرـفـينـ، وـإـلـحـادـ الـطـغـاةـ، وـضـلـالـةـ الـجـاهـلـينـ، وـأـنـ اللهـ الـذـيـ أـحـكـمـ تـدـبـيـرـهـ فـيـ خـلـقـهـ قـدـ اـخـتـارـ لـرـسـالـتـهـ مـنـ يـحـمـلـ مـشـعـلـهـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ وـلـهـ، كـماـ اـجـتـبـيـ منـ آـلـ إـبـرـاهـيمـ، وـآـلـ يـعـقوـبـ مـنـ يـحـمـلـ مـشـعـلـ الرـسـالـةـ مـنـ بـعـدـهـ، إـذـ عـرـفـنـاـ كـلـ ذـلـكـ فـإـنـاـ نـهـتـدـيـ إـلـىـ الـحـكـمـ الـبـالـغـةـ وـرـاءـ جـعـلـ الـمـوـدـةـ فـيـ الـقـرـبـىـ أـجـرـاـ لـلـرـسـالـةـ؛ إـذـ أـنـ الـهـدـفـ مـنـهـ وـلـاءـ الـقـيـادـةـ الـشـرـعـيـةـ، وـهـيـ الـإـمـامـةـ الـتـيـ هـيـ نـورـ اللهـ الـذـيـ أـنـزـلـ مـنـ السـمـاـوـاتـ إـلـىـ الـأـرـضـ، إـنـهـاـ مـنـ قـامـ الدـيـنـ، وـكـمـالـهـ، وـمـنـ دـوـنـهـ لـاـ يـكـتمـلـ الدـيـنـ، وـلـاـ تـتـمـ الرـسـالـةـ.

والإمامية مقام إلهي، لا يُعين إلّا من قبل الله -تعالى-، تماماً كما هي النبوة، والأئمة الهداء يعيّنون من قبل الله عَزَّوجلَّ، عن طريق النبي ﷺ، فمن أراد أن يشكر رسول الله ﷺ على الأذى الكبير الذي يتحمّله من أجل تبليغ الرسالة حتى قال: «ما أؤذينبيٌّ مثل ما أؤذيت»، فلا شكر أفضل من محبة أهل بيته عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذين يحملون ذات الرسالة، ويبلغونها للناس، وهكذا يكون أجر الرسالة في مصلحة الناس أنفسهم، وهذا قال الله عَزَّوجلَّ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(٤٨)؛ أي: إن سألكم المودة في القربى كأجر على دعوتي، فهذا الأجر في الحقيقة يعود نفعه إليكم.

ج - وهو التعبير الوارد في الآية المباركة التي تم ذكرها في أواخر التعبير (ب)^(٤٩).

ومن انضمام هذه التعبيرات الثلاثة إلى بعضها، تتحصل النتيجة التالية: فيما يخص الرسول الأعظم ﷺ إذا عدّت المودة في القربى أجر رسالته، فهذه المودة - من جانب - في نفع المؤمنين أنفسهم لا بنفع النبي ﷺ، ومن جانب آخر، فإن هذه المودة وسيلة حصول الهدایة على طريق الله -تبارك وتعالى-.

بناء على هذا، فإنّ مجموع هذه الآيات يشير إلى أن المودة في قربى رسول الله ﷺ هي استمرار منهج رسالة وقيادة ذلك النبي ﷺ، وبعبارة أخرى: لمواصلة طريق النبي ﷺ، وهدايته، وقيادته، يجب الارتباط بذوي قرباه، والاعتماد على قيادتهم، هذا هو الأمر الذي يدفع عنه أتباع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ في مسألة الإمامية، فإنهم يعتقدون أن امتداد القيادة بعد النبي ﷺ سيستمر إلى الأبد، لا في شكل النبوة، بل في شكل الإمام؛ ليقتبسوا منها نور الهدایة في دروب الحياة.

وهنا لا يأس بذكر مواصفات الإمامة كما وردت على لسان أحد الأئمة، وهو الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ قال: «إن الإمامة: خلافة الله، وخلافة رسول

الله، والإمام أمين الله في أرضه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حريم الله».

«الإمام يحلّ حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله (أحكام الإسلام)، ويذبّ عن دين الله (يدافع عن الإسلام)، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة، والموعظة الحسنة»^(٥٠).

استطاعت الشيعة إثبات معتقداتها من خلال مصادر وكتب أهل السنة، يقول أستاذنا سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حَفَظَهُ اللَّهُ: (لا أنسى المحاورة التي جرت بيـني وبين أحد علماء أهل السنة، إذ أظهر كلاماً عجيباً عند ذكرنا بعض مناقب وفضائل أمير المؤمنين؛ الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: في عقidi أنّ الشيعة يستطيعون أن يثبتوا جميع معتقدات مذهبهم -أصوـلها، وفروعها- من مصادرنا، وكتـبـنا؛ لأنّ في كـتبـنا أحـادـيثـ كـافيةـ لـصالـحـ آرـاءـ الشـيعـةـ، وـصـحةـ مذهبـهمـ)^(٥١).

عليّ وشيعته يعيشون دوماً بعيدون عن أهواء الشياطين، وأطماع الحكماء، نعم، كما نستفيد ذلك من مثال للقرآن الكريم، حيث ضرب الله بِهِ كُلَّ مَثَلٍ مثلاً ليقرب من خاله إلى أذهاننا قبح الشركاء، أي اشتراك مجموعة في امتلاك شخص، إذ يقول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءٌ مُتَشَابِكُسُونَ﴾^(٥٢)، أي: أن هناك عبداً يتلكـهـ عدة أشخاص، وهم متشاركون، متنازعون في استخدامه، قبيـحـوـ الأـخـالـقـ، وهو موزع بينـهـمـ، ولـكـلـ مـنـهـمـ عـلـيـهـ تـكـلـيفـ، فـهـذاـ يـقـولـ لـهـ: نـفـذـ الـعـمـلـ الـفـلـانـيـ.ـ وـالـآـخـرـ يـنـهـاـ عنـ تـنـفـيـذـ ذـلـكـ الـعـلـمـ، وـهـوـ فيـ وـسـطـهـ كـالـتـائـهـ الـحـيـرـانـ، لـاـ يـدـرـيـ أـيـ مـرـ يـنـفـذـ، فـالـأـمـرـانـ مـتـنـاقـضـانـ، أـوـ مـتـضـادـانـ، وـلـاـ يـدـرـيـ أـيـ مـنـهـمـ يـرـضـيـهـ، وـالـأـدـهـيـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ أـنـهـ عـنـدـمـ يـطـلـبـ مـنـ أـحـدـهـمـ تـوـفـيرـ مـسـتـلـزـمـاتـ حـيـاتـهـ يـرـمـيـهـ عـلـىـ الـآـخـرـ، وـالـآـخـرـ

يرميء على الأول، فهو لا يعرف أئمهم أولى بأن يطلب رضاه، وأئمهم أولى بأن يقوم بحاجته، فهو لهذا السبب في عذاب دائم ما دامت حياته.

وفي مقابله هناك رجل سلم لرجل واحد، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، فالرجل الذي يقوده شخصٌ واحدٌ باسم الله، ولا تتدخل فيه شهوات الآخرين، ولا ضغوطهم، ولا مصالحهم، يعيش دائماً في حرية، مستقيماً في طريقٍ واحدٍ، لا تعصف به الاختلافات، ولا تتحكم فيه الفوضى، ولا يواجه مشكلة تعدد الولاءات، وولي أمره معلوم، فلا تردد، ولا حيرة، ولا تضاد، ولا تناقض، وخلاصة المطلب: أنه يعيش بعيداً عن أهواء الشياطين، وأطماع الحكام، وهذا يعني العيش بروح هادئة، والخطى بخطوات مطمئنة، والعمل تحت رعاية فرد يكون داعماً له في كل شيء، وفي كل أمر، وفي كل مكان، فهل أن هذين الرجلين متساويان؟! ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^(٥٣)، كما اتضح لنا مما سبق، لا يمكن المساواة بين عبد يملكه أكثر من مالك، وبين عبد يملكه رجل واحد.

جاء في حديث لأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَنَا السَّلَمُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾^(٥٤). وعن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ فِي الْآيَةِ قَالَ: «﴿سَلَمًا﴾ هو: عَلِيٌّ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ﴿لِرَجُلٍ﴾ هو: النَّبِيُّ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، ﴿وَشُرَكَاءُ مُتَشَابِكُونَ﴾ أي: مختلفون، وأصحاب عَلِيٍّ مجتمعون على ولائه^(٥٥).

وورد في حديث آخر عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «الرَّجُلُ السَّلَمُ لِلرَّجُلِ حَقًا عَلَيْهِ وَشَيْعَتِهِ»^(٥٦).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على عبوديته التي هي خير من عبودية من سواه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فلا يفرقون بين الذي يوحّد الله، ويختضع فقط لأوليائه، وبين من تستعبده قوى السلطة والثروة.

وهكذا ضرب الله لنا مثلاً للتوحيد من واقع الحياة الاجتماعية، والسياسية، وميّز بين نطرين من الحياة، حياة الاستقلال، وحياة العبودية.

أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته هم السابقون إلى الجنة:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمَقْرُبُونَ﴾^(٥٧)، السابقون ليسوا الذين سبقوه غيرهم بالإيمان فحسب، بل الذين يسارعون في أعمال الخيرات، ويبادرون للاستجابة للحق أتى دعوا إليه بكل إخلاص، وهذا السبب فهم من المقربين إلى الله.

جاء في حديث لابن عباس أنه قال: سألت رسول الله عليه وآله وسنه حول هذه الآية، فقال عليه وآله وسنه: «هكذا أخبرني جبرائيل، ذلك علي وشيعته، هم السابقون إلى الجنة، المقربون من الله؛ لكرامته لهم»^(٥٨).

ونقرأ في نص مؤثر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لبعض أتباعه: «أنتم السابقون الأولون، والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى ولايتنا، وفي الآخرة إلى الجنة»^(٥٩).

إن المراد من: ﴿وَاصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هم شيعة أهل البيت عليه السلام، وهم تلك ثلاثة الصالحة من الرجال والنساء الذين يستلمون صحيفة أعمالهم بيدهم اليمنى، كعلامة للفوز، والنصر، والنجاح، ويسلمون من عذاب الله؛ وذلك لتسليمهم لرسول الله عليه وآله وسنه، فتقول لهم الملائكة - وهي تبشرهم بالأمن، والسلام، والعافية -: أنتم في سلام؛ لأنكم من أصحاب اليمين، أي: يكفيكم من الافتخار والوصف أن تكونوا من الموالين، والمحبين، والذائبين في رسول الله، وأهل بيته عليه السلام؛ لهذا نقرأ في حديث للإمام الباقر عليه السلام - في تعقيبه على نهاية قوله تعالى: ﴿وَمَا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٦٠) - أنه عليه السلام قال: «هم شيعتنا، ومحبونا»^(٦١).

وليسوا كأصحاب المشامة^(٦) الذين يعادون رسول الله ﷺ، وأهل بيته عليهما السلام، ويكذبونهم، وفي روضة الكافي للكليني خلية عنه: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «هم شيعتك، فسلم ولدك منهم أن يقتلوهم»^(٦٣).

ونقل المفسر المشهور (القرطبي) - وهو من أهل السنة - تفسير هذه الآية عن الإمام الباقي عليه السلام، فقال: «نحن وشيعتنا أصحاب اليمين، وكل من أبغضنا - أهل البيت عليهما السلام - فهم مرتئون»^(٦٤). وأورد هذا الحديث مفسرون آخرون، منهم صاحب مجمع البيان، ونور الثقلين، و...، في ذيل هذه الآيات.

إنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَشَيْعَتَهُ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ:

كما هو مراد قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِّيَّةِ»^(٦٥)، والمراد من خير البرية: هم المؤمنون الذين يجزيهم الله بجنتات عدن، ويرضى عنهم، ويرزقهم الرضا عنه؛ كل ذلك لخشيتهم من الله؛ لأنهم آمنوا بأفضلنبي، واتبعوا أكمل منهجه، واهتدوا بأجل نور.

لقد خلق الله كل شيء في الأرض للإنسان، ولكن أي إنسان؟! هل الذي يغتال كرامة نفسه، ويدسها في وحل الجهل والغور؟! كلا، إنه لا يساوي عند الله شيئاً، بل الذي يؤمن بالله وبرسوله النبي محمد، وأآل بيته الطيبين الطاهرين عليهما السلام، ويعمل صالحاً، فيصبح أكرم خلق الله جميماً.

ثمة روایات كثيرة بطرق أهل السنة في مصادرهم الحدیثیة المعروفة، وهکذا في المصادر الشیعیة، فسررت الآیة المبارکة بأنهم: علي عليه السلام، وشیعته.

«الحاکم الحسکانی النیسابوری»، عالم أهل السنة المعروف في القرن الخامس الهجري، نقل هذه الروایات في كتابه المشهور: (شواهر التنزیل) بطرق مختلفة، ويزيد

عدد هذه الروايات على العشرين، نذكر منها - على سبيل المثال - ما يلي:

١- جاء في الأثر في تأويل هذه الآية عن ابن عباس قال: (لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيمة، راضين، مرضيّين، ويأتي عدوك غُضباناً مُقْمِحِين»^(٦٦)).

٢- وعن أبي بربعة قال: حينما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية قال: «هم أنت وشيعتك يا علي، وميعاد ما بيني وبينك الموضع»^(٦٧).

٣- وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا جالسين عند النبي جوار الكعبة، فأقدم علينا علي، وحين رأه النبي ﷺ قال: «قد أتاكم أخي». ثم التفت إلى الكعبة، وقال: «ورب هذا البينة، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيمة». ثم التفت إلينا، وقال: «أما والله إنه أولكم إياناً بالله، وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأقضاكم بحكم الله، وأقسمكم بالسوية، وأعدلكم في الرعية، وأعظمكم عند الله مزية».

قال جابر: فأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، فكان علي عليه السلام إذا أقبل قال أصحاب محمد ﷺ: قد أتاكم خير البرية بعد رسول الله.^(٦٨)

نزل هذه الآية جوار الكعبة لا يتنافى مع مدنية السورة؛ إذ من الممكن أن تكون من قبيل النزول المجدد، أو التطبيق، أضف إلى ذلك أن نزول هذه الآيات لا يستبعد أن يكون خلال أسفار النبي إلى مكة من المدينة، خاصة أنّ الراوي (جابر بن عبد الله الأنصاري) قد التحق بالنبي ﷺ في المدينة.

وبعض هذه الأحاديث رواها ابن حجر في الصواعق، ومحمد الشبلنجي في نور الأ بصار^(٦٩).

٤- وجاء في تفسير الدر المنشور، عن ابن مردويه، عن علي عليه السلام، قال: «قال لي رسول الله عليه وآله: ألم تسمع قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾؟! أنت وشيعتك، وموعدكموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين»^(٧٠).

كثير من علماء السنة -سوى من ذكرنا- نقلوا مثل هذه الروايات في كتبهم، منهم: الخطيب الخوارزمي في (المناقب)، وأبو نعيم الأصفهاني في (كفاية المختار)، والعلامة الطبرى في تفسيره، وابن صباغ المالكى في (الفصول المهمة)، والاكوسي في (روح المعانى)، وباختصار، هذا الحديث من الأحاديث المعروفة، المشهورة، المقبولة لدى أكثر علماء الإسلام، وفيه بيان لفضيلة كبرى من فضائل علي وأتباعه.

وهذه الروايات تدل -ضمناً- أنّ الكلمة: (الشيعة) -باعتبارها اسمًا لأتباع علي عليه السلام- كانت قد شاعت منذ عهد رسول الله عليه وآله بين المسلمين، على لسان الرسول نفسه، وأولئك الذين يخالون أنّ الكلمة هذه ظهرت في عصور متأخرة في خطأ كبير.

ربّنا، إننا نستمد العون من فضلك، وإحسانك؛ لبلوغ درجة: «خير البرية»، ربّنا، أجعلنا من شيعة ذلك الرجل الصالح، الذي كان أجدى من نال هذه الدرجة، ربّنا، مُنّ علينا بإخلاص يجعلنا متفانين في حبك، وعبادتك، آمين، يا رب العالمين، والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) الحجرات: ١٠.
- (٢) المفردات للراغب الأصفهاني، بتصرف.
- (٣) الصفات: ٨٣.

- (٤) الأعراف: ١٥٧.
- (٥) تفسير نور النقلين، ج ٤، ص ٤٠٦.
- (٦) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٢٢١، ح ١٦٦٣٠.
- (٧) القصص: ١٥.
- (٨) مريم: ٦٩.
- (٩) طبعاً المراد من قوله: (عتياً) هو: العقى، وهو مصدر كالعتو، وهو التمرد، والعصيان.
- (١٠) الأنبياء: ٦٩.
- (١١) تفسير نور النقلين، ج ٣، ص ٣٥٣، والمراد من كلمة (جثيأ): الجثي، جمع جاثي، وهو الذي يرث على ركبتيه، أي: يحشر الله الناس حول جهنم جاثين على ركبهم؛ ذلك أنهم لا يستطيعون أن يقفوا على أقدامهم من شدة الخوف؛ إذ يعنفهم الزحام الشديد من الاستلقاء، أو اتخاذ جلسة مريحة، ولذلك هم يضطرون إلى اتخاذ جلسة وضع الجثو على ركبهم، وفي ذلك مزيد من العذاب لهم، هذا وقد تقدمت الآية التي تحوي كلمة (جثيأ) على الآية - مورد البحث - بآية واحدة في نفس السورة المباركة.
- (١٢) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٠٢، ح ٩٥٣.
- (١٣) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٤٦، ح ١٠١٧٤.
- (١٤) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٤٨، ح ١٠١٨١ و ١٠١٨٢، ووردت كلمة: (الصراط) في حديث الإمام الصادق عَلَيْهِ الْبَشَّارَةُ بَدْ جَمْلَةٍ (إِنَّ عَلَى جَهَنَّمَ جَسْرًا).
- (١٥) الأدلة: الذين يدللون المسافرين على الطريق.
- (١٦) الفلووات، أي: المفازات، والقفاري.
- (١٧) أخذ القصد، أي: ركب الاعتدال في سلوكه.
- (١٨) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٢٢.
- (١٩) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٤٨، ح ١٠١٨٣.

- (٢٠) ميزان الحكمة، ج ٥، ص ٣٤٨، ح ١٠١٨٣.
- (٢١) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٨، ح ١١.
- (٢٢) وللمزيد من المعلومات راجع كتاب: بحار الأنوار، ج ٨، وبالأخص هذه الروايات: (١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧).
- (٢٣) تفسير نور التقلين، ج ٣، ص ٣٥٤.
- (٢٤) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢١٥، ح ١٠٢٢.
- (٢٥) نفس المصدر، ح ١٠٢٣.
- (٢٦) نفس المصدر، ص ٢١٧، ح ١٠٤٤.
- (٢٧) نفس المصدر، ح ١٠٨٦.
- (٢٨) نفس المصدر، ح ١٠٨٦.
- (٢٩) هوية التشيع، للشيخ الوائلي قتيل، بتصرف.
- (٣٠) كتاب القاموس المقدس والهدى إلى دين المصطفى.
- (٣١) نفس المصدر.
- (٣٢) الحجر: ٩.
- (٣٣) البيان، السيد الخوئي قتيل، صيانة القرآن من التحريف، ص ٢٠٠.
- (٣٤) تفسير التبيان، المقدمة، المعروفة عن مؤلفه قتيل بشيخ الطائفة (٤٦٠ هـ ق).
- (٣٥) أوائل المقالات، ص ٩٤.
- (٣٦) تفسير آلاء الرحمن، ٣٥.
- (٣٧) الصراع، عبد الله علي القصيمي، ج ٢، ص ٢٣، على ما نقل عنه العلامة الأميني في الغدير، ج ٣، ص ٣٠٠.
- (٣٨) حديث التقلين من الأحاديث المتوترة، رواه عن النبي ﷺ جمع من الصحابة، انظر بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٣١.

- (٣٩) للمزيد من التوضيح على قارئي الكريم مراجعة كتاب: (*أنوار الأصول*), ج ٢، ص ٣٤٠
فصاعداً، للأستاذ آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم شيرازي (دام ظله العالى).
- (٤٠) الأئماع: ١٥٩.
- (٤١) انظر الامامش ٣٨.
- (٤٢) للوقوف على أدلة هذا الموضوع راجع كتاب: (*تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام*), وكتاب:
(أصل الشيعة وأصولها).
- (٤٣) تفسير الأمثل، ومصادر أخرى، بتصرف.
- (٤٤) الفرقان: ٥٧.
- (٤٥) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٥، بتصرف بسيط.
- (٤٦) الفرقان: ٥٦.
- (٤٧) الشورى: ٢٣.
- (٤٨) سبأ: ٤٧.
- (٤٩) سبأ: ٤٧.
- (٥٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، باب ٢٠، العبارات مستقاة من الحديث رقم ١، وهو حديث
مطول حول الإمامة والإمام، نقلت بعضه بتصرف بسيط.
- (٥١) تفسير الأمثل، ج ٥، ص ٣٨٩، بتصرف.
- (٥٢) (مُتَشَاكِسُونَ): أصلها شكاسة، وتعني: سوء الخلق، والتشاجر، والتنازع، والاختصاص، وهذا
يقال: متشاشكس. لمن يتخاصل، ويتمانع، ويتنازع بعصبية، وأصله من الشكاسة، وهو: سوء الخلق،
والاختصاص.
- (٥٣) الزمر: ٢٩.
- (٥٤) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٧٥.

(٥٥) نفس المصدر.

(٥٦) نقله العيashi في تفسيره مجمع البيان، في ذيل الآية.

(٥٧) الواقعة: ١٠ - ١١.

(٥٨) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٠٩.

(٥٩) نفس المصدر.

(٦٠) الواقعة: ٩٠ - ٩١.

(٦١) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٢٨٥.

(٦٢) قيل إن العرب يسمون الشمال شؤماً؛ لأنهم يعتبرونه نحساً، وتختلفاً.

فالمراد من أصحاب المشامة - كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْحَابُ الْمَشَأْمَةِ مَا اصْحَابُ الْمَشَأْمَةِ﴾،

سورة الواقعة، الآية: ٩ - هم أصحاب الشقاء، والشؤم، الذين يعطون كتابهم بشمالهم؛ ليكون ذلك

علامة على أنهم من أصحاب النار، فما أعظم حزنهم، وحرستهم.

(٦٣) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٢٩.

(٦٤) تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٦٨٧٨.

(٦٥) البينة: ٧.

(٦٦) شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٥٧، بتصرف بسيط.

(٦٧) نفس المصدر، ص ٣٥٩، ح ١١٣٠.

(٦٨) نفس المصدر، ص ٣٦٢، الحديث ١١٣٩.

(٦٩) الصواعق المحرقة، ص ٩٦، ونور الأ بصار، ص ٧٠ و ١٠١.

(٧٠) تفسير الدر المنشور، ج ٦، ص ٣٧٩.

رجال البحرين (خير أهل المشرق)

محمد علي العربي

كَلَّا لِلَّهِمَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، الْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ، لِأَهْلِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا تَسْتَقْبِلُ بِهِ مَوَاهِبَهُ، وَتَسْتَمْطِرُ بِهِ نَوَائِلَهُ السَّجِيَّةِ.

أما بعد، فهذه وجيزة في تعداد رجال الحديث البحرينيين الذين صدروا تاريخ الإسلام بالإيمان سابقين، والذين ورد ذكرهم في أسانيد الأخبار، وكتب الرجال، نكشف بها وجهاً لاماً لأولئك العترة الحقة، وندحض بها شبهة المؤخرین من الناهبين لإرث أهل الفضل، والصدق، والقدم، والناسبيين لنفسهم حقاً.

وقد كنّا أحصينا أسماء جمع غفير منهم، لو جمعوا في مؤلف لكان بلغ من السعة ما بلغ! إلا أننا اقتصرنا على ما يناسب المقام من الاختصار، وترك التفصيل لغير موضع، قد يوفقا الله له، أو يوفق غيرنا من الشيعة الأخرى، فإنه عمل فريد، ذو فوائد جمة، تعود على الحديث، والتاريخ، وأسراره طوئه السنون، ونسته أهل الفنون، وغيّبه الغيبون، ولم يبق إلا أن يكشف الغطاء عن السر، ويجهز بما هو مكتون.

مقدمة فيها عرض تاريخي مجمل:

ولزم التنبيه إلى أنَّ من نذكرهم من رواة هم المنتسبون لأهل البحرين القدية، التي لها امتداد واسع، يستوعب كلَّ سواحل الخليج، وجزرها الشرقية، والجنوبية، وعليه فلا تسمع دعوى خروج أرض البحرين وجزرها الحالية عن تلك الأرض؛ فإنها إحدى جوانبها، وجزرها المهمة، التي أطبق المتقدمون -والمؤخرلون - من

المؤرخين على شمول التسمية لها، واشتراكها مع البحرين الكبرى في الخصائص النسبية، والعرقية، والمذهبية الباقية لهذا الزمان، بل تتقاسمها لأغلب الواقع الجاربة عليها أغلب الفترات، بل إنَّ نفس الجزيرة ومدينتها الكبيرة كانت تسمى البحرين في القرن السادس الهجري على أقل التقادير.

قال الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ) في (نזהة المشتاق)، في أول الجزء السادس من الإقليم الأول:

«وهناك من بلاد شمال أرض البحرين: القطيف، والزاره، والأحساء، والعغير، والخرج، وببيشة، وجزيرة أول، وسائر ما بين بلاد البحرين وعمان صحراء، تسكنها العرب، وهي قليلة الماء»^(١).

ثم فصلَ القول فقال: «ومدن البحرين منها هجر، وحمص، والقطيف، والأحساء، وببيشة، والزاره، والخط التي تنسب إليها الرماح الخطية، وسميت البحرين بجزيرة أول^(٢)؛ وذلك أن جزيرة أول بينها وبين بر فارس مجرى، ومنها إلى بر العرب مجرى، وهي ستة أميال طولاً، وستة أميال عرضاً، ومنها إلى البصرة خمسمائة ميل وأربعون ميلاً؛ لأنَّ أيضاً من جزيرة أول إلى جزيرة خارك مئتان وأربعون ميلاً، وجزيرة خارك ثلاثة أميال في ثلاثة أميال، وبها زروع، وأرز كثير، وكروم، ونخل، وهي جزيرة حسنة، كثيرة الأعشاب، خصيبة.

وجزيرة أول جزيرة حسنة، بها مدينة كبيرة تسمى البحرين، وهي عامرة، حسنة، خصيبة، كثيرة الزروع، والنخل، وفيها عيون ماء كثيرة، و المياه عذبة، منها عين تسمى عين بو زيدان، ومنها عين مريلغة، ومنها عين غدار^(٣)، وكلها في وسط البلد، وفي هذه العيون مياه كثيرة، نابعة، متربعة، دفاعية، تطحن عليها الأرحاء، فالعين المسماة عين غدار فيها عجب لمبصرها؛ وذلك أنها عين كبيرة قدرًا، مستديرة

الفم في عرض ستين شبرا، والماء يخرج منها، وعمقها يشف على خمسين قامة، وقد وزن المهندسون وحذاق العلماء علوًّا فمها، فوجدوه مساوياً لسطح البحر، وعامة أهل البلاد التي في هذه الجهة يزعمون أنها متصلة بالبحر، ولا اختلاف بينهم في ذلك، وهذا غلط، ومحال، لا يشك فيه؛ لأن العين ماؤها حلو، عذب، لذيد، شهي، بارد، وماء البحر حار، زعاق، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها ملحاً كماء البحر.

وفي هذه الجزيرة أمير قائم بنفسه، وقد رضيه أهل الساحلين؛ لعدله؛ ومتانة دينه، ولا يلي مكانه إذا مات إلا من هو مثله في العدل، والقيام بالحق.

وفي هذه الجزيرة رؤساء الغواصين في البحر، ساكنون بهذه المدينة، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة، ويقيمون بها الأشهر الكثيرة، حتى يكون وقت الغوص، فيكترون الغواصين بأسوان أجر معلومة، تتفاصل على قدر تفاضل الغوص، والأمانة، وزمان الغوص في شهر أغسطـ، وشتنبر، فإذا كان أوان ذلك وصفاً الماء للغطاس، وأكـ كل واحد من التجار صاحبه من الغواصين، خرجوا من المدينة في أزيد من مائـ دونج، والدونج أكبر من الزورق، وفي إثنـه وطـ، ويقطعها التجار أقسامـ، في كل دونج منها خـة أقسامـ وستـ، وكل تاجر منهم لا يتعدـ قسمـ من المركـ، وكل غواصـ له صاحـ يتعاونـ به في عملـ، وأجرـته على خدمـته أقلـ من أجـة الغطـ، ويسمـ هذا المـ المـ، ويخرجـ الغـ من هذهـ المـ وهمـ جـلةـ في وقتـ خـ وجـهمـ، ومعـهمـ دـلـيلـ ماـهـ، وـلـمـ مواـضـ يـعـرفـونـهاـ عـيـاناـ بـوـجـودـهـمـ صـدـفـ اللـؤـلـؤـ فـيهـ؛ لأنـ لـصـدـفـ مـرـاعـيـ تـجـولـ فـيهـ، وـتـنـقـلـ إـلـيـهـ، وـتـخـرـجـ عنـهـاـ فيـ وقتـ آـخـرـ إـلـىـ أـمـكـنـةـ أـخـرىـ مـعـلـومـةـ بـأـعـيـانـهـ، فـإـذـاـ خـرـجـ الغـواـصـونـ عنـ أـوـالـ، تـقـدـمـهـمـ الدـلـيلـ، وـالـغـواـصـونـ خـلـفـهـ فيـ مـرـاكـبـهـمـ صـفـوفـاـ، لـاـ تـتـعـدـيـ جـريـهـ، وـلـاـ تـخـرـجـ عنـ طـرـيقـهـ»^(٤).

ثم أسهب في ذكر تفاصيل صيد الصدف، واستخراج اللؤلؤ، وتقسيمه بعد رجوعهم.

قال الحموي في معجم البلدان:

«أوال، بالضم، ويروى بالفتح: جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين، فيها نخل كثير، وليمون، وبساتين، قال توبة بن الحمير:

من الناعبات المشي نuba كأنما يناظ بجذع من أول جريرها

وقال تميم بن أبي بن مقبل:

عمد الحداة بها لعارض قرية فكأنها سفن بسيف أول

وقال السمهري العكلي:

طروح مروح فوق روح كأنما يناظ بجذع من أول زمامها

وأوال - أيضا - صنم كان لبكر بن وائل، وتغلب بن وائل^(٥).

«شفار، بضم أوله، وآخره راء: يجوز أن يكون من شفرة العين، أو شفرة السكين، وهي: جزيرة بين أول وقطر، فيها قرى كثيرة، وهي من أعمال هجر، أهلها بنو عامر بن المارث من بني عبد القيس»^(٦).

وكما أسلفنا، فإن أراضي البحرين -جزرها، وبرها- تربطها علاقة واحدة، وخصائص متعددة، أشار لبعضها كتاب التاريخ وغيرهم، فهذا الحموي عند ذكره لبعث -يصف نخلا كثيرا- يستشهد بـشعر كثير عزة بن عبد الرحمن، فيه ذكر لسماهيج، وجوانا من أرض هجر:

كان حداج أظعلنا البراثا
نواعم عم على ميشب
بغيقة لما هبطن

كدهم الركاب بأتقهاها غدت من سماهيج أو من جواها

وعند ذكره لسماهيج يذكر معها الخط، فيذكر قول الشاعر:

هوجاء ماجت من جبال يأجوج من عن يين الخط أو سماهيج

بل إن الأندلسي (ت ٤٧٨ هـ) في (معجم ما استعجم)، ذكر سماهيج فقال:

«سماهيج: بالبحرين، لعبد القيس، وكذلك جواهى»^(٧)، التي بني فيها أول مسجد بعد مسجد المدينة، وجمعت فيها ثانية جمعة بعد جمعة النبي ﷺ.

ولا يضر تسمية بعض جزر البحرين بأسامٍ فارسية، بعد أن تعلم أن كل الساحل الشرقي، وعمان، واليمن، وأغلب أراضي العراق إلى الهند، تحت النفوذ الفارسي -قبل الإسلام- دون أن تحكم منهم مباشرة، فهذه جزيرة سماهيج قد ذكر أن الفرس يسمونها: (ماش ماهي)^(٨)، وعرّبها العرب إلى: (سماهيج)، رغم أنها منتبة لعبد قيس، من لا يُشك أنهم عرب أقحاح.

وما هذا إلا مثال على ما ذكرنا من العلاقة والاقتران بين الساحلين نسبياً، وذكراً،

ولتوسيع البحث فيه مجال للمختصين.

ثم إن هذه البلد الطيب قد سبقت إلى الإسلام من لحقها، ولحقها من الثناء ما سبقها. رُوي عن النبي ﷺ أنه لفت لهم قبل وصول وفدهم إليه، فقال لصحابه: «سيطلع لكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق». ومدح قومها فقال: «خير أهل المشرق عبد القيس». و: «أنا حجيج من ظلم عبد القيس»^(٩).

بل قال الشامي في (سبل المدى والرشاد): «وَدَلَّ عَلَى سَبْقِهِمْ فِي إِسْلَامٍ -أيضاً- مَا رَوَاهُ الْعَقْدِيُّ فِي (الْجَمَعَةِ) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَرْهَ، عَنْ أَبْنَى عَبَاسٍ جَهِنَّمَغَنَّمَهُ: (أَنَّ

أَوَّلَ جَمَعَةَ جَمَعَتْ بَعْدَ جَمَعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، بِجَوَاثِي

من البحرين) - وجواثي: بضم الجيم، فواو، وبعد الألف مثلثة مفتوحة -، وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، فدلّ على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام»^(١٠). وأوصى عليهما العلاء لما بعثه من قبله إلى البحرين جابيا لا أميراً، إذ كان المنذر بن ساوي واليا منصوباً من قبله، ثم عزله بعد شكاياتهم سوء فعله، وكانت شكاياتهم يوم وفودهم على النبي ﷺ بعد كتابه إلى المنذر بن ساوي، فاستعمل مكانه أبان بن سعيد، وهو من قفل إلى المدينة بعد وفاة النبي ﷺ، وامتنع عن العمل لأبي بكر التيمي، قال (محمد أبو رية): «وكانه أ NSF من أن ي عمل تحت إمرة أبي بكر التيمي»^(١١)، فبعث العلاء واليا محارباً لمانع الزكاة عنه، فخاض حروبها طاحنة، ومحازر، وحصاراً شديداً لبني عبد قيس، وغيرهم في القطيف، وجزيرة تاروت، وساحل البحرين، استمرت إلى زمن عمر بن الخطاب، كلها تحت عنوان الردة، ومنع الزكاة، أجبرتهم على الهجرة عن موطنهم، حتى عزله، وولاه البصرة في خلافته، فمات العلاء قبل أن يصل إليها، فاستخلف عمر عليهم قدامة بن مظعون، وهو أخ لأم عبد الله بن عمر زوجته، فشهد المخارود عليه بشرب الخمر عند عمر في المدينة، وذكر أن أبا هريرة شهد بذلك أيضاً، فعزله، وحدّه بعد تلقيه شديداً، وولي أبا هريرة مكانه، ثم عزله بعد سوء تدبيره، وخياناته، وقام به ماله، وولي عنه عثمان بن أبي العاص.

ويقوى بعد التتبع أن هجرة جم من البحرينيين لوطنهما هجر إلى البصرة - كما يأتي في ترجمة بعض رجالاتهم، كعمرو بن مرجوم الذي صحب أمير المؤمنين عثمان، وكان أول من أقدم بني عبد قيس البصرة - هي ما فعلته حروب رفض بيعة من تنصّب بعد النبي ﷺ، ومنعهم الزكاة عن غير المستحق الشرعي لها، مع كون البحرين أهم مصدر لبيت المال في ذلك الزمان^(١٢).

وقد اشتهرت البحرين برفض الحكم القائم بعد رحيل النبي ﷺ قرون عديدة، حتى أنَّ الحموي (٦٢٦ هـ) ذكرها مشيراً لاشتهار أمر تشيعها بين القرنين السادس والسابع على أقل التقادير، قال عند ذكره لعمان: «وأكثُر أهلها في أيامنا خوارج إباضية، ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب، وهم لا يخفون ذلك، وأهل البحرين بالقرب منهم بضدهم، وكلهم رواض، سبائيون، لا يكتمونه، ولا يتحاوشون، وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً»^(١٣).

وبعد هذا الذي مهدنا وقدمنا به الكلام، ننبه مرة أخرى على أنها لم نأت على جملة أعلامهم، إلا أنها حوت -إن شاء الله- ما تقر به عين الطالبين لها. فنقول:

في ذكر من عاصر النبي ﷺ :

وجلهم ذُكر في وفودات أهل البحرين على النبي ﷺ وما حاطها من وقائع، ذكر ابن خلدون في تاريخه جملة منهم جارياً مجرى غيره من نقلة الأحداث، فقال: «فاما عبد القيس، وكانت مواطنهم بتهمة، ثم خرجوا إلى البحرين، وهي بلاد واسعة على بحر فارس من غربيه، وتتصل باليمامنة من شرقها، وبالبصرة من شمالها، وبعمان من جنوبها، وتُعرف ببلاد هجر، ومنها القطيف، وهجر، والعسير، وجزيرة أول، والأحساء، وهجر هي باب اليمن من العراق، وكانت أيام الأكاسرة من أعمال الفرس، ومالكهم، وكان بها بشرٌ كثير من بكر بن وائل وقبيط في باديتها، فلما نزل معهم بنو عبد القيس زاحموهم في ديارهم تلك، وقادوهم في الموطن، ووفدوا على النبي بالمدينة، وأسلموا، ووفد منهم المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث بن النعمان بن زياد بن نصر بن عمرو بن عوف بن جذيبة بن عوف بن أغار بن عمرو بن وديعة بن بكر، وذكروا أنه سيدهم، وقادتهم إلى الإسلام، فكانت له صحبة

ومكانة من النبي، ووفد أيضاً الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلى بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن حذية، وثعلبة أخو عوف بن جذية، وفدي في عبد القيس سنة تسع مع المنذر بن ساوي من بني قيم - وسيأتي ذكره -، وكان نصراانياً، فأسلم، وكانت له أيضاً صحبة، ومكانة، وكان عبد القيس هؤلاء من أهل الردة بعد الوفاة، وأمرروا عليهم المنذر بن النعمان، الذي قتل كسرى أبيه، فبعث إليهم أبو بكر بن العلا بن الحضرمي في فتح البحرين، وقتل المنذر، ولم تزل رياسة عبد القيس في بني الجارود أولاً، ثم في ابنه المنذر، وولاه عمر على البحرين، ثم لاه على إصطخر، ثم عبد الله بن زياد لاه على الهند، ثم ابنه حكيم بن المنذر، وتردد على ولاية البحرين قبل ولاية العراق»^(١٤).

ويهمنا ما ذكره من الأعلام، ونذكر التفاصيل في الأثناء. فمنهم:

١) المنذر بن عائذ، وهو المعروف المشهور بالأشج، وأشج عبد القيس، وأشج بني أصر، وأشج بني عصر، والأشج العصري، والأشج العبدى، أو العصري العبدى، كما في (الإكمال في أسماء الرجال)^(١٥)، أو: ابن عصر العصري، كما في (تهذيب التهذيب). ونقل ابن سعد في الطبقات عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، أن أشج عبد القيس اسمه: المنذر بن الحارث بن عمرو بن زياد بن عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذية بن عوف بن بكر بن عوف بن أمغار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربعة.

ونقل عن الكلبي - أيضاً - عن المدائني أن اسمه: المنذر بن عائذ بن الحارث بن المنذر بن النعمان بن زياد بن عصر، وعن العبدى عن شيخه أن اسمه: المنذر بن عائذ^(١٦)، والثاني هو الأشهر.

سيد قومه من بنى عبد القيس في وفد البحرين على النبي ﷺ سنة تسع للهجرة^(١٧).

لم يذكر في أمهات كتب أصحابنا ورجالهم، وعد في المjahيل.

وفي (قاموس الرجال): «أنه يكن القول بحسنه؛ روى سنن أبي داود عن زارع العبدى - وكان في وفد عبد القيس على النبي ﷺ - قال: فجعلنا نتبارى من رواحلنا، فقبل يد النبي ﷺ، ورجله، وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيشه، فلبس ثوبيه، ثم أتى النبي ﷺ، فقال له: إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة. قال: أتخالق بهما؟ أم الله جbelني عليهما؟ قال: بل الله جbelك عليهما. قال: الحمد لله الذي جbelني على خلتين يحبهما الله ورسوله»^(١٨)، ولم يعلم دركه الفتنة»^(١٩).

والمنذر بن عائذ مشهور جدا في كتب العامة ورجالهم، موثق، لم يرد فيه ذم أو تضليل.

حکى ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ-ق) - في عداد من نزل البصرة من الصحابة - عن البحترى: أنه رجع إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة^(٢٠). وقال قبلها: «وقد اختلف علينا في اسمه»، ثم ذكر مجموعة من الأسماء، هي:

عبد الله بن عوف الأشج، والمنذر بن الحارث بن عمرو بن زياد بن عصر بن عوف بن عمرو بن عوف بن جذية بن عوف بن بكر بن عوف بن أثمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، والمنذر بن عائذ بن الحارث بن المنذر بن النعمان بن زياد بن عصر^(٢١).

ويظهر مما ذكره ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ-ق) في (الإصابة) كونه على النصرانية -

-كجمع من قومه - قبل الإسلام، وأنه أرسل ابن أخيه يستظهر أمر النبوة، فأسلم بعدها، وكتم إيمانه، إلى أن وفد على النبي ﷺ في ستة عشر رجلاً - وفي غير مصدر في عشرين رجلاً - سنة التاسع، أو سنة الفتح من الهجرة المشرفة.

قال في الإصابة بعد ما ذكرناه: «خرج في ستة عشر رجلاً من أهل هجر، منهم من بني عمرو بن المرحوم بن عمرو، وشهاب بن عبد الله بن عصر، وحارثة بن جابر، وهمام بن ربعة، وخزية بن عبد عمرو، ومنهم من بني صباح عقبة بن حوزة، ومطر العنبري أخو عقبة لأمه، ومن بني عثمان منقذ بن حبان، وهو ابن أخت الأشج أيضاً، وقد مسح النبي ﷺ وجهه، ومن بني محارب مزيدة بن مالك، وعيادة بن همام، ومن بني عابس بن عوف الحارث بن جندب، ومن بني مرة صحار بن العباس، وعامر بن الحارث، فقدموا المدينة، فخرج النبي ﷺ في الليلة التي قدموا في صبحها، فقال: ليأتين ركب من قبل المشرق، ولم يكرهوا على الإسلام، لصاحبهم علامه. فقدموا، فقال: اللهم اغفر لعبد القيس. وكان قد وهم عام الفتح، وشخص النبي ﷺ إلى مكة، ففتحها، ثم رجع إلى المدينة، فكتب عهداً للعلاء بن الحضرمي، واستعمله على البحرين، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي، فقدموا، فبنوا البيعة مسجداً، وأذن لهم طلق بن علي»^(٢٢).

وقيل: إنه جد بكر بن أحمد بن إبراهيم بن زياد بن موسى بن مالك بن يزيد الأشج، أبي محمد، روى عن أبي جعفر ع، المتهم بالكذب، وله كتب، كما في رجال النجاشي^(٢٣).

أو أحمد بن محمد بن موسى العصري، الذي ضعفة ابن الغصائري، وقال: إنه يُزعم أنه من ولد الأشج، وأن أمره مظلم^(٢٤).

أو بكر بن أحمد بن زياد، كما في الفهرست، وذكر كتبه^(٢٥)، وكلهم واحد، وقد

وقع الخطأ في تسمية الآباء؛ لاتحاد الكنية، وكتبه.

روى الصدوق في (العيون) بسنته إليه أنه قال: «حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا عليه السلام، قالت: سمعت أبي عليا يحدث، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وعمه زيد، عن أبيهما علي بن الحسين، عن أبيه وعمه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لا يحل لمسلم أن يروع مسلما»^(٢).

(٢) عمرو بن عبد قيس (ابن مرجوم): وهو عمرو بن عبد قيس الضبي ابن أخت أشج عبد القيس، أو: عمرو بن مرحوم العبدى، كما في رجال الشيخ رحمه الله^(٢٧)، أو: عمرو بن المرحوم، كما في (الإصابة) لابن حجر^(٢٨)، أو: عمرو بن مرحوم العَصْرَى، كما في (الغارات)^(٢٩)، أو: عمرو بن مرجوم العبدى، كما في كتاب (وقدة صفين) للمنقري^(٣٠).

وفي (الاشتقاق) لابن دريد: «سيي - أي عبد قيس - مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان، فقال له النعمان: قد رجمتك بالشرف. فسمي مرجوما»^(٣١).

وفي حاشية محمد بن هارون عليه: «ورواية من رواه بالحاء خطأ»^(٣٢).

من أشراف عبد القيس في الجاهلية والإسلام، أول من أسلم من أهل البحرين قبل الهجرة على المشهور، وقيل: هو المنذر بن حبان الآتي ذكره، والظاهر وقوع الخلط بينهما، وهو المبعوث من قبل عمه وأبي زوجته: المنذر بن عائذ، أشج عبد قيس؛ ليستطلع حال النبي صلوات الله عليه وآله، والوافد على النبي صلوات الله عليه وآله بقيادة عمه، نزل البصرة كعمره، وكثير من قومه من بني عبد القيس، وبكر بن وائل، «وهو الذي أقدم عبد القيس البصرة»^(٣٣)، ونصر أمير المؤمنين عليه السلام في مواضع حروبها، كان رأساً من رؤوس جيشه، منافحاً عن الولاية لإمامه.

روى المنقري (ت ٢١٢ هـ) في (وقدة صفين): «عن نصر، عن عمر بن سعد، عن

يوسف بن يزد، عن عبد الله بن عوف ابن الأحمر، أن علياً لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة، وكان كتب على إلى ابن عباس وإلى أهل البصرة: أما بعد، فأشخص إلى من قبلك من المسلمين والمؤمنين، وذكرهم بلائي عندهم، وغفوري عنهم، واستبقائي لهم، ورغبهم في الجهاد، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل.

فقام فيهم ابن عباس، فقرأ عليهم كتاب علي، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، استعدوا للمسير إلى إمامكم، وانفروا في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم، وأنفسكم؛ فإنكم تقاتلون المُحلّين القاسطين، الذين لا يقرؤون القرآن، ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحق، مع أمير المؤمنين، وابن عم رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ، الأمر بالمعروف، والنهاي عن المنكر، والصادع بالحق، والقيم بالهدى، والحاكم بحكم الكتاب، الذي لا يرتشي في الحكم، ولا يداهن الفجار، ولا تأخذه في الله لومة لائم» - إلى أن قال -: «وقام إليه عمرو بن مرجوم العبدى، فقال: وفق الله أمير المؤمنين، وجمع له أمر المسلمين، ولعن المخلين القاسطين، الذين لا يقرؤون القرآن، نحن والله عليهم حنقون، ولهم في الله مفارقون، فمتي أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا.

وأجاب الناس إلى المسير، ونشطوا، وخروا، فاستعمل ابن عباس على البصرة أبا الأسود الدؤلي، وخرج حتى قدم على علي، ومعه رؤوس الأحmas: خالد بن المعمري السدوسي على بكر بن وائل، وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد القيس، وصبرة بن شيمان الأزدي على الأزد، والأحنف بن قيس على قيم، وضبة، والرباب، وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية^(٣٤).

لم يكن من يوالى عثمان كبعض أهل البصرة، وكان يجاهر بالدعوة لعلي عليه السلام، فقد روى الثقي في غاراته أنه لما بعث معاوية ابن الحضرمي بكتابه إلى البصرة

يستنصرهم، ويدعوهم للأخذ بثأر عثمان، وفسخ بيعتهم لعلي عليه السلام، قال ابن مرجوم: «أيها الناس، الزموا طاعنكم، ولا تنكروا بيعتكم، فتقع بكم واقعة، وتصيبكم قارعة، ولا تكن لكم بعدها بقية، ألا إني قد نصحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين»^(٣٥).

وعدهُ الشيخ في رجاله من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٣٦).

ذكره ابن سعد في طبقاته، فقال: «من بنى عامر بن عصر، وهو ابن أخت الأشج، وكان على ابنته أمامة بنت الأشج، وبعثه الأشج؛ ليعلم علم رسول الله عليه السلام، وحمله ترا، كأنه يريد بيعه، فضم إليه دليلاً من بنى عامر بن الحارث، يقال له الأريقط، وقال له: إنه بلغني أنه يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه علامة، فاعلم لي علم ذلك. فخرج عمرو بن عبد قيس حتى قدم مكة في عام الهجرة، فأتى النبي، وأتاه بتمرة، فقال: هذا صدقة. فلم يقبله، فبعث إليه بغيره، وقال: هذا هدية. فقبله، وتلطّف، حتى نظر إلى ما بين كتفيه، فدعاه النبي عليه السلام إلى الإسلام، فأسلم، وعلمه الحمد، وقرأ باسم ربك الذي خلق، وقال له: ادع خالك. ورجع، وأقام دليله بمكة، فقدم البحرين، فدخل منزله بتحية الإسلام، فخرجت امرأته إلى أبيها نافرة، وقالت: صبا - ورب الكعبة - عمرو، فانتهرا أبوها، وقال: إني لأبغض المرأة تخالف زوجها. وأتاه الأشج، فأخبره الخبر، فأسلم الأشج، وكتم إسلامه حيناً، ثم خرج مكتتماً بإسلامه في سبعة عشر^(٣٧) رجلاً وفداً على النبي عليه السلام من أهل هجر، وقال بعضهم: كانوا اثنى عشر رجلاً. فقدمو النبي عليه السلام، فأسلموا»^(٣٨).

(٣) أمامة بنت الأشج: ابنة المنذر بن عائذ، أشج عبد قيس، وابنة خال عمرو بن مرجوم، ذكرت في قصة إسلام أبيها وإسلام زوجها المتقدمة.

(٤) الجارود: أبو غياث، أبو المنذر، والثاني أشهر: «واسمه: بشر بن عمرو بن

حنث بن المعلى، وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذية بن عوف بن بكر بن عوف بن أغار، كما في طبقات ابن سعد^(٣٩).
وفي (التاريخ الكبير) للبخاري (ت ٢٥٦ هـ): «جارود بن المعلى»^(٤٠)، ولا تنافي بينهما.

وقيل: «الحارود بن العلاء، والأول أصح»، كما في أنساب السمعاني^(٤١) (ت ٥٦٢ هـ).

«سمى الجارود؛ لأن بلاد عبد القيس أسفت حتى بقيت للجارود شلية، والشلية هي: البقية، فبادر بها إلى أخواله من بني هند من بني شيبان، فأقام فيهم وإيله جربة، فأعدت إيلهم، فهلكت، فقال الناس: جردهم بشر، فسمى الجارود، فقال الشاعر:

جردناهم بالسيف من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل
وأم الجارود درمة بنت رويم، أخت يزيد بن رويم أبي حوشب بن يزيد الشيباني، وكان الجارود شريفاً في الجاهلية، وكان نصراانياً^(٤٢).

«قدم على رسول الله في الوفد، فدعاه رسول الله إلى الإسلام، وعرضه عليه،
قال الجارود: إني قد كنت على دين، وإنني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟
قال رسول الله: «أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه»، ثم أسلم
الجارود، فحسن إسلامه، وكان غير مغمومص عليه... وكان الجارود قد أدرك الرّدة،
فلما رجع قومه مع المعرور بن المنذر بن النعمان قام الجارود، فشهد شهادة الحق،
ودعا إلى الإسلام، وقال: «أيّها الناس، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده،
ورسوله، وأكفي من لم يشهد»^(٤٣).

«شهد على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر، فعزله عمر عن اليمين،

وحَدَّه»^(٤٤)، وكان عمر قد وَلَى قدامة على البحرين.

استوطن وأهله البصرة بعد البحرين، كما هو حال جمٍّ منهم، لم يدرك الخلافة الظاهرية لعلي عليه السلام، «ووجه الحكم بن أبي العاص الجارود على القتال يوم سهرك، فقتل في عقبة الطين شهيداً سنة عشرين، ويقال لها: عقبة الجارود»^(٤٥).

أبناءه معروفون، مشهورون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بحسب ظاهر النقول عنهم، فمنهم:

«ابنه: عبد الله بن الجارود، وكان يلقب: (العضاف)، لقصره، وكان رأس عبد القيس، واجتمعت عليه القبائل من أهل البصرة والكوفة، فولوه أمرهم، وقاتلوا الحجاج، وظفر بهم، وأخذه الحجاج، وصلبه.

وابنه: المنذر بن الجارود، ولد إصطخر لعلي بن أبي طالب عليهما السلام.

وابنه: الحكم بن المنذر، سيد عبد القيس، وفيه يقول الكذاب الحرماني:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود
أنت الجoward بن الجoward الحمود نبت في الجoward وفي بيت الجoward
والعود قد ينبع في أصل العود

ومات في حبس الحجاج الذي يعرف بالديباس»^(٤٧)، ونحوه ما ذكره ابن قتيبة (ت ٢٦٧ هـ) في (المعارف)^(٤٨)، وللحكم بن منذر بن الجارود موقف مع مصعب بن الزبير لما دخل البصرة، أهان مصعب فيه آل الجارود، ونسبهم لغير نسبهم، ثم أهان عبد الله بن فضالة الزهراوي، فقال له: «ألاست من أهل هجر، ثم من أهل سماهيج؟! أما والله لأردنك إلى نسبك»^(٤٩).

وفي طبقات ابن سعد: «وكان ولده أشرافاً، كان المنذر بن الجارود سيّداً جواداً، ولاه علي بن أبي طالب إصطخر، فلم يأته أحد إلا وصله، ثم ولاه عبيد الله بن زياد

ثغر الهند، فمات هناك سنة إحدى وستين، أو أول سنة اثنتين وستين، وهو يومئذ ابن ستين سنة»^(٥٠). ولعل تولية ابن زياد له ثغر الهند نفيًا له، وخوفاً من نحوه مسلك بعض إخوته في حرثهم للأمويين، ولعله لغير ذلك.

٥- منقذ بن حبان: أو: ابن حيان^(٥١)، من بني عثمان^(٥٢)، أو: العبدى، كما عن ابن حجر^(٥٣)، أو: من بني غنم، كما في شرح النووي (ت ٦٧٦ هـ) على صحيح مسلم^(٥٤)، وهو كعمر وبن مرجوم، «ابن أخت الأشج أيضا»^(٥٥)، عد في البصريين بعد البحرين.

احتُمل التستري في قاموسه كونه (منقذ بن الأنقع)، أو: (الأبْعَق)^(٥٦)، الذي عد في الوجيزة من المدوحين، والمنقذ بن الأبْعَق روى حديث تكلم السبع مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وكان «من خاصة مولانا علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ» كما في كتاب (الروضة) لابن جبريل القمي (ت ٦٦٠ هـ)^(٥٧).

وفي طبقات الواقدي: (قدم عليه منهم عام الفتح عشرون رجلاً، رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، ومنقذ بن حيان ابن أخت الأشج، وقال النبي ﷺ [عَلَيْهِ الْكَلَمُ] فيهم: «مرحباً بهم، نعم القوم عبد القيس، اللهم اغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألوني مالاً، هم خير أهل المشرق ، - إلى أن قال: - ومسح النبي ﷺ وجه منقذ»^(٥٨).

لكن في هذا الخبر أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ قد ناداه: «أخًا بني أسد»، ولقب فيه بالأَسْدِي، وتقدم أنه من بني عثمان، أو من بني غنم، وقيل: عبدى من بني عبد القيس. إلا أن يكون بني أسد فخذدا من بني عبد القيس الكبيرة، والله أعلم.

قيل: إنه رأى النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة، وأسلم على يديه الشريفتين، قال النووي في شرحه على مسلم في سبب وفود عبد القيس: (وكان سبب وفودهم أن منقذ بن حيان - أحد بني غنم بن وديعة - كان متجره إلى يثرب في الجاهلية،

فشخص إلى يشرب بلال حف وقر من هجر بعد هجرة النبي ﷺ، فبينا منفذ بن حيان قاعد إذ مرّ به النبي ﷺ، فنهض منفذ إليه، فقال النبي ﷺ: منفذ بن حيان؟ كيف جميع هيئتك وقومك؟ ثم سأله عن أشرفهم، رجل رجل، يسمىهم بأسمائهم، فأسلم منفذ، وتعلم سورة الفاتحة، واقرأ باسم ربك، ثم رحل قبل هجر، فكتب النبي ﷺ معه إلى جماعة عبد القيس كتاباً، فذهب به، وكتمه أيام، ثم اطلعت عليه امرأته، وهي بنت المنذر بن عائذ - بالذال المعجمة - بن الحارث، والمنذر هو الأشج، سماه رسول الله ﷺ به؛ لأنّه كان في وجهه، وكان منفذ خليفة يصلّي، ويقرأ، فأنكرت امرأته ذلك، فذكرته لأبيها المنذر، فقالت: أنكرت بعلي منذ قدّم من يشرب أنه يغسل أطرافه، ويستقبل الجهة - تعني القبلة -، فيحيّي ظهره مرة، ويضع جبينه مرة، ذلك ديدنه منذ قدم، فتلاقيا، فتجاريا ذلك، فوقع الإسلام في قلبه، ثم ثار الأشج إلى قومه عصر، ومحارب بكتاب رسول الله ﷺ، فقرأه عليهم، فوقع الإسلام في قلوبهم، وأجمعوا على السير إلى رسول الله ﷺ.

ثم كان في وفد عبد قيس عام الفتح، قال في الطبقات الكبرى: (كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدم عليه عشرون رجلاً، رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، وفيهم الجارود، ومنفذ بن حيان، وهو ابن أخت الأشج، وكان قد وصلهم عام الفتح)^(٥٩)، وفي هذا الحديث وحديث ورود الأشج عليه تشابه من جهات، وتضارب، في زمان القدوم، وظروفه، وأسبابه.

قيل: إنه أول من أسلم من بني عبد قيس من البحرين. لكن المعروف المشهور غير ذلك، بل المروي في عدة مصادر متقدمة أن إسلام عبد قيس كان ورسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة.

والذي يقرب للأخذ غير ما ذكره التوسي ومتى تبعه من كونه أول من أسلم،

بل لا يركن إليه مع الشهرة العظيمة؛ لإسلام أهل البحرين قبل الهجرة، وتقديم في ترجمة عمرو بن مرجوم أنه أول من أسلم من أهل البحرين قبل الهجرة بعكة، وكان من جملة وفد عبد قيس، وأما منفذ فقصته جرت في المدينة بعد الهجرة، ثم وفد على النبي ﷺ بعدها، فوقع الخلط بينهما؛ إما لكون عمر ومنفذ زوجان لابنتي الأشج؛ أو لتعدد وفود عبد قيس على النبي الكريم ﷺ، وهو - تعدد الوفود - مختار جمع من المعاصرين، منهم الميانجي، قال في: (مكاتيب الرسول) ﷺ:

(أقول: الذي تحصل - بعد الغور في وفودهم - أمور:

الأول: تعدد الوفود، كما ذكره الزرقاني، ولكن النصوص توحى إلى أن وافد عبد القيس (منفذ بن حبان) كان يتجر إلى المدينة، فأمره الأشج بالتحقيق عن أمر النبي ﷺ، فلما فلاقاه على تفصيل مر، وكتب النبي ﷺ معه إلى عبد القيس.

وفي (الطبقات): أن الأشج بعث عمرو بن عبد قيس ابن أخيه إلى مكة، فأسلم، ورجع، فأسلم منذر، ووافد، وظاهره كون وفود المنذر قبل الهجرة، (وراجع الإصابة في ترجمة صحار، وذكر ٥٧٧ في ترجمة نوح بن مخلد: أنه أتى النبي ﷺ وهو بعكة، فسأله من أنت؟..).

فيكون ما مر شاهدا على وفدين: واحدة بعكة أو بالمدينة؛ للتحقيق، وأخرى بعده وهم مسلمون، واستشهد بعض (بخليو هذا الحديث عن ذكر الحج، إلا ما نقله أحمد) بكون أحدهما قبل وجوب الحج، وثانيهما بعد وجوبه، (أي: السنة السادسة، وبعدها)، وذلك ليس صحيحا؛ لأن الحديث صدر عنه ﷺ مرة واحدة، فلم يذكر الرواية الحج في بعض النصوص، كما لم يذكر الصيام في بعضها الآخر، نعم، قوله «إنه يحول بيننا وبينك هذا الحي كفار مصر».» يدل على كون وفودهم قبل إسلام هؤلاء، ولعل ذلك كان أوائل الهجرة كما مر تصريح الإصابة وابن سعد بكون الوفود

في أوائل الهجرة، أو مكة، فيكون ثلاث وفادات^(٦). ثم دلل عليه ببعض النصوص، فراجع.

والخلط - كما ترى - بين عمرو بن مرجوم ومنقذ قد وقع بين المتأخرین، أمثال النووی في شرحه على مسلم، والذي يقتضيه فصل الاشتباہ بعد الانتباہ هو أن قصة رجوع منقذ وإسلام قومه بعده قريبة للاختلاف.

٦- شهاب بن عبد الله بن عصر: عده ابن حجر في وفدي عبد قيس^(٧).

٧- المنذر بن ساوي، (عظيم البحرين): ابن الأحسن بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي، كما في إصابة ابن حجر، أو العبدی، كما في ثقات ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)^(٨).

أسلم في السنة التي بعث النبي ﷺ العلاء إلى البحرين على المشهور، في السنة السابعة أو الثامنة، خصه النبي ﷺ دون الملوك بالسلام في رسالة الدعوة، إذ قال: «سلام عليك»، وهو عالم إسلامه قبل وصول المكتوب كما قيل^(٩)؛ لأن بقية الملوك كان يبدأ خطابهم بقوله ﷺ: «سلام على من اتبع الهدى»، قال الرباني الشيرازي في حاشيته على البحار المحقق: «نقل عن كتاب إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، شمس الدين بن طولون الدمشقي كتابه ﷺ إلى المنذر، وهو هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلماً، وأسلم يجعل لك الله ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر.

(محمد رسول الله)».

وقال الحبلي في سيرته: فلما وصل الكتاب إلى المنذر، فقرأه، قال العلاء بن

الحضرمي رسول الله ﷺ: يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تقصرن عن الآخرة، إن هذه الجوسية شر دين، ينكح فيها ما يستحب من نكاحه، ويأكلون ما يتكره من أكله، وتعبدون في الدنيا ناراً تأكلكم يوم القيمة، ولستَ بعديم العقل ولا رأي، فانظر، هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه؟! ولمن لا يخون أن لا تأقه؟! ولمن لا يختلف أن لا نثق به؟! فإن كان هذا هكذا، فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به.

فقال المنذر: «قد نظرت في هذا الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للأخرة والدنيا، مما يعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت؟! ولقد عجبت أمس من يقبله، وعجبت اليوم من يرده، وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله».

فأسلم، وكتب إلى النبي ﷺ: «أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبَّ الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، فلم يدخل فيه، وبأرضي يهود، ومجوس، فأحدثت إلى أمرك في ذلك» انتهى.

أقول: في كتابه ﷺ ذلك ما يخالف سائر كتبه؛ لأنَّه ﷺ ما كان يسلم سلام الإسلام على غير المسلمين، كما أنَّ كتاب المنذر لا يبعد أن لا يكون جواباً لهذا الكتاب، ولعلَّ كان بينهما مكاتبات، وكان كتابه ﷺ ذلك بعدما استشعر منه الإسلام، وجواب المنذر ذلك كان بعدما أسلم، وورده كتاب منه ﷺ في عرض الإسلام على رعيته، فكتب بذلك في الجواب»^(٦).

وقال ابن حبان في الثقات: «ثم صالح رسول الله ﷺ المنذر بن ساوي العبدى، وكتب إليه كتاباً مع العلاء بن الحضرمي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم، إلى
المنذر بن ساوي:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن كتابك جاءني،
ورسلك، وأنه من صلی صلاتنا، ومن أبي فعليه الجزية، فصالحهم العلاء بن
الحضرمي على أن على الجوس الجزية، لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكر نساؤهم».«
أقول: أمر إسلامه قبل ورود كتاب النبي ﷺ يقويه تعبيره: «إني نظرت في
هذا»، ووفود بني عبد قيس على النبي ﷺ قبلها، ودعوتهم لهم للإسلام يهيء
قبوله.

وأما السلام عليه بالخصوص، فقد رواه الزليعي (٧٦٢ هـ) في نصب الراية هكذا:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المنذر بن ساوي، سلام على
من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلماً، وأسلم يجعل الله لك
ما تحت يديك، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والمحافر»^(٦).

ورأيت في المتاحف عدة رسائل - أو صور منها - من جلد رقيق، منسوبة إلى
النبي ﷺ، إلى المنذر بن ساوي، فيها ردود على المنذر بشأن الجزية، والإيصاد
بالعدل، والوعد بالتبني على ولایة البحرين، ولا أذكر أني رأيت رسالة يدعوه
فيها إلى الإسلام.

أقر النبي ﷺ ولايته، وبعث العلاء على الجباية قبل أن يعزله، ويثبت أبان بن
سعيد، قال في الطبقات عن محمد بن عمر:

«وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى العلاء بن الحضرمي أن يقيم بعشرين
رجالاً من عبد القيس، فقدم عليه منهم بعشرين رجلاً، رأسهم عبد الله بن عوف
الأشج، واستخلف العلاء على البحرين المنذر بن ساوي، فشكى الوفد العلاء بن

الحضرمي، فعزّله رسول الله ﷺ، وولى أبان بن سعيد، وقال له: استوص بعبد القيس خيراً، وأكرم سرّاهم»^(٦٦).

اختلف في وفوده على النبي ﷺ، فذكر ابن خياط (ت ٢٤٠ هـ) وفوده مع الجارود في سنة تسع للهجرة^(٦٧)، وأنكر الرشاطي ذلك فيما حكااه ابن حجر في الإصابة عنه^(٦٨)، وهو خلط بينه وبين الأشج العبدى، قال ابن الأثير (٦٣٠ هـ) في أسد الغابة: (أبو سليمان، مولى المنذر بن ساوي، وفد على النبي ﷺ، وأسلم، وكان ينزل حلب، روى إسحاق بن راهويه، عن سليمان بن نافع العبدى، سمع منه بحلب، قال: قال أبي: وفد المنذر بن ساوي من البحرين حتى أتى مدينة رسول الله ﷺ، ومع المنذر أياس، وأنا غليم لا أعقل، أمسك جماهم، قال: فذهبوا مع سلاحهم، وسلموا على رسول الله ﷺ، ووضع المنذر سلاحه، ولبس ثياباً كانت معه، ومسح لحيته، وأتى النبي ﷺ، فسلم عليه، وأنا مع الجمال، قال المنذر: قال النبي ﷺ: رأيت منك ما لم أر من أصحابك. قال: وما رأيت مني يا نبي الله؟ قال: وضعت سلاحك، ولبس ثيابك، وتدهنت. قلت: يا نبي الله، أشيء جبت عليه؟ أم شيء أحدثته؟ قال النبي: لا، بل شيء جبت...). إلى أن قال ابن الأثير: (قلت: هذا الذي فعله المنذر بن ساوي إنما فعله الأشج العبدى، وله قال النبي ﷺ: إنَّ فيك خلقين يحبهما الله. فقال الأشج العبدى: يا نبي الله، أشيء جبت عليه؟ أم شيء أحدثته؟ قال: لا، بل شيء جبت عليه. قال: الحمد لله الذي جبلي على خلقين يحبهما)^(٦٩). ومات عليه السلام في سنة وفاة النبي ﷺ، أو قريب منها^(٧٠)، وأمر وفاته - وما جرى بعده - فيه غموض.

وبهذا ينتهي القسم الأول، ويتبعه القسم الثاني بعون الله القدير، والحمد لله رب العالمين.

- (١) الإدريسي، الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، ١٩٨٩، عالم الكتب، بيروت.
- (٢) مقصوده أن جزيرة أول سميت البحرين؛ لأن بينها وبين فارس مجرى في البحر، وبينها وبين بحر العرب مجرى آخر.
- (٣) يقصد عين عذاري.
- (٤) نزهة المشتاق ١: ٣٨٦-٣٩٠.
- (٥) الحموي، ياقوت، معجم البلدان ١: ٢٧٤، دار الفكر، بيروت.
- (٦) الحموي، ياقوت، معجم البلدان ٣: ٣٥٣، دار الفكر، بيروت.
- (٧) البكري الأندلسي، عبد الله، معجم ما استعجم ٤: ١٢٨٢، ط ٣، عالم الكتب، ١٩٨٣م، بيروت.
- (٨) انظر صحاح الجوهري ١: ٣٢٣، مادة (سمهج)، ط ٤، دار العلم للملائين، ١٩٨٧، بيروت.
- (٩) انظر مسنن أحمد ٤: ٢٠٦، الطبقات الكبرى ١: ٣١٤.
- (١٠) الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد ٦: ٣٧٠، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- (١١) أبو رية، محمود، شيخ المضيرة أبو هريرة، دار المعارف، ط ٣، مطبعة الأعلمي.
- (١٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥: ٥٦٣ (تسمية من كان بالبحرين من أصحاب رسول الله ﷺ).
- (١٣) معجم البلدان ٤: ١٥٠.
- (١٤) ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون ٢: ٣٥٩، دار القلم، بيروت، ط ٥، ١٩٨٤.
- (١٥) التبريزي، الخطيب، الإكمال في أسماء الرجال: ٧ في (الأشج)، ط مؤسسة أهل البيت ع.
- (١٦) الطبقات الكبرى: ٥: ٥٥٨.
- (١٧) اختلف في سنة الوفود وعدد الوفاد، فقيل إنهم وفدوا مرتين، أو ثلاث، الأولى قبل الفتح، وذكر أن عددهم في أحدها بلغ أربعين رجلاً، وأن ما ذكره الرواة هم رؤوس القوم، فراجع مکاتب الرسول ٣: ١٩٢، للميانجي، ففيه بحث مفصل واف.
- (١٨) السجستاني، ابن الأشعث، سنن أبي داود، ط ١، دار الفكر، ١٩٩٠م.

- (١٩) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال ١٠: ٢٤٤، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤٢٢ هـ. ق.
- (٢٠) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى ٧: ٨٦، دار الصادر، لا ط.
- (٢١) طبقات ابن سعد ٧: ٨٥.
- (٢٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٣٣٠، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- (٢٣) النجاشي، أبو العباس أحمد، فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): ١٠٩، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٥، ١٤١٦ هـ.
- (٢٤) رجال ابن الغضائري ١: ٤٤.
- (٢٥) فهرست الشيخ ١: ٩٦ / رقم ١٢٨.
- (٢٦) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا ع: ٧٥-٧٦، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤.
- (٢٧) رجال الشيخ: ٧٧ / رقم ٧٤١.
- (٢٨) الإصابة ٤: ٥٤٤.
- (٢٩) الثقفي، إبراهيم، الغارات ٢: ٧٨٤، ط أوفست بهمن.
- (٣٠) المنقري، ابن مازام، وقعة صفين: ١١٧، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة - منشورات مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٣ هـ. ق.
- (٣١) الاشتراق: ٣٣٣.
- (٣٢) نفس المصدر السابق.
- (٣٣) الطبقات الكبرى ٥: ٥٦٣.
- (٣٤) وقعة صفين: ١١٦-١١٧.
- (٣٥) الغارات ٢: ٣٨٤.
- (٣٦) رجال الشيخ: ٧٧ / رقم ٧٤١.

- (٣٧) تقدم أنهم ستة عشر.
- (٣٨) الطبقات الكبرى ٥: ٥٦٤.
- (٣٩) الطبقات الكبرى ٥: ٥٥٩.
- (٤٠) البخاري، إسماعيل بن إبراهيم، التاریخ الكبير ١ (ق٢): ٢٣٦ باب (جارود)، المکتبة الإسلامية، دیار بکر، ترکیا.
- (٤١) السمعانی، سعد بن عبد الکریم، الأنساب ٤: ١٣٥، دار الجنان، ط١، بیروت.
- (٤٢) نفس المصدر السابق.
- (٤٣) الطبقات الكبرى ٥: ٥٦٠.
- (٤٤) ابن کثیر، البداية والنهاية ٧: ١٢٠، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨ م، بیروت.
- (٤٥) الطبقات الكبرى ٥: ٥٦١.
- (٤٦) لا يخفى على القارئ رکاكتة الأبيات، وعدم انتظامها، وقد ورد بهذه النص.
- (٤٧) الأنساب ٤: ١٣٨.
- (٤٨) ابن قبیبة، عبد الله بن مسلم، المعرف: ٣٣٨، دار المعارف، القاهرة.
- (٤٩) تاریخ الطبری ٥: ٥.
- (٥٠) نفس المصدر السابق.
- (٥١) الطبقات الكبرى للواقدي ١: ٣١٤.
- (٥٢) الإصابة ٣: ٤١٠.
- (٥٣) الإصابة ٦: ١٧٧.
- (٥٤) النووی، یحیی، شرح مسلم ١: ١٨١، دار الكتاب العربي، ط ١٩٨٧ م، بیروت.
- (٥٥) الإصابة ٣: ٣٣١.
- (٥٦) قاموس الرجال ١٠: ٢٥٧.
- (٥٧) القمي، شاذان بن جبریل، الروضۃ في فضائل أمیر المؤمنین علیه السلام، تحقيق علی الشکرجی، ط١، قم، ١٤٢٣ هـ.

- (٥٨) الطبقات الكبرى للواقدي ١: ٣١٤ .
(٥٩) الطبقات الكبرى ١: ٣١٥ .
(٦٠) الميانجي، الأحمدى، مکاتيب الرسول ٣: ط١، دار الحديث، طهران، ١٤١٩ هـ .
(٦١) الإصابة ٣: ٣٣١ .
(٦٢) الثقات ٢: ٣٠ .
(٦٣) قاله الرباني الشيرازي في تعليقته على البحار ضمن تحقيقه له، البحار ٢٠: ٣٦٩ .
(٦٤) البحار ٢٠: ٣٦٩ .
(٦٥) الزيلعى، جمال الدين، شرح بداية المبتدى مع نصب الراية ٤: ٢٤٣، دار الحديث، مطابع الوفاء، ط١، ١٩٩٥ م، القاهرة .
(٦٦) الطبقات الكبرى ٤: ٣٦٠ .
(٦٧) العصفرى، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط: ٥٧، دار الفكر، بيروت .
(٦٨) الإصابة ٦: ١٧٠ .
(٦٩) أسد الغابة ٥: ٩ .
(٧٠) الإصابة ٦: ١٧٠ .

التشييع.. حقائق مطلقة بالنور

علي أحمد الكربابادي

تمهيد:

نحاول التعرض في هذه الورiqات إلى بعض الحقائق والامتيازات التي بُرِزَ فيها الشيعة الإمامية، فكانت لهم وسام شرف يحق للمفتخر أن يفتخِر به، ولكننا قبل الإشارة إلى هذه الحقائق لابد لنا من مدخل حول التشيع، وهو وإن كان سِيَّلاً مأولاً، إلا أن مقتضى البحث الإمامي إليه، ولو اختصاراً كمقدمة تصورية حول الشيعة، ومن هم المرادون والمقصودون في هذا البحث؟!

مدخل تصوري للبحث:

أما معنى الشيعة والتَّشِييع، فيمكن أن نشير إليه كأصل لغوي، ومن ثم نشير إلى المقصود منه في الاصطلاح.

الشيعة لغة: القوم الذين يجتمعون على الأمر. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع. والشيع: الفرق، **﴿وَإِنَّ مِنْ شِيَعَتِهِ لَا يُبَرَّأُهُمْ﴾**.

والشيعة أتباع الرجل، وأنصاره، وجمعها: شيع، وأشياع: جمع الجمع. وفي الحديث: القدرية شيعة الدجال؛ أي أولياؤه، وأنصاره. وأصل الشيعة: الفرقـةـ من الناس، ويقع على الواحد والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث بلفظ واحد، ومعنى واحد. وقد غالب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته (رضوان الله عليهم

أجمعين)، حتى صار لهم أسماء خاصا، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنه منهم^(١).
الشيعة اصطلاحاً: أما الشيعة في الاصطلاح واستعمالات الفرق والمذاهب، فلها
عدة استعمالات، وإطلاقات، فقد تطلق ويراد منها:

١) الاعتقاد بإمامية أمير المؤمنين بلا فصل؛ لأنّه أفضل الصحابة؛ ولأنّ النبي
استخلفه من بعده، والاعتقاد باستمرار الإمامة في أبنائه من فاطمة الزهراء، ولا
يحظى أحد غيرهم بهذا الحق.

٢) كل من اعتقاد بأفضلية علي عليه السلام على سائر الصحابة، وعلى الخلفاء الذين
سبقوه، مع عدم اعتقاده بالنصر على إمامته وولايته بلا فصل. ويطلق هذا
الاصطلاح أحياناً على كل من فضل علياً على عثمان.

٣) يطلق على كل من يظهر المودة والمحبة لأهل البيت عليهما السلام، فقد اتفق
المسلمون قاطبة على وجوب محبة أهل البيت عليهما السلام، ولم يكن أحد باستثناء
النواصب - العداء لهم^(٢). وفي وجوب محبتهم يقول الشافعي:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد النقلان أني راضٍ
ويقول أيضاً:

يا آل بيـت رسـول الله حـبكم فـرض من الله في القرآن أنـزلـه
كـفـاكـم من عـظـيم الشـأن أـنـكـم من لم يصلـ عـلـيـكـم لا صـلاـة لـه
وقـال الزـمخـشـري في هـذـا المعـنى:

كـثـر الشـكـ وـالـخـلـافـ وـكـلـ يـدـعـي أـنـهـ الصـراـطـ السـوـيـ
فـتـمـسـكـتـ بـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـعـلـيـ فـكـيفـ أـشـقـيـ بـحـبـ آـلـ النـبـيـ؟ـ

الشيعة في الروايات:

أطلق النبي ﷺ على جماعة لفظ: (شيعة علي)، وعرف بعض الأصحاب في عصر الرسالة بشيعة علي عليه السلام، منهم سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، وهنا روايات ثلاثة:

الرواية الأولى: السيوطي، عن جابر بن عبد الله الأنباري، وعبد الله بن عباس، قالا: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي عليه السلام: «والذي نفسي بيده، إن هذا وشييعته هم الفائزون يوم القيمة». ونزلت: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾**، فكان أصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

الرواية الثانية: وروى السيوطي عن ابن مردويه: أن علياً قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ألم تسمع قول الله ﷺ: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ؟! أنت أنت وشييعتك، وموعدكموعدكم الموهوب، إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غرّاً محجلين) ^(٣).

الرواية الثالثة: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأقبل علي، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «والذي نفسي بيده، إن هذا وشييعته هم الفائزون يوم القيمة» ^(٤).

معنى خاص للشيعة: (الشيعة هم الحسن، والحسين):

نقل بعض العلماء أن بعض الروايات تجعل الشيعة هم الحسن والحسين، ونحن إذا راجعنا الرواية المروية عن مولانا الرضا عليه السلام في كتاب الاحتجاج، وأنه احتجب فترة عن شيعته، ثم أذن لهم..إلخ، نرى مثل هذا المعنى من الإشارة إلى أن الشيعة هم

الحسن والحسين عليهما السلام، ومن سار على هداهما، فقد جاء في الرواية: قدم جماعة، فاستأذنوا على الرضا عليه السلام، وقالوا: نحن من شيعة علي، فمنعهم أياما، ثم لما دخلوا قال لهم: «ويحكم، إنما شيعة أمير المؤمنين الحسن، والحسين، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار، ومحمد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره»^(٥). ونحن إذا ما أرجعنا التشيع إلى معناه اللغوي، وقلنا بأنه: الاتباع، والموالاة، فلا شك في أن اتباع الإمامين الحسينين عليهما السلام لأبيهما عليهما السلام ليس كمثله اتباع، فبهذا يكون تشيعهما لهذا الحق ليس كمثله تشيع، وإنما معنى التشيع هو ما تقدم من الاتباع في اللغة، ومن كونه إشارة إلى تلك الفرقة المعتقدة بعلي عليه السلام بأحد أنحاء الاعتقاد، في الاصطلاح.

وخلاصة القول، ومراد الكلام أن التشيع في عرف المذاهب صارت له غلبة في تعريف من يوالي علي عليه السلام، ويقول بإمامته، وأحقيته، ويتبع ما جاء فيه، وفي الأئمة من بعده عليهما السلام، فإن الغالب في تبادر الناس من لفظ التشيع هو الشيعة الاثنا عشرية الإمامية الجعفرية، وإن كان لفظ التشيع يطلق ويراد به بعض الفرق الأخرى، التي وقفت على بعض الأئمة عليهما السلام، فلم تقل بالأئمة الاثني عشر كلهم، إلا أنه في الغالب تحتاج مع ذلك إلى القرينة الخاصة على تعيين هذه الفرقة المرادة، وأما مع التجدد عن القرينة فإن المتبادر الفعلى في يومنا من لفظة التشيع هو المذهب الجعفري.

الشيعة وحقائق الهدى:

مهما حاولت الأطراف المختلفة أن تحجب نور التشيع وشعاعه، إلا أنه يبقى الأشد نفاذًا، والأكثر تردا على حجب الفتنة والتشويه، فلست تجد مذهبًا محاربا كما هو مذهب التشيع، وكأنه ورث الحصومة التي اشتكتى منها رسول الله عليه السلام منذ أن

أعلن الدعوة الإسلامية، بل الأمر كذلك، فقد رضي بأن يتخندق مع الرسول الأكرم ﷺ في ذلك الخندق الواحد، خندق المظلومة، والصبر، والرحمة، والهداية، والعطاء؛ ليقف معه يوم القيامة موقف الاختصار إلى الله تعالى، فمنذ عصر الرسالة وإلى يومنا، مروراً بالحقب السوداء في تاريخ الإسلام، سيما عصر الأمويين، والعباسيين، الذين كانوا يسيرون على مشروع واضح المعالم في إبادة ذرية الرسول ﷺ، والانتقام من أبناء الزهراء عليها السلام، فإن الشيعة كانوا - ولا زالوا - يواجهون بحرب الوجود، عبر القوة العسكرية، وتجنيد المفتين المبيحين لدماء الشيعة، وشبكات عصابات الإعلام غير النزيحة، وكتاب التاريخ المسترزقين على بلاط الجور، مع كل هذه الجهود، والتي تجد مثالها الأبرز في العصر العباسي، حيث كان التاريخ يدون تحت رقابة السلطات المعادية للرسول ﷺ وأله عليهما السلطنتان، فإن التشيع لا زال يحتفظ بوهجه وتألقه، وهنا لا ندعوا إلى اتخاذ التشيع عقيدة بقوة السيف، ولم يعهد العالم والتاريخ تودّداً ورحمة كما هي عند الشيعة، فليس منهجمهم الإنقاع بالسيوف، بل ندعى أن لدينا ما يفي لكل باحث منصف ينشد الحقيقة، ولا ندعوا إلى أكثر من الاستماع، وهذه من أبرز مميزات الشيعة، أنهم يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، وإن أكثر ويلات الأمة الإسلامية تُنبع من الاستنكاف، ومن وضع الأصابع في الآذان، ومع هذا فليس بجتنا هنا بحث استدلال، ولا تصحيح، أو تخطئة، ولذلك محله الخاص، يسعى له من يجد للإنصاف أهمية في وجده.

عقائد الشيعة قائمة على الدليل:

إن عقائد الشيعة قائمة على الدليل، فهم قد تعبدوا بالدليل، وبالحق أينما وجد، وهذا لم يأبوا عن قبول الإمامة، والتي هي وصية رسول الله ﷺ، فصارت أحاديث

الرسول ﷺ - والائمة علیهم السلام - مصدر معرفة كبير، يتميز به الشيعة عن غيرهم، فعقائدهم غنية، مليئة بالمحتوى، فعلى هذالم يحتاج الشيعة إلى التخطيط في الاجتهاد عن طريق العمل بالرأي، والاستحسان، والإفتاء على خلاف الدليل بعنوان الاجتهاد، فإن لفظ: (الاجتهاد) وإن تم تداوله عند الشيعة، إلا أنه لا يعني ذلك الاجتهاد بمعنى الإدلة بالآراء الشخصية في دين الله، بل بمعنى بذل الوسع في معرفة مراد النصوص الشرعية، ففرق شاسع في المقام بين اجتهاد الشيعة وبين العمل بالطرق غير العلمية في رفد الجمهور معرفياً، وهذا المعنى لا يراه إلا المنصف، الذي يرثى الإبصار، ودونك انبهار الشيخ سليم البشري بالطاقة العلمية والفكرية الهائلة التي تتبعها مدرسة التشيع في نقاشه للسيد شرف الدين حنفي.

علاقة الشيعة بالحكومات:

إن علاقة الشيعة بالحكومات الظالمة من ضمن المميزات والفارق عن بقية الطوائف، فبينما تبرر بعض الفرق أعمال الظلمة، وتعتبرهم أولى الأمر - تبعاً لسطحية وخواط العقيدة، وآليات التوصل للمعرفة -، يفسر الشيعة أولى الأمر بتفسير آخر، كما في رواية جابر التي يكشف فيها الرسول ﷺ عن أسماء أولى الأمر، ومن هذه الناحية فإن الشيعة لم يشتركون في جريمة دعم الظلم، ولم يشكلوا - كما عند بعض الفرق - أعمدة وقواعد لدعم الأنظمة الجائرة عبر منظومتهم الفكرية، ورؤيتهم الفقهية، والعقائدية، وتاريخهم السياسي في التعاطي مع الظالم، وهذا أجاز الشيعة الخروج على الظالم، بل اعتبروه من أوجب الواجبات، ولكن وفق ضوابط خاصة.

علاقة الشيعة بالعلماء:

وهي من ضمن أهم المميزات، فبينما ترى في بعض المذاهب عالم الدين لا يكون مورد حاجة إلا في عقد الزواج، والصلة على الأموات، ووعظ السلطان، ترى العلماء عند الشيعة مورد اعتماد في كل صغيرة وكبيرة، باعتبار تصديهم لتنظيم سير المجتمع، وباعتبار بيانهم لأحكام الشريعة، وهذا ما يسمى بالتقليد عند الشيعة، وهو من أعظم النعم التي تشكل هذا النسيج الاجتماعي المترابط، وهو صورة مصغرة لعلاقة الرسول ﷺ، والأئمة علية السلام، بل قد تأخذ هذه العلاقة درجة من الإفراط في بعض الأحيان، وذلك عبر الصراع في الخطوط والتيارات.

والخلاصة في هذا المقام أن هناك علاقة فريدة بين القاعدة والجمهور، وبين العلماء عند الشيعة، بينما تجد عزلة واضحة للعلماء غير الشيعة عن قاعدهم وجمهورهم، بل لا تجد في بعض الأحيان ما يستهوي الجمهور لدى العلماء من غير الشيعة على غرار ما هو موجود لدى الطائفة الشيعية، وكل كلامنا لا يعدو التوصيف الإجمالي الذي يبرز تميزاً خاصاً عند الشيعة في هذه الجوانب، فلا ننفي وجود مقدار من هذه المواقف عند غير الشيعة بشكل مطلق، بل ولسنا في مقام بيان نسبة هذا المقدار الموجود، وإنما نهدف إلى رؤية الواقع الإسلامي من خلال إطاره الجامع، والذي يتلخص فيه مذهب آل الرسول ﷺ نحو تأكيد خاص.

الثورات عند المذاهب الإسلامية:

بناءً على ما تقدم، فإن الثورات عند الشيعة على خلافها عند غيرهم، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض كلمات للشهيد المطهري عليه السلام حول السيد جمال الدين، إذ يقول: إن جمال الدين الأفغاني - وتبعاً لمعرفته بالمجتمعات، وما هياتها، من خلال سفراته الكثيرة، وتبعاً لمعرفته بالمجتمع الشيعي، والمجتمع السني - فإنه أدرك التفاوت

بين العلماء الشيعة، وبين العلماء السنة، فكان لا يرى المؤسسة الدينية السننية مؤسسة مستقلة، لها قدرتها الخاصة في مقابل الاستبداد، والاستعمار، بل يراها مؤسسة مرتبطة بالحكومات، فهي على مدى قرون تعرف الحكومات للمجتمع السنفي تحت عنوان: (أولي الأمر)، وهذا لم يذهب في المجتمعات السننية إلى العلماء، بل ذهب مباشرة للشعوب، أما علماء الشيعة فليسوا كذلك، والمؤسسة الدينية الشيعية مؤسسة مستقلة، وها قدرة شعبية، وهي دائماً مع الشعب، وفي قبال الحكومات الظالمة، وهذا فالسيد جمال الدين أول ما ذهب في المجتمعات الشيعية، ذهب إلى العلماء، وأخذ يطرح عليهم مشروعه، فهم قادرون على تحريك الناس^(٦).

استقلال المؤسسة الدينية الشيعية مادياً:

وتبعاً لما تقدم من علاقة الناس بالعلماء الشيعة، واعتقادهم بوجوب التقليد، ولزوم أداء الخمس في أموالهم، فهم يؤدونها للفقهاء بكل اطمئنان، وراحة بال، وفي هذه النقطة أمران مهمان:

الأمر الأول: إن هذا الصخب الهائل في مسائل الخمس عند الشيعة -والذي لا تجده عند غيرهم - دوره المهم في اقتصاد الشيعة، والمحوزة العلمية، واستقلاليتها، وهذا تراها أجراً من غيرها في اتخاذ القرارات، وأكثر مصادمة لقوانين الجور، والظلم، بينما ترى غيرهم موظفين لدى الحكومات، يتناقضون رواتبهم من قبلها في كثير من الأحيان، وهذا لا يأمن من المعارضين في مثل هذه الحالة من أن تتبدل مواقفهم جراء تبعيthem المالية للحكومات، وهذا ما شكل داعياً لدى الحكومات لكسر هذه الحالة من الاستقلالية المالية، وفرض معادلة أخرى تفرض التبعية المالية للحكومات في كل صغيرة وكبيرة من الشؤون الدينية، فهي وإن كانت تكلف خزينة الدولة إلا

أنها تأمل في كسر هذه القاعدة والمعادلة المتمثلة في استقلال المؤسسة الدينية عند الشيعة.

وإن هذه الاستقلالية آثارها الخطيرة والمحرجة للحكومات، وشاهده المعاصر هو صرف حزب الله في لبنان للمبالغ الطائلة لإعادة إعمار القرى المهدمة، وتعويض الناس والضحايا، على غرار ما فعله السيد الإمام الخميني رحمه الله من قبل، حيث صرف الرواتب لموظفي شركة النفط في إيران لما أضرروا عن العمل، وأصدر الشاه قراراً بعدم صرف رواتبهم، وأنه سيستبدلهم بعمال إسرائيليين، أو أجانب، حينها أفتى الإمام الخميني قدس سره بهدر دم هؤلاء الأجانب إذا جاؤوا إيران، وعوض العمال من الحقوق الشرعية، وهذا ما يحلو للبعض تسميته: (دولة داخل دولة).

والأمر الثاني: إن الجدير بالذكر أن منشأ هذه الاستقلالية المالية هو الثقة المتبادلة، والتدين عند كل من العلماء والملقدين، فالناس لا يرون في مراجعهم أنهم أصحاب بذخ وترف، بل يرونهم أناساً يخدمون الدين، مستعدين لتقديم دمائهم تضحية في سبيل الدين، وطالما عمموا بقصوة من قبل الحكومات الظالمة، فـأدخلوا السجون، وعذبوا في سبيل هذا المبدأ، فالجمهور الشيعي بذلك يدرك التمايز بين هؤلاء العلماء، وبين المدعين، ويبقى لذلك حضور العلماء في وجдан الجمهور بنحو أكيد، وهذا بدوره يؤثر على القاعدة الشيعية، فتراها أكثر تديننا والتزاماً بالأحكام الشرعية من غيرها، وأكثر خوفاً في قضية امتثال أحكام الشرع، وهذا فإن حالة الاستفتاء والرجوع للفقهاء لعرفة الحكم الشرعي لم تصل لدى فرقة من الفرق ما وصلت له عند الشيعة الإمامية بحسب الظاهر.

كل هذه الثقة المتبادلة بين العلماء وبين الجمهور الشيعي، لا تجد لها نظيراً عند من جعل الخط الأساس لعلاقته بالحكومات هو التبعية والولاء، فأولئك أقرب

للموظفين لدى الحكومات منهم للعلماء، وهذا ما يفقد قواعدهم تلك الثقة فيهم، وهو بدوره يؤثر على تدين القاعدة والجمهور، وقبلها للأحكام الشرعية من هؤلاء العلماء، سيما إذا ما اقتضت السياسة في بعض الأحيان أن يُحرّم هذا العالم - أو ذاك - الدعاء للمسلمين في حربهم مثل إسرائيل، أو أن يكون لهذا العالم موقف مؤيد لزع المحاجب عن رؤوس المسلمات، أو أن يصافح هذا العالم ذلك الجزار الصهيوني، وعلى هذا المنوال.

الروابط الاجتماعية لدى الشيعة:

إن للترابط الاجتماعي عند الشيعة نكهة خاصة، وإن لذلك عدة عوامل، منها ما لدى الشيعة من فكر، وعقائد، وشعائر جماعية، - وسنذكرها تحت عنوان خاص - كلها تفرض عليهم نوعاً من التلاقي، وتدعوهم للتكاتف، ويكتفي في ذلك التأمل في حقوق المؤمن على أخيه المؤمن التي جاءت في الروايات؛ كالتعبير بأن يدخل الأخ يده في جيب أخيه، ويأخذ حاجته، وكقول الله تعالى: ﴿إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فهذا الحس الديني البارز عند الشيعة من أهم العوامل المؤثرة في هذا الترابط الاجتماعي.

تناولت بعض الدراسات هذه الحالة من الترابط الاجتماعي عند الشيعة في دولة كالبحرين، حيث إن الملاحظ هو وجود العديد من الصناديق الخيرية لدى الشيعة، والتي لها دور فاعل في حياة الناس الاجتماعية، على خلافه عند السنة، وهذا ما يعتبره بعضهم تحدياً من التحديات التي تحتاج لعلاج، وحلحلة، فتنذكر هذه الدراسة أن لدى الشيعة ٧١٪ من إجمالي الصناديق الخيرية، بينما لدى السنة ٢٩٪ منها، مما يعتبر - بحسبهم - خللاً في توزيع الصناديق الخيرية^(٧)، وكان الصناديق نشأت

ولدت في أحضان الدولة، وعلى حساب الميزانية العامة، لا أنها وليدة لهذا الحسن الاجتماعي الفريد! حيث تميز الشيعة في هذه البقعة -كغيرها- بإحساس الناس بحاجة إخوانهم.

ولعل هناك عاملان مساعدا في تقوية الروابط الاجتماعية لدى الشيعة في كثير من البلدان، وهو الوضع المادي الضاغط، حيث إن الفقر والمعاناة الناشئة من الحاجة إلى الإسكان، إضافة إلى ارتفاع النسبة السكانية، كل ذلك تسبب في خلق حالة أكثر من التلاقي، وقضاء الناس لمعظم أوقاتهم إلى جنب بعضهم البعض، ولعل إدراك بعض الحكومات لهذه الظاهرة -حيث ينشط الشيعة في إقامة الفعاليات الدينية والسياسية- جعلها تحاصر الشيعة في رزقهم، وفرض نظام عمل الفترات الإضافية، وبذلك يتم عزل الشيعة قدر المستطاع عن مجتمعاتهم، وعن الانخراط في برامج الإصلاح والتطوير.

الشعائر الأولى بلا منازع:

الشعائر ذات المحتوى العالي من أهم مميزات الشيعة عن غيرهم، ولا نرى تفسيراً لذلك إلا لتولد الشيعة من صميم الدين، ومعرفتهم بأصوله، وتذوقهم لحلاؤه شعائره شعيرة شعيرة، فأنت ترى موسمًا واحدًا يشتراك فيه الشيعة مع غيرهم في هذه الشعائر، ويتميزون بهم بعدة من المواسم الأخرى.

والموسم المشترك هو موسم الحج، وهو على اشتراكه مختلف لدى الشيعة عمما لدى غيرهم، فهو عند الشيعة يحمل بصمة الرسالة، ويقف على معلم النبوة معلماً من بعد معلم، ويرى آثار الإمامة منطبعة على مناسكه منسكاً من بعد منسك، ولأهل الحج حنينهم وشوقهم الخاص، ولذة لا يحيط بها الوصف، فالحج عند الشيعة مليء

بالأدعية، والأوراد المؤثرة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهما السلام، ومليء بالموافق الآخذه بالألباب، والأبصار، والمليئة بالشعور، والذكريات، والخشوع، والخضوع، والتذلل، فما أجمل موقف عرفات ودعاة الحسين عليهما السلام، وتذكر الناس له رافعا كفيه، ودموعه تجري على خديه، وهو يدعو: (إلهي، أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيرا في فقري؟! إلهي، أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولا في جهلي؟!...)، فمثل هذه المواقف الممتزجة بالتاريخ، والحاضر، والمستقبل، والأملة في رحمة الله، لا تجدها عند غيرهم.

وأما المواسم التي يتميز بها الشيعة عن غيرهم فهي مثل موسم محرم الحرام، وشهر رمضان الكريم، وهو اللذان يمثلان ذروة التلاقي الاجتماعي، والتفاعل المجتمعي لدى الشيعة، وذروة النشاط الديني، والمعرفي، والعاطفي، فمحرم الحرام مزيج من المعرفة، والتبلیغ، والدعوة إلى الله، وتناول قضايا الأمة، ولا تجد منبرا دائماً كمنبر الشيعة، والذي ألفه الصغير والكبير من أبناء الشيعة، فالعالم الشيعي بأسره يأنس بالشيخ الوائلي، وهو يسمع نغمته الخاصة، والتي ساهمت في صياغة أكثر من جيل على المستوى الروحي، والعلمي، والعاطفي، فهل يوجد مثل هذه الحالة من التواصل مع مصادر الذكر والمعرفة لدى غير الشيعة؟! وهل يوجد مثل شهر محرم الحرام عند غيرهم؟!

وأما شهر رمضان فهو يعكس جنبة أخرى من التواصل، والتزاور، وصلة الأرحام، وقراءة القرآن، وارتياد المآتم، والندوات، وفعاليات التبلیغ، والتعليم.

ومن مواسم الشيعة العظيمة تلك المواسم المتعددة على طول السنة الهجرية، بدءاً بشهر محرم الحرام، وعوداً إليه، مروراً بليالي القدر، والنصف من شهري شعبان ورمضان، حتى أمسيا عيدين لدى منجاور الشيعة من فرق المسلمين، ومواليد

الأئمة علیهم السلام، وعيدي الفطر والأضحى، والعيد الأكبر بصلبه، وزينته، وبهجهة، وسروره، عيد الغدير الأغر، وكذلك المبعث النبوى الشريف، والوفيات، وليلات العبادة، والذكر، فهل يوجد لدى غير الشيعة كتاب ككتاب مفاتيح الجنان، والذي يرتبط به كل بيت شيعي؛ ليكون برنامجا له على مدار السنة؟!

وأما محتوى أدعية الشيعة فهو فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، فلا ترى صاحب شعور وقلب قد استمع لها إلا وتفتحت لذلك أساريره، وجرت عبراته، وهنا يقف المحتوى الروحي والبلاغي لأدعية أهل البيت علیهم السلام موقف المتحدي، فمن المستحيل أن ترى دعاء كأدعيتهم لدى خلق من خلق الله، أيا كان، ولدى أي فرقة، أو طائفة، أو مذهب، أو دين، بأي اسم تسمى، ويكتفيك أن ترى حالات غير الشيعة الكثيرة، والمتكثرة، والتي تسير بذكرها الركبان، من الدهشة عند سماعهم لأدعية أهل البيت علیهم السلام في مثل الحج، وال عمرة.

كل هذا ناهيك عن الإحياءات الجماعية في المناسبات عند الشيعة، والتي لا ترى نظيرا لها، فالحج والعمرة فيها النصيب الواسع للشيعة، ويكتفيك أن تسمع الحرام يشدو بأركانه بدعاة الفرج للحجاج علیهم السلام، مع كل وسائل التضييق على الشيعة، وبعد ذلك عرّج على مشاهد الأئمة علیهم السلام؛ لترى كيف يعج الشيعة حول ضريح الإمام الحسين، وغيره من الأئمة علیهم السلام، فهي ليست شعارات جوفاء، أو جافة، وإنما هي غيث من العبادة، والطاعة، والشوق، والعاطفة، ينصب على أودية القلوب بقدرها.

الشيعي هو الإنسان بمعنى الكلمة:

إن تعامل الشيعة الإنثاني مع بنى البشر يشكل اعتقادا راسخا، فليس تكتيكا

أو مصلحة عابرة، بل هو تعلم ديني ثابت، تجده في مثل أقوال الأئمة عليهما السلام، حيث أمر الأمير عليهما السلام مالكا الأشتر عليهما السلام بأن ينظر إلى كل رعيته نظر الأب الحنون، فقال فيهم: «فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»^(٨).

إن من أبرز الأمثلة هذه الإنسانية هي تعامل الشيعة مع الأسرى، وهم الذين أخذوا درسهم من علي عليهما السلام لما قتل ابن ملجم، فأمر الحسن والحسين عليهما السلام بأن يحسنا معاملة هذا الأسير، وكان يطعمه من طعامه، وهو الذي كان يعلم مسبقاً بتدبير ابن ملجم لهذا الاغتيال، بناءً على هذه التربية الدينية التي تلقاها الشيعة من أهل البيت عليهما السلام، وهم من علموهم أن الإسلام قيد الفتك^(٩)، وأن المؤمن لا يغدر، ولا يفجر، ولا يفعل ما يشين، لذلك ترى ذروة التعامل الإنساني مع أسرى الشيعة؛ فمثلاً تجد الإمام الخميني قد حُبس حينما اعتقل شبابُ جامعة طهران الجواسيس الأمريكية أمر بإطلاق سراح النساء اللواتي لم يتورطن في الجرائم، وأطلق السود، ثم بعد ذلك أطلق جميع الأسرى في صفقة سياسية، فلا مجال للانتقام والتشفى في عقيدة الشيعة، فإن كان غرض إنساني فهو، وهذا عين ما حصل مع رئيس الجمهورية الحالي في إيران، فبينما تشاهد مشاهد قطع الرؤوس عند غير الشيعة من غير تفريق بين كون الضحية شيعياً، مسلماً، كافراً، سياسياً، إعلامياً، وترى دمعات الأسرى، وذويهم، وتسمع بكاءهم فزعين من هذا التعامل الذي صدم ضمير الإنسانية، عبر به لجرائم حزب الرؤوس على الشاشات، ترى التعامل الإنساني عند مثل الرئيس نجاد حينما أرجع الأسرى البريطانيين معززين مكرمين، وجعل هذا الإفراج عنهم هدية للشعب البريطاني، ولسنا في مقام الدعاية والترويج لهذا الرئيس أو ذاك، وإنما نشير إلى هذه الثقافة، وكونها وليدة لمثل هذه التعاليم الدينية التي تستحق التأمل والوقوف عليها، ودونك تعامل حزب الله مع أسراه، بل وتعامله حتى مع

العلماء، والذين جنفهم كل مظاهر الإهانة، والتوهين، الحال أن غيره لو ظفر بهم على مثل هذه الحالة لما اكتفى بقتلهم، وليس في كلامنا إسقاط على فرقة ما، سنية كانت أو غير سنية، فلا يحمل كلامنا إلا على ظاهره من الإشادة بالثقافة الشيعية الراقية.

السبّاقون في تحريم الدماء:

وتبعاً لما تقدم ترى هذه المفارقة، فبينما يكفرُ الشيعةُ، ويقتلون على الهوية، ولا زالوا يقتلون، ومنذ سنوات، ولا ترى ردة فعل كافية لدى علماء الفرق الإسلامية لإيقاف هذه الانتهاكات، وسفك هذه الدماء المحرمة، ترى علماء الشيعة - وب مجرد صدور بعض ردات الفعل والقتل على الجانب الآخر - يصدرون فتاواهم بجريمة ذلك، ويعنك أن تراجع في ذلك فتاوى السيد السيستاني حفظه الله، والتي تدعو إلى عدم التعرض حتى للمسيحيين، والصابئة، وغيرهم، فقد صدر من جهة: (..أما سمعتم أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الإسلام، وأرادوا انتزاع حليها، فقال عليه السلام: «لو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفما ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً») ^(١٠).

فبينما ترى أمثال الشيخ القرضاوي يصور -وبكل انفعال- حال السنة بالمجازر، ويناشد المراجع لإيقاف نزيف الدم كما يعبر، ويكتف عن هذه الضجة حينما تتوقف المواجهة من الطرف الشيعي بفعل الحكمة البالغة، والحرص لدى علمائه.

مع ذلك فأنت لا تسمع مع كل ما يتعرض له الشيعة من قتل، وتشريد، واعتداء، وهم الذين كانوا -ولا زالوا- يقتلون على الهوية في كل يوم، لا تسمع من علماء الشيعة إلا دعوات ضبط النفس، ولا تسمع إلا اللغة المخاطبة لهم بلسان

الوطنية، والمحفظ عن الانزلاق في مزلقات الطائفية، فهل يقدّرُ هذا التحمل والتفاني الشيعي في حق الدين، والوطن، والمصالح العامة؟! وهل يؤمل من علماء السنة أن يوقفوا هذه التجاوزات التي هي على مرأى وسمع منهم؟! أم لا زلت لا ننتظر سوى الفتاوي المحرمة للدعاء للشيعة، والتي تکفرهم، وتعتبرهم أسوأ من اليهود، والنصارى؟!

فتوى الشيخ شلتوت:

ونحن لا ننسب هذا التكفير والإساءة لكل علماء السنة، فواضح للعيان تلك الشخصيات المنصفة، وصاحبة المواقف النزيهة، الدينية، والوطنية، والسياسية، ومن ضمن المواقف الدينية والتاريخية المشكورة: الاعتراف الذي صدر من قبلشيخ الجامع الأزهر بمذهب أهل البيت ع على أنه مذهب إسلامي، وليس أتباعه كفارا؛ حيث جاء في الفتوى: «إن مذهب الجعفري المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة»^(١).

الشيعة والدعوة للوحدة:

تميزت الشيعة بقوة دعواتها وبادراتها للوحدة الإسلامية بنحو مدهش، قل نظيره، ومع آنماض لا ننكر الجهود المبذولة من الطرفين، إلا أن عمق دعوات الشيعة، وطابعها بعيد النظر، وتواصلها المستمر، وعملها الدؤوب على هذه الفكرة، هو ما يميزها عن دعوات الوحدة عند غيرهم، فأنت تجد لدى الشيعة استثماراً للمناسبات التي قد تعتبر محطات احتلاف ولو جزئياً، كتاريخ مولد النبي عليه وآله وآل بيته ع عند الشيعة،

وتاريخه عند السنة؛ لتصير إلى مناسبات اللقاء، ووحدة مستمرة، وطويلة الأمد، وهو أسبوع الوحدة الإسلامية الذي دعا إليه الإمام الخميني قده، واستمرت هذه الدعوات، والمؤتمرات، والمؤسسات بعد دعوة الإمام الخميني، وتقيز عام ١٤٢٨ هـ. ق. بدعة كبيرة من قبل المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين بقيادة سماحة العالمة الشيخ عيسى أحمد قاسم للوحدة، فكان شعار ذلك العام: «نحو وحدة وطنية وإسلامية جامعة»، زامن ذلك إعلان سماحة آية الله العظمى السيد القائد الخامنئي للوحدة في إيران باعتبار العام الهجري الشمسي المزامن عاماً للوحدة الوطنية، والانسجام الإسلامي كذلك.

الشيعة وقضية فلسطين:

ومع أن المتصل المباشر بقضية فلسطين هم السنة، إلا أن أكبر دعوة تحرك شوارع كل العالم الإسلامي وقوفا مع القضية الفلسطينية - وإلى اليوم - هي دعوة الإمام الخميني قده لاعتبار آخر جمعة من كل شهر رمضان يوم القدس العالمي. أما دعوات غيره من العلماء الماضين والمعاصرين فكثيرة، ومتجلسة في فتاواهم، وتذكر في هذا المجال فتاوى وبيانات مثل سماحة المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحيمه، ومنها قوله: (فيما أيها العرب، ويما أيها المسلمين، بل يا أيها البشر، ويما أيها الناس، أصبح الجهاد في سبيل فلسطين واجبا على كل إنسان، لا على العرب والمسلمين فقط) ^(١٢).

وأما السيد محسن الحكيم قده - وهو من كبار المراجع - فقد أفتى بأن التطوع بسلوك العمل الفدائي، والانخراط فيه من أجل إنقاذ القدس الشريفة من أفضل الأعمال، بل هو من أهم الواجبات الدينية إذا كان جاريها على الموازين الالزمة عن

قيادة حكيمة، وكان بحيث لا يلزم منه ضرر على المسلمين أعظم من الإضرار بالعدو المجرم^(١٣). وكذلك ما جاء في رسالته للمؤتمر الإسلامي للقدس.

وأما السيد الشهيد الصدر قد ذكر في كلامه حول التسوية مع إسرائيل:

(إن من يقبل الصلح مع إسرائيل فقد خرج من الإسلام)^(١٤).

وفي مقابل هذه الفتوى وفتاوي الشرفاء، تجد فتاوى مثل الشيخ ابن باز الذي جوز الصلح مع إسرائيل، وذلك في تصريحه لمجلة الحياة اللندنية، في عددها الصادر في ٢٢/١٢/١٩٩٤م، حيث قال: (نجوز المدنية مع الأعداء مطلقة ومؤقتة إذا رأىولي الأمر مصلحة في ذلك)، وتجد كذلك فتاوى تحرم العمليات الاستشهادية، وتعتبرها قتلاً للنفس، وهي فتواي عثمان الخميس في موقعه (المنهج)، تحت ركن الفتوى بعنوان: (انتحار أم استشهاد؟)^(١٥).

فمواقف فقهاء الشيعة المشرفة معروفة واضحة، ويمكن مراجعة موقع الفقهاء الإلكترونية؛ لمعرفة هذه الفتوى في حق القضية الفلسطينية، لا سيما موقع السيد القائد والسيد السيستاني حفظهما الله، وغيرهما من مراجع الشيعة، أعلا الله كلمتهم.

الحرب الإعلامية ضد الشيعة:

اتخذت الحرب الإعلامية ضد الشيعة عدة أشكال، منها ما بات قد ياماً متعيناً، كثير من التهم التي كانت تلقن لأطفال غير الشيعة؛ ليشبووا على بغضهم، وعداوتهم؛ كل ذلك تحسساً من أهل بيته الرسول ﷺ، الذين يدعون الأحقية بخلافة رسول الله ﷺ، وعداؤه ونصباً له عليه السلام، وكانت التهم سابقاً من قبيل الافتراء على الشيعة بمجموعة من الافتراط التي لا يقبلها عاقل، فكانوا يقولون: ١) بأن للشيعة ذيلاً، ولم ير أحد حتى هذا اليوم ذلك الذيل، مع وجود كل

وسائل التنصل، وشبكات الاتصال، والتقنية الحديثة.

(٢) ومن ضمن الإشاعات التي كانت تصطنط على الشيعة في السعودية أن الشيعة - قبل تناولهم للطعام - يقومون بالبصق فيه، وعلى هذا المنوال يعتقد التكفيريون بأن مصافحة الشيعي تبطل الوضوء.

(٣) أو مثل ما يروجه التكفيريون من أكاذيب لا تورع فيها، بأن الشيعة في حال طوافهم حول الكعبة المشرفة يقومون بتلطيخها بالعدرة (الغائط) من غير أن يعلم بهم أحد!

(٤) وكما كان حزب البعث يتحدث في صحفه عن شيعة الجنوب في العراق ويتهمهم بالمعايب الأخلاقية، بل بالفاحشة، والانحراف الجنسي^(١)، كذلك تقوم زمرة التكفيريين في بعض البلدان بذلك، وبشكل رسمي، فتطبع كتيباً يتهم الشيعة بمثل هذه التهم الجنسية تحت عدة عناوين؛ كإعارة الفروج، وغير ذلك^(١٧)، وتزجها مزجاً شديداً بالأكاذيب، والافتراءات التي تعطن عقائد الشيعة الثابتة، والتي أحلها رسول الله عليه وآله، كزواج المتعة الذي يعتقد الشيعة بكونه زواجاً شرعياً، له شرطه، وقيوده الشرعية، وعقده الشرعي، وتعتقد بخليته وفقاً لقاعدة: (حلال محمد حلال إلى يوم القيمة)، وأن البدعة هي بدعة تحريره على يد الخليفة الثاني، حيث يقر قائلًا: (متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما، وأضرب فيهما)^(١٨)، فترى مثل هؤلاء الكتاب المدفوعي الأجر لا يتورعون عن تشويه الدين، وبصورة خرقاء، لا يقبلها متابع للوضع، فتتهم إيران بتصدير مائة ألف امرأة للعراق؛ لغرض المتعة؛ حتى تزداد كثافة الشيعة السكانية^(١٩).

(٥) ولم تقتصر هذه التهم والمحاربة الإعلامية ضد الشيعة على الافتراءات والأكاذيب العادية، بل سرت حتى إلى الفتاوي الشرعية، ولا عجب في ذلك في

مذاهب ابتعدت عن تعاليم رسول الله ﷺ، والتي تطفح بها كتب المسلمين، بما فيها صحيح البخاري من حظر التكفير: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر. فقد باء به أحدهما)، فاعتمدت هذه المذاهب على الاستحسان، والأهواء في جعل الأحكام، وبما يتناسب مع مقاييس الحكم، فلهذا تجد هذه الضغائن قد تحولت إلى فتاوى شرعية، تقول ببطلان الوضوء حينما يمس الشخص آخر شيعياً، وهم مع هذا ومع جهدهم في شراء الشيعة بالمال لا يعتقدون بأن الشيعي يترك مذهبه، ويتهمنه وإن غيره - ولا يثرون به.

٦) وأما تهمة عدم الوطنية، والولاء والانتفاء للخارج، فهي من أبرز التهم المديدة ضد الشيعة، وما يجعل هذه التهمة مترسخة في ذهنية الأنظمة:

أ- تلك العقائد الناصعة للشيعة، والتي ترفض الظلم بكل وضوح، ولا تجامل في ذلك على حساب المبدأ، ولا تعتبر الشرعية للحكومات الظالمة، ولا تراها ولية أمرها، بخلافه عند علماء السنة من يلزم باتباع الحكومات الجائرة تحت مسمى (ولاة الأمر)، وتجنبها للهرج والمرج، وما ماثل. فالشيعي لا يعتقد بالصلة خلف البر والفاجر، فكيف يوالى الفاسق والظالم، ويوليه على رقاب الناس؟!

ب- والأمر الآخر الذي يدعو هذه الأنظمة لاتهام الشيعة بالولاء للخارج الأوطان هو أن الشيعة لم يحصروا الاجتهاد في مذاهب أربعة، قيدت الناس، وفصلت المجتمع عن العلماء لعهد طويل، ثم إذا افتتح باب الاجتهاد، انفتح على استحياء، وبإذن وإشارة من الحكم في كثير من الأحيان وفي عدة من الواقع، فالشيعة تزخر مؤسستهم الدينية بعدد من العلماء، والمراجع، وهم يعتقدون بالتقليد في كل كبيرة وصغيرة؛ باعتباره الطريق لعرفة أحكام الحياة اليومية، فالحكومات الظالمة ترى في هذا التقليد والرجوع للفقهاء في استعلام أحكام الشريعة خروجاً عن الوطنية، وولاء

للخارج، وهذا - وسواء اعتقد الحكم بعدم ولاء الشيعة لهم، أم لم يعتقدوا بذلك - إلا أن هذا الأمر يشكل هاجساً لديهم ، يوشك أن ينفض عروشهم، ويلقي بهم من عليها، فهو كابوس يلاحقهم في يقظتهم، ونومهم، وإذا عرفنا كونه كابوساً لم نتعجب من الفلتات وزلات اللسان التي تظهر عند كبار القوم، كamodel الرئيسي المصري، حينما اتهم الشيعة بعدم الولاء للوطن، مروراً بغيره من الحالات والسفالة، من امتهنوا تسقيط الشيعة ومحاربتهم، وقد أرسل مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني خطبة للرئيس مبارك رسالة أتبه فيها على هذا التصريح الذي أدلى به على قناة العربية، واعتبره طعناً في وطنيّة عشرات الملايين من أبناء المنطقة، وذكره بحقائق للتاريخ القريب والمعاصر في معظم الدول، ودور الشيعة في الجهاد، والتصدي للمحتلين^(٢١). وبعد كل هذه الافتراءات والأكاذيب ضد الشيعة، تبقى الحقيقة المعاشرة ناصعة مشرقة كالشمس في رابعة النهار، وهذا ما شكل هاجساً عبر عنه مثل الشيخ القرضاوي في لقاءاته على شاشات التلفاز بيشل: (إيقاف التبشير)، ولعمري !! أي تبشير ذاك سوى سلوك الشيعة الحضاري، ومقاومتهم الباسلة لإسرائيل، حتى أصبحت صور السيد حسن نصر الله ترفع في الأزهر الشريف على ما يتناقل؟!

والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) لسان العرب، ج ٧، ص ٢٥٨.
- (٢) دروس في الشيعة والتشيع، علي الرباني الگلپیگانی، ص ٢٤-٢١، بتصرف.
- (٣) نفس المصدر، ص ٢٤ - ٢٥.
- (٤) شيعيان افغانستان، ص ٢٠٥.
- (٥) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٣٠، ح ٣٩، يرويه عن الاحتجاج.

- (٦) مجموعه آثار، ج ٢٤، ص ٣١-٣٢.
- (٧) البحرين الخيار الديمقراطي وآليات الإقصاء، مركز الخليج للتنمية الديمقراطي، ص ١٨٩.
- (٨) تحف العقول، الحراني، ص ١٢٧.
- (٩) الكافي، الكليني، ج ٧، ص ٣٧٥، ح ١٦.
- (١٠) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني عليه السلام، حامد الحفاف، ص ١٥٦.
- (١١) المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين قدس، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.
- (١٢) المرجعية الشيعية والقضية الفلسطينية، محمد عبد الجليل، ص ٨٧.
- (١٣) نفس المصدر، ص ٩٩.
- (١٤) نفس المصدر، ص ١٠٨.
- (١٥) نفس المصدر، ص ١٠٨ - ١٠٩، هامش: ١.
- (١٦) هذه التهم المتقدمة ذكرت في كتاب: (شيعيان عرب مسلمانان فراموش شده)، گراهام ای فولر، ورند رحیم فرانکه، ص ٥٦.
- (١٧) الشيعة في البحرين من أين أتوا؟ خرافة السكان الأصليين، هيئة الدفاع عن عروبة وتاريخ البحرين، ص ١٢.
- (١٨) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٦، ص ٥٢١، ح ٤٥٧٢٢.
- (١٩) الشيعة في البحرين من أين أتوا؟ خرافة السكان الأصليين، هيئة الدفاع عن عروبة وتاريخ البحرين، ص ٨-٧.
- (٢٠) صحيح البخاري، البخاري، ج ٧، ص ٩٧.
- (٢١) النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني عليه السلام، حامد الحفاف، ص ١٤٧.

نظرة في عوامل الثورتين الحسينية والمهدوية

((القسم الثاني))

حسين علي أبو رويس

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على محمد وآل الله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين، اللهم أرنا الطلعاء الرشيدة، والغرة الحميدة، واحل ناظرنا بنظرة منا إليه، وعجل فرجه، وسهّل مخرجه، واجعلنا من أنصاره، والمستشهدين بين يديه، وتحت لوائه، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

تمهيد:

قبل الخوض في القسم الثاني من البحث، -حيث انتهى الكلام في القسم الأول حول عوامل الثورة الحسينية-، نحاول الوقوف على مسألة مهمة جداً؛ لإقامة المقارنة بين عوامل الثورتين، ألا وهي التعرف على خصائص المجتمع في زمن الإمام المهدى عليه السلام، فعوامل أي ثورة تعتمد بشكل كبير على الظروف والأوضاع التي تحيط بهذه الثورة.

المجتمعات البشرية -أينما كانت- يُنظر لها من جهتين، الجهة الأولى هي الجهة المرتبطة بالدين، والجهة الثانية هي الجهة المرتبطة بالمادة -أي الدنيا-، فالمجتمع الذي سينهض فيه الإمام عليه السلام يمكن توصيفه من الناحية الدينية تارة، ومن الناحية المادية تارة أخرى.

البعد الديني:

أما بالنسبة للناحية الدينية فذاك المجتمع مجتمعٌ زاخر بالدينّيات، والعقائد، والمذاهب المختلفة، فأهل الذمة، والكافر، وحديث العهد بالإسلام، والمذاهب الإسلامية المتعددة، وغيرها من العقائد، كلّهم يشكّلون الواجهة الدينية لذاك المجتمع، فالإمام عليه السلام سيواجه موجة من الأفكار، والمعتقدات المتابينة، والمتناقضة فيما بينها، وثورته الفكرية الثقافية ستكون من أشدّ وأحمر الثورات على المستوى الفكريّ، والثقافيّ.

وروايات أهل البيت عليهم السلام تشير إلى أنَّ صاحب الأمر عليه السلام سيأتي لقومٍ هم أشدّ جهلاً من قوم قريش، حيث إنَّ نفس المسلمين -بل وبعض المدعين للتشيع- سيقفون بوجه الإمام عليه السلام، ويحاولون من خلال كتاب الله المجيد أن يبيّنوا أحقيّتهم، وزور وبطلان ما يحمله الإمام عليه السلام -والعياذ بالله تعالى-، فقد جاء عن الفضيل بن يسار أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشدّ مما استقبله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهال الجahليّة. قلت: وكيف ذاك؟ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى الناس وهم يعبدون الحجارة، والصخور، والعidan، والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلّهم يتأول عليه كتاب الله، يحتاج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيوتهم، كما يدخل الحرّ والقُرّ»^(١) .^(٢)

من خلال هذه الرواية المباركة نقف على نكتة مهمّة جداً، فمع وجود التنوع الدينيّ، والثقافيّ، والفكريّ، الذي سيعيشه ذاك المجتمع، إلاّ أنه وفي ذات الوقت يغرق في بحر من الجهل، والعمى، وهذا الجهل الذي يحمله هو من قبيل الجهل المركب، الذي يزعم صاحبه أنه عالم بالشيء، ويصرّ على كونه عالماً به، ولكنّه ليس عالماً به

أصلًا.

ولتكون الصورة أكثر وضوحاً فيما يرتبط بالجانب الديني، نذكر مجموعة من روایات أهل البيت علیهم السلام، التي توّصف لنا بدقة أحوال ذاك المجتمع:

١. فساد الوضع الديني:

* عن أبي جعفر علیه السلام قال: «يُكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَتَبَعُ فِيهِمْ قَوْمٌ مُرَاوِونَ، يَتَقَرَّءُونَ، وَيَتَنَسَّكُونَ، حُدَّثَاءُ، سُفَهَاءُ، لَا يُوجِبُونَ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، وَلَا نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، إِلَّا إِذَا أَمْنَوْا الضَّرَرَ، يَطْبُّونَ لَأَنفُسِهِمُ الرُّحْصَ، وَالْمَعَاذِيرَ، يَتَبَعُونَ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَفَسَادَ عَمَالِهِمْ، يُقْبِلُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَمَا لَا يَكُلُّهُمْ فِي نَفْسٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَوْ أَضَرَّتِ الصَّلَاةُ بِسَائِرِ مَا يَعْمَلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَأَبْدَانِهِمْ، لَرَفَضُوهَا كَمَا رَفَضُوا أَسْمَى الْفَرَائِضِ، وَأَشْرَفَهَا»^(٣).

* رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ الْأَطْفَالِ، فَقَالَ: «وَيْلٌ لِأَطْفَالِ آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ آبَائِهِمْ». فَقَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ آبَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: لَا، مِنْ آبَائِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُعْلَمُونَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ، وَإِذَا تَعَلَّمُوا أُولَادُهُمْ مَنْعُوهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُمْ بِعَرَضٍ يَسِيرٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ»^(٤).

٢. الوضع الأخلاقي:

* عن أمير المؤمنين علیه السلام قال: «سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَاقْتِرَابِ السَّاعَةِ - وَهُوَ شَرُّ الْأَزْمَنَةِ - نُسُوَّةٌ كَاشِفَاتٌ، عَارِيَاتٌ، مُتَبَرِّجَاتٌ مِنَ الدِّينِ، دَاخِلَاتٌ فِي الْفِتْنَ، مَائِلَاتٌ إِلَى الشَّهَوَاتِ، مُسْرِعَاتٌ إِلَى الْلَّذَّاتِ، مُسْتَحِلَّاتٌ لِلْمُحرَّمَاتِ، فِي جَهَنَّمَ خَالِدَاتٌ»^(٥).

* عن النبي ﷺ في وصيَّة طَوِيلَة قَالَ: «سَيَأْتِي أُقْوَامٌ يَأْكُلُونَ طَيْبَ الطَّعَامِ وَالْأَوَانِهَا، وَيَرْكَبُونَ الدَّوَابَّ، وَيَتَزَيَّنُونَ بِزِينَةِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا، وَيَتَرَجَّحُونَ تَبَرُّجَ النِّسَاءِ، وَزَيَّنَتُهُنَّ مِثْلُ زِيِّ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ، هُمْ مُنَافِقُو هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، شَارِبُونَ بِالْقَهْوَاتِ، لَا عِبُونَ بِالْكَعَابِ، رَاكِبُونَ الشَّهْوَاتِ، تَارِكُونَ الْجَمَاعَاتِ، رَاقِدُونَ عَنِ الْعَتَمَاتِ، مُفَرِّطُونَ فِي الْغَدَوَاتِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَتَبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّباً﴾»^(٦).

* عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِي، وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَدَرَهَا عَلَيْهِمْ الرَّادُّ عَلَيْهِمْ كَشَاهِرِ سَيِّفِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٧).

* عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ أُنْسَاسٌ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ يَقْعُدُونَ فِيهَا حَلَقاً، ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الدُّنْيَا، لَا تُجَالِسُوهُمْ، فَلَيْسَ اللَّهُ بِهِمْ حَاجَةٌ»^(٨).

البعد المادي:

يستمرّ ظلم الإنسان وعدوانه على بني جنسه، ففي كل زمانٍ ومكانٍ ترى الظالم، والمظلوم، ترى القاهرين والمقهور، ترى المعتدي، والمعتدى عليه، والمتآمِل في تاريخ البشرية يلحظ هذا الأمر بشكلٍ جليٍّ، فربما تغيير الأقئعة التي تخفي وجوه الظالمين، ولكن تظل تلك الروح العدوائية المقيدة بقيود الشهوات باقيةً، باذلةً كل الطاقة؛ لبلوغ أعلى قمةٍ في هرم المادة، فالحياة المادية الباذخة المترفة -إذن- هي حياة الملوك، والطواحيت، والإنسان الفقير لا يمثل سوى عبد من العبيد الصاغرين، أو أمة من الإماء المحتقرات.

هذا الظلم -وهذا العنف- النابت في هذه النفس الشيطانية يجرّ الإنسان للتمادي

أكثر فأكثر، فلا يقف عند السلب، والنهب، والقتل، والتسريد، بل يتجاوز ذلك ليصل إلى محاولة دحض الدين، وطمس آثاره فوق هذه المعمورة، وقد تكون العلة في ذلك أنَّ تعلق الإنسان بالدين، وتطبيقه لأحكامه، وتعاليمه، يدفعه دائمًاً لمواجهة الأنظمة الظالمة، وعدم الركون والاستسلام أمامها، لذلك ادعى فرعون الألوهية؛ رامياً إلى جعل الإنسان مكبلاً، عاجزاً، لا يملك إلا الإطاعة سبيلاً له في الحياة، وإلا فليأبْن نفسه للرحيل عن دنيا الأقواء.

لكن تبقى الإرادة الإلهية مدمرة لشُؤون الكون بأسره، ومهما تغطرس الإنسان وتعالى فمرده إلى نارٍ، أعدّها جبار السماوات والأرض، وقبل ذلك خزي، وذلٌّ في الدار الأولى، فذاك هو فرعون بعد الملك، والسلطان، والجاه، صريعاً عند البحر، لم تزده عنجهيته إلا هواناً، ونكاياً، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءُوكُمْ بِنَيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَثْبَعْتُمُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهِ بَعْيَا وَعَدْوَا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكُهُ الْفَرَقُ قَالَ أَمَّنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي أَمَّنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٩). والأمر نفس الأمر بالنسبة لطواغيت آخر الزمان، فالحق عزوجلٌ محيط بكلٍّ مؤامراتهم وحياتهم التي تحاك؛ لأجل سحق الإنسان؛ وجعله آلة فاقدة للشعور، والإحساس؛ ولأجل محو كلٍّ أثر من آثار الدين، والتدين، وسيجزيهم عزوجلٌ شرّ ما كانوا يعملون، ونستعرض هنا مجموعة من روایات أهل البيت علیهم السلام، التي تؤكّد على هذا المعنى:

*عن أبي عبد الله علیه السلام أنه قال: «إن قدام القائم علامات تكون من الله عزوجلٌ للمؤمنين. قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال: ذلك قول الله عزوجلٌ: ﴿وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، يعني المؤمنين قبل خروج القائم علیهم السلام، ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، قال: يبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بخلاف أسعارهم، ونقص من الأموال، قال:

كساد التجارات، وقلة الفضل، ونقص من الأنسف، قال: موت ذريع، ونقص من الثمرات، قال: قلة ريع ما يزرع، **﴿وَيَشْرِي الصَّابِرِينَ﴾**، عند ذلك بتعجيل خروج القائم **عليه السلام**، ثم قال لي: يا محمد، هذا تأويله، إن الله تعالى يقول: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم﴾**^(١٠).

* عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: «إِنَّ قُدَّامَ الْقَائِمِ لَسَنَةً غَيْدَاقَةً، يَفْسُدُ التَّمْرُ فِي النَّخْلِ، فَلَا تَسْكُنُوا فِي ذَلِكَ»^(١١).

* عن أبي عبد الله **عليه السلام** قال: «... وعند ذلك خروج السفياني، ويقل الطعام، ويقطن الناس، ويقل المطر»^(١٢).

ما تقدم كان صورة مختصرة لعالم مجتمع ما قبل الظهور، أمّا الآن فنتعرض للعوامل المساعدة في انتصار ثورة إمامنا المهدى **عليه السلام** العالمية، وكما ذكرنا سابقاً: بأن العوامل متعددة، ومتفرّعة، ولكن هناك ما يجمعها، ويلمّها.

العامل الأول: حلم المستضعفين:

من العوامل المهمة التي ستكون عضداً للنّهضة المهدوية هو: تعلق البشرية بالمنقذ، والمخلص، فجماعات كثيرة من البشر تلتتحق بالخندق المهدوي بغية رفع الظلم والعدوان من على وجه الأرض، فيتحقق ذلك بإذن الله تعالى، حيث جاء عن النبي **صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال: «يخرج المهدى في أمتي، يبعثه الله غياشاً للناس، تنعم الأمة، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صاححاً»^(١٣).

والسبب في ذلك: أن الإنسان بطبيعته باحث عن العدالة، باحث عن السلم، والأمان، وبما أنّ الظلم قد ساد أرجاء الدنيا، وكلّما ارتحل ظالم تبعه من هو أظلم منه، فهو يحلم دائماً بجيء المخلص الأبدي، الذي يقيم العدالة الأبدية، الذي ينصر

المحروميين، والمستضعفين، هؤلاء المستضعفون ربما لا يعرفون عن النهضة المهدوية شيئاً يذكر، ولكنّ نفس تعلقهم بالخلاص يقودهم للإيّان بها لاحقاً.

العامل الثاني: أنصار الحق:

وجود ثلاثةٍ من المؤمنين المتقين مع الإمام عليه السلام ركيزة أساسية في مواجهة أنظمة الكفر والضلال، فمواجهة أمثال هذه القوى الظالمة تحتاج لشخصيات تحضرت في الإيّان، والتقوى، شخصيات لا ترى أمامها إلا الله جل جلاله، شخصيات نزعت من أعماقها كلّ ذرة تعلق بالدنيا. وسيكون كلامنا حول أنصار الإمام عليه السلام في نقطتين:

الأولى: خصائص الأنصار:

روايات أهل البيت عليهم السلام أوضحت حقيقة تلك الجماعة الصالحة، التي تؤازر صاحب الأمر عليه السلام، نذكر منها الآتي:

* عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في وصف أنصار القائم عليه السلام: «...رجالٌ كأنَّ قُلوبَهُمْ زبرٌ الحَدِيدِ، لا يَشُوُّبُهَا شَكٌ فِي ذاتِ اللهِ، أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ، لَوْ حَمَلُوا عَلَى الْجِبَالِ لَأَزَّلُوهَا، لَا يَقْصِدُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ بَلَدَةً إِلا خَرَبُوهَا، كَانَ عَلَى حُبُولِهِمُ الْعُقْبَانَ، يَتَمَسَّحُونَ بِسَرَّاجِ الْإِمَامِ عليه السلام؛ يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، وَيَحْفُونَ بِهِ، يَقُولُونَ بِأَنفُسِهِمْ فِي الْحُرُوبِ؛ وَيَكْفُونَهُ مَا يُرِيدُ، فِيهِمْ رِجَالٌ لَا يَنَمُونَ اللَّيْلَ، لَهُمْ دَوِيٌّ فِي صَلَاتِهِمْ كَدَوِيٍّ التَّحْلِ، يَبِيِّنُونَ قِيَاماً عَلَى أَطْرَافِهِمْ، وَيَصْبِحُونَ عَلَى حُبُولِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، لُيُوتُ بِالنَّهَارِ، هُمْ أَطْوَعُ لَهُ مِنَ الْأَمَةِ لِسَيِّدِهَا، كَالْمَصَابِيحِ، كَانَ قُلُوبَهُمُ الْفَنَادِيلُ، وَهُمْ مِنْ خَشِيشَةِ اللهِ مُشْفَقُونَ، يَدْعُونَ بِالشَّهَادَةِ، وَيَتَمَّنُونَ أَنْ يُقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، شِعَارُهُمْ: يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ، إِذَا سَارُوا يَسِيرُ الرُّعبُ أَمَاهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، يَمْشُونَ إِلَى

الْمَوْلَى إِرْسَالًا، بِهِمْ يَنْصُرُ اللَّهُ إِمامَ الْحَقِّ»^(١٤).

* عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَفَافُ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَتِي بِأَصْحَابِ الْقَائِمِ، وَقَدْ أَحَاطُوا بِمَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ، لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ مُطِيعٌ لَهُمْ، حَتَّى سِبَاعُ الْأَرْضِ، وَسِبَاعُ الطَّيْرِ، تَطْلُبُ رِضَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تَفْخَرَ الْأَرْضُ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَقُولُ: مَرَّ بِي الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ»^(١٥).

* عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ أَنَّهُ قَالَ: «وَهُمْ مِنْ خَشِيَّةِ اللَّهِ مُشْفَقُونَ، يَدْعُونَ بِالشَّهَادَةِ، وَيَتَمَنَّونَ أَنْ يُقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، شَعَارُهُمْ: يَا لَشَارَاتِ الْحُسَينِ عَلَيْهِ، إِذَا سَارُوا يَسِيرُ الرُّغْبُ أَمَامَهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»^(١٦).

الثانية: أبرز الشخصيات والقوميات التي يتشكل منها جيش

المهدي عَلَيْهِ الْكَفَافُ :

عند متابعة الروايات الواردة في تحديد أسماء الأنصار، وقومياتهم، نجد تنوعاً واختلافاً في الأعراق، والأنساب، فليس الأنصار من منطقة معينة، أو طائفة معينة من البشر، وإنما يأتون من كل فج من فجاج الأرض، وإليك الروايات الواردة في هذا الشأن على قسمين:

الأول: أبرز شخصيات الأنصار:

* النبي عيسى عَلَيْهِ الْكَفَافُ: عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ أَنَّهُ قَالَ: «يَا خُيَمَة! سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ مَا هُوَ، وَالْتَّوْحِيدَ، حَتَّى يَكُونَ حُرُوجُ الدَّجَالِ، وَحَتَّى يَنْزَلَ عِيسَى بْنُ مَرِيمٍ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَقْتُلَ اللَّهُ الدَّجَالَ عَلَى يَدِيهِ، وَيُصَلِّي بِهِمْ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ، أَلَا تَرَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الْكَفَافُ يُصَلِّي خَلْفَنَا -وَهُوَ نَبِيٌّ- إِلَّا وَنَحْنُ أَفْضَلُ مِنْهُ؟!»^(١٧).

* إسماعيل بن الإمام الصادق عليهما السلام: عن أبي عبد الله عليهما السلام أنه قال: «إني سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي، فأبى، ولكن قد أعطاني فيه منزلة أخرى، أَنَّه أول منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبد الله بن شريك العامري، وهو صاحب لواه»^(١٨).

* جبير بن خابور: عن الصادق عليهما السلام: قال علي عليهما السلام لأصحابه: «إن هذا - يعني جبير بن الخابور - في جبل الأهواز، في أربعة مدججين في السلاح، فيكونون معه حتى يقوم قائمنا أهل البيت، فيقاتل معه»^(١٩).

* المفضل بن عمر: عن الصادق عليهما السلام: «يا مفضل، أنت وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على بين القائم، تأمر، وتنهى الناس، والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم»^(٢٠).

* أصحاب الكهف: عن أمير المؤمنين عليهما السلام: «ويجيء له أصحاب الكهف»^(٢١).

الثاني: أبرز القوميات:

* قم المقدسة: عن الإمام الصادق عليهما السلام: «تربة قم المقدسة...، أما وإنهم أنصار قائمنا، ودعاة حقنا»^(٢٢).

* طالقان: عن أمير المؤمنين عليهما السلام: «ويحَا للطالقان! فإنَّ الله عَزَّوجَلَ بها كنوزاً، ليست من ذهبٍ، ولا فضةٍ، ولكن بها رجال مؤمنون، عرفوا الله حقّ معرفته، وهم أنصار المهدي عليهما السلام آخر الزمان»^(٢٣).

* الشام: عن الرسول الأكرم عليهما السلام: «يخرجُ إليهِ الْأَبْدَالُ من الشام، وأشتاتهم، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد، رهبان بالليل، وليوث بالنهار»^(٢٤).

العامل الثالث: إحياء شريعة السماء:

إحياء الدين - ونشر ثقافة التدين - كان هم كل الأنبياء، والأوصياء، والأولياء، فكانوا يبذلون الجهد والطاقات؛ لتحقيق هذا الهدف السامي، لكن لم تشا الأقدار أن يتحقق، والله تعالى ليس غافلاً أبداً عن المساعي الحثيثة التي تبذل من أجل إسقاط كلمة التوحيد، فالله عزوجل أعد يوماً ترتفع فيه راية الإسلام، ويسود فيه العدل، والإحسان، يوماً تهوي فيه راية الكفر والضلالة، ذاك اليوم هو يوم خروج المهدى عليه السلام، فالعامل الأساسي الذي يدفع الإمام علیه السلام في نهضته وثورته العالمية هو: إحياء شريعة السماء.

خاتمة:

خلاصة ما تقدم هي: إن العامل الذي جعل كل الأنبياء والأوصياء يسعون - ويبذلون قصارى جدهم - واحد غير متعدد، ألا وهو: إعلاء كلمة الله في أرضه، فالدافع - والمحرك - للثورة الحسينية والمهدوية ليس غير هذا، غير أن الحكمة الإلهية شاءت أن تكون نهضة المنتظر عليه السلام هي النهضة التي تحقق النصر الإلهي المظفر. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) القراءة البرد.
- (٢) كتاب الغيبة «للنعماني»، ص ٢٩٧.
- (٣) الكافي الشريف، ج ٥، ص ٥٥.
- (٤) مستدرك الوسائل، ج ١٥، ص ١٦٤.
- (٥) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٩٠.

- (٦) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٤٣.
- (٧) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٤٧.
- (٨) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣١٥.
- (٩) يونس: ٩٠.
- (١٠) كمال الدين، ج ٢، ص ٦٥٠.
- (١١) «بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢١٤»، «الغيبة للطوسي، ص ٢٧٢».
- (١٢) الملحم والفتن، لابن طاوس، ص ١٣٣.
- (١٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٧٠.
- (١٤) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٨.
- (١٥) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٢٧.
- (١٦) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ١١٤.
- (١٧) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٤٩.
- (١٨) اختيار معرفة الرجال، ص ٢١٧.
- (١٩) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٩٦.
- (٢٠) إثبات الهداة، للحر العاملي، ج ٣، ص ٥٧٣.
- (٢١) إرشاد القلوب، ص ٢٨٦.
- (٢٢) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢١٨.
- (٢٣) كشف الغمة، ج ٣، ص ٣٦٨.
- (٢٤) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٠٤.

الدور الفقهي للشيخ البهائي قدس

سعید جعفر حمّاد

كُلُّ عُرِفَ الشیخ البهائی بِأَنَّهُ عَلَامٌ دُوْ فنون، وَذَهَبَ بَعْضُ الْأَعْلَامِ
کالسيد علي خان^(۱) في (سلافة العصر)^(۲)- إلى أَنَّهُ کان مُجَدِّداً للمذهب الاشتراكي
عشري على رأس القرن الحادی عشر، وقال في شرحه للصمدية ناعتاً له:
هو: الإمام، الفاضل، الحق، النحریر، المحدث، الفقيه، المجتهد، النحوی الكبير،
مالك أزمة الفضائل والعلوم، محرز قصبات السبق في حلبي المنطوق والمفهوم، شیخ
العلم، وحامل لواءه، بدر الفضل، وکوكب سمائه، أبو الفضائل، بهاء الدين، محمد بن
الشیخ عز الدين حسين بن الشیخ عبد الصمد بن الشیخ الإمام شمس الدين محمد
بن علي بن حسن بن محمد بن صالح الجباعي العاملی الحارثی الهمداني، رحمه الله
تعالى.

ومن العلوم التي برع فيها الفقه، فهو مجدد، ومحبی للفقه ومعالمه، ومعرفة المجدد
لعلم الفقه تنبئ بها كتبه، كـ(الحبل المتین)، وإن لم يکمل أبواب الفقه فيه، فمن
خلال تتبعه للآراء الفقهية، والوجوه الاستدلالية، وما يطرحه من وجوه استدلالية،
لم يسبقها إليها سابق، وكذلك في إشكالات على وجوه استدلالية، وفي دفع
لإشكالات على وجوه استدلالية كان رائداً فيها، بحيث تابعه كثيرٌ من الفقهاء ممن
جاء من بعده، كما يعرف مقامه في الفقه من خلال تجليل العلماء له ممن جاء من
بعد، ممن برع في الفقه، وكثرة التعرض لأقواله، واستدلله، وقد عبر عنه كثيرٌ ممن
تأخر عنه بـ: (شيخنا البهائی) عند التعرض له، كالسيد عبد الله الجزائري، والحق

البرهاني، والسيد العاملی صاحب (مفتاح الكرامة)، والسيد علي صاحب (الرياض)، والمیرزا القمي، والمحقق التراقي، والشيخ الجواہری، والشيخ الانصاری، والسيد صاحب (ینابیع الأحكام)، والمحقق الهمداني صاحب (مصاحف الفقیه)، والآخوند الخراسانی، والسيد اليزدی صاحب (العروة الوثقی)، والشيخ عبد الكریم المھائیری، والسيد الحکیم، والإمام الخمینی، والسيد الحوئی، رضی الله عنہم أجمعین، وإلى زماننا الحاضر^(۳)، ومنهم من يعیّر عنه بـ (الحقائق البهائی)، كالتحقیق المخونساري صاحب (مشارق الشموس)، والمیرزا القمي، والشيخ الجواہری، والمحقق الهمداني، والسيد الحوئی^(۴).

ويتمحور المقال في المقامات التالية:

* آراء فقهیة هو أول من اختارها.

* وجوه استدللية لم يسبق إليها أحد.

* إشكالات على وجوه استدللية لم يسبق إليها أحد قبله.

* ردود لإشكالات على استدللاته لم يسبق أحد إليها.

وليس الغرض عرض تفاصیل هذه المحاور؛ لقلة بضاعة صاحب المقال، إثما عرض بعض الأمثلة منها تكون كشاهد على الدور الفقهي الذي كان لدى الشيخ.

المقام الأول: آراء للشيخ البهائی قىٰ:

١. تكبیرة الإحرام هي الأولى من السبع:

المشهور بين الأصحاب أنَّه يتخيَّر في السبع التكبيرات، يجعل المصلي أيّاً منها شاء تكبیرة الإحرام، فتبدأ الصلاة بها، غير أنَّ الحکی عن الشيخ البهائی -في حاشیته لرسالة الاثنی عشرية- أَنَّه يرى أنَّ تكبیرة الإحرام هي الأولى خاصة،

وابعه جماعةٌ من تأخر عنه^(٥).

وما استدلَّ به على هذا القول صحيحه الحلبي، عن أبي عبد الله عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيُّهُ، قال: «إذا افتتحت الصلاة فارفع كفيك، ثمَّ ابسطهما بسطًا، ثمَّ كُبِّرْ ثلاث تكبيرات...الحديث»^(٦)، بتقريب أنَّ الافتتاح إنما يصدق بتكبيرة الإحرام^(٧).

٢. حدود غسل الوجه في الموضوع:

من الروايات الدالة على حدود الموضوع صحيحه زراره، عن أبي جعفر عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيُّهُ قال: «قلت له: أخبرني عن حد الوجه الذي ينبغي أن يوضأ، الذي قال الله عَزَّوجَلَّ. فقال: الوجه الذي أمر الله - تعالى - بغسله - الذي لا ينبغي لأحد أن يزيد عليه، ولا ينقص منه، إن زاد عليه لم يؤجر، وإن نقص منه أثم: ما دارت عليه الوسطى والإبهام، من قصاص شعر الرأس إلى الذقن، وما جرت عليه الإصبعان مستديرا، فهو من الوجه، وما سوى ذلك فليس من الوجه. فقلت له: الصدغ من الوجه؟ فقال: لا....الخ»^(٨).

وجاء الشيخ البهائي برأي في حدود الوجه الداخل في غسل الوجه لل موضوع لم يسبق إليه سابق، وذلك بما استظهره من الرواية من كون الحدود على شكل دائرة هندسية، والمحور فيها الوسط ما بين السبابية والإبهام، ويتشكل الحدود بجعل طرف الوسطى في وسط الخط العرضي تقريرًا لقصاص الشعر، وجعل الإبهام في طرف الذقن، ويفرض ثبات الوسط ما بين السبابية والإبهام، ويدار على نفسه، فتشكل الدائرة المحددة لحدود غسل الوجه، قال الشيخ:

(وقد لاح لي من الرواية معنى آخر يسلم به التحديد عن القصور، ودلالة الرواية عليه في غاية الظهور، وهو: أنَّ كلاً من طول الوجه وعرضه هو ما اشتمل

عليه الإيهام والوسطى، بمعنى أنَّ الخطَّ الواصل من القصاص إلى طرف الذقن، وهو: مقدار ما بين الإصبعين غالباً إذا فرض ثبات وسطه، وأدير على نفسه ليحصل شبه دائرة، فذلك القدر هو الوجه الذي يجب غسله.

وذلك لأنَّ الجار والمجرور -في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من قصاص شعر الرأس»- إما متعلق بقوله: «دارت»، أو صفة مصدرٍ محدودٍ، والمعنى: أنَّ الدوران يبتدئ من القصاص، منتهياً إلى الذقن، وإما حال من الموصول الواقع خبراً عن الوجه، وهو: لفظ «ما»، إنْ جوَّزنا الحال عن الخبر.

والمعنى: أنَّ الوجه هو: القدر الذي دارت عليه الإصبعان حال كونه من القصاص إلى الذقن، فإذا وضع طرف الوسطى -مثلاً- على قصاص الناصية، وطرف الإيهام إلى آخر الذقن، ثم أثبتت وسط انفراجهما، ودار طرف الوسطى -مثلاً- على الجانب الأيسر إلى أسفل، ودار طرف الإيهام على الجانب الأيمن إلى فوق، قت الدائرة المستفادة من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مستديرًا»، وتحقق ما نطق به قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وما جرت عليه الإصبعان مستديرًا»، فهو من الوجه، وبهذا يظهر أنَّ كلاماً من طول الوجه وعرضه قطر من أقطار تلك الدائرة من غير تفاوت^(٤).

وقد أشكَّلَ على ما فهمه الأصحاب من التحديد من الرواية من كون الحد الطولي للوجه هو من قصاص الشعر إلى طرف الذقن، والحد العرضي ما حواه الإيهام والوسطى، بلزوم دخول بعض الأجزاء، ولا يقولون بدخولها، كالصدغين، والعارضين على اختلاف في العارضين، وموضع التحديف، وبخروج بعض الأجزاء لا يقولون بخروجها، وإن اختلفوا في بعضها، كالعدران على خلاف، قال:

إنَّ ما فهمه الأصحاب جَهَلُهُمْ من هذه الرواية يقتضي خروج بعض الأجزاء عن حد الوجه، مع دخوله في التحديد الذي عَيَّنه عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها، ودخول البعض فيه، مع

خروجه من التحديد المذكور، وكيف يصدر مثل هذا التحديد الظاهر القصور الموجب لهذا الاختلاف عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ فلا بدًّ من إمعان النظر في هذا المقام^(١٠).

وقد تابعه جملةٌ من الفحول، كما عبر بذلك صاحب (الحدائق)^(١١).

وقد نوقشت تارة بأنَّ هذا المعنى على خلاف الظاهر، وتارة بأنَّ ما ذكره من إشكال على حدِّ المشهور غير وارد، ولو بناء على بعض الأقوال، وعلى بعض المعاني اللغوية، وتارة بالتفصيص لبعض الروايات، وتارة على أنه خلاف الإجماع^(١٢).

٣. أول من صرَّح بحرمة الصلاة أمام قبر المعصوم:

بعد ما أورد روایة الحمیری التي جاء فيها: أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى إِلَامِ القَائِم عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَأَلَهُ: هَلْ يَحُوزُ لِمَنْ صَلَى عَنْدِ بَعْضِ قُبُورِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقُومَ وَرَاءَ الْقَبْرِ، وَيَجْعَلَ الْقَبْرَ قَبْلَةً؟ أَمْ يَقُومَ عَنْدِ رَأْسِهِ؟ أَوْ رَجْلِيهِ؟ وَهَلْ يَحُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ الْقَبْرَ، وَيَصْلِيَ، وَيَجْعَلَ الْقَبْرَ خَلْفَهُ؟ أَمْ لَا؟

فأجاب عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمَا الصَّلَاةُ فِيَّا خَلْفَهُ، وَجَعْلُ الْقَبْرِ أَمَامَهُ، وَلَا يَحُوزُ أَنْ يَصْلِيَ بَيْنِ يَدِيهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَا عَنْ يَسَارِهِ؛ لَأَنَّ إِلَامَ لَا يَتَقَدَّمُ، وَلَا يَسَاوِي»^(١٣).

فأفقي على ظاهرها حيث قال: والحاصل أنَّ المستفاد من هذا الحديث: أنَّ كلما ثبت للمأموم من وجوب التأخر عن الإمام، أو المساواة له، وتحريم التقدم عليه، ثابت للمصلِي بالنسبة إلى الضريح المقدس، من غير فرق، فينبغي لمن يصلِي عند رأس الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو عند رجليه، أن يلاحظ ذلك، وقد نبهتُ على هذا جماعةً من إخواني المؤمنين في المشهد المقدس الرضوي -على مشرفه السلام-؛ فِإِنَّهُمْ كَانُوا يصلون في الصفة -التي عند رأسه عَلَيْهِ السَّلَامُ- صفين، فبيَّنت لهم: أنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ أَقْرَبُ إلى القبلة من الضريح المقدس -على صاحبه السلام-، وهذا مما ينبغي ملاحظته لمن

يصلّي في مسجد النبي ﷺ، وكذا في سائر المشاهد المقدسة (على ساكنيها أفضل التسليمات)^(١٤).

وذكر شيخنا البحرياني بأنّه لم يجد من صرّح بالتحريم قبله^(١٥)، وقال الشيخ النراقي -عن بعض المحققين- بأنَّ العلماء متفقون بترك العمل بظاهر الرواية^(١٦)، والظاهر أنَّ مراده المتقدمين، مما يؤيّد أنَّ أولَ من صرّح بذلك هو الشيخ البهائي، وقال السيد الخوئي: لعلَّ أولَ من قال بالتحريم هو الشيخ البهائي^(١٧).

٤. وقت الغفيلة:

يرى بأنَّ وقت الغفيلة هو ما بين غروب الشمس وغروب الشفق، لا ما بين الفريضتين^(١٨)، واستدلَّ على ذلك بعد أن ضمَّ بعض الروايات بعضها إلى بعض، فما دلَّ على أنَّ صلاة الغفيلة تؤدي في ساعة الغفلة، كرواية السكوني عن أبي عبد الله عاشور، قال: «قال رسول الله ﷺ: تنفلوا في ساعة العفلة ولو برకعتين خفيفتين، فإنَّهما يورثان دار الكرامة. قيل: يا رسول الله، وما ساعة الغفلة؟ قال: ما بين المغرب والعشاء».»^(١٩).

إذا ضمَّ إلى ما دلَّ على أنَّ ساعة الغفيلة من حين غياب الشمس إلى غياب الشفق، وهي ما رواه الصدوق عن جابر، عن الإمام الباقي عاشور، قال: «إنَّ إبليس إنما يبثُ جنود الليل من حين تغيب الشمس إلى مغيب الشفق، ويبيث جنود النهار من حين يطلع الفجر إلى مطلع الشمس. وذكر: أنَّ النبي ﷺ كان يقول: أكثروا ذكر الله عزوجل هاتين الساعتين، وتعوذوا بالله عزوجل من شرِّ إبليس، وجنوده، وعوذوا صغاركم في هاتين الساعتين، فإنَّهما ساعتا غفلة»^(٢٠).

فيستنتج أنَّ وقت صلاة الغفيلة ما بين غروب الشمس إلى غياب الشفق

(الحمرة المغربية)، قال الشيخ البهائي في تفسيره للمراد من عبارة «ما بين المغرب والعشاء» الواردة في رواية السكوني:

ولا يخفى أنَّ الظاهر أنَّ المراد بما بين المغرب والعشاء ما بين وقت المغرب ووقت العشاء، أعني: ما بين غروب الشمس، وغيبوبة الشفق، كما يرشد إليه الحديث السابق، لا ما بين الصلاتين، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنَّ أول وقت العشاء غيبوبة الشفق. ومن هذا يستفاد أن وقت أداء ركعتي الغفلة ما بين الغروب وذهاب الشفق، فإذا خرج ذلك صارت قضاء^(٢١).

وأشكل على الشيخ البهائي قيام في استدلاله، ومنها إشكال شارح (مفتاح الفلاح) الخواجوئي، وحاصل تقريره أنْ يُقال: إنَّ رواية جابر البينية لساعة الغفلة تتعارض مع رواية أخرى تبين أنَّ وقت الغفيلة إنَّما هو بين العشاءين، كما جاء في رواية هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «من صَلَّى بَيْنِ الْعَشَاءِيْنِ رَكْعَيْنِ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى... الْخَ»^(٢٢).

فإنَّ المراد من العشاءين صلاة المغرب، وصلاة العشاء، وعلى تقدير التعارض والتساقط فإنَّ المرجح لهذا المعنى أيضاً؛ وذلك لأنَّ على تقدير أنَّ المراد من عبارة «ما بين المغرب والعشاء» في رواية السكوني هو: ما بين الغروب وغياب الشفق، فلا بدَّ من تقدير مضافين لكل من المغرب والعشاء؛ حيث كون المراد هو ما بين فضيلة صلاة المغرب وفضيلة صلاة العشاء، وأما بناء على أنَّ المراد: ما بين الصلاتين، أي: صلاة المغرب وصلاة العشاء، فلا تحتاج إلا لتقدير مضاف واحد لكل من المغرب والعشاء، وتقدير مضاف واحد أولى من تقدير مضافين.

مضافاً إلى أصله عدم التكليف بالأشغال، واستصحاب بقاء الوقت^(٢٣).

ومناقشة أخرى ذكرها صاحب (الحدائق) -أعلى الله درجاته- في وجه دلالة

خبر جابر، قال: وأنت خبير بأنَّ غاية ما يدلُّ عليه الخبر المذكور أنَّ ابتداء البت^(٢٤) من ذلك الوقت، ولا دلالة فيه على كون الصلاة من ذلك الوقت، وب مجرد كون هذه الصلاة تُصلَّى في ساعة الغفلة لا يستلزم جواز تقديمها على الفريضة، سيما مع استفاضة النصوص بالمنع من النافلة بعد دخول وقت الفريضة... إلى أن قال:- وروایة هشام بن سالم صريحة في كونها بين الفرضين، وكذا المرسلة... الخ^(٢٥).

وقد تابع السيد العاملی صاحب (مفتاح الكرامة) في نقهـ الحقـ الـبحـرـانـيـ^(٢٦). لكن يبدو أنَّ كلا المناقشتين غير تامتين، فيرد على المناقشة الثانية أنَّ الأمر إنما ورد بالتنفل بالغفيـلةـ فيـ ساعـةـ الغـفـلـةـ، كماـ فيـ روـاـيـةـ السـكـوـنـيـ، وـلـمـ يـرـدـ فيـ خـارـجـ تـلـكـ السـاعـةـ، فـحـيـئـذـ ماـ كـانـ فيـ خـارـجـهاـ يـكـونـ قـضـاءـ، وـرـوـاـيـةـ جـابـرـ قدـ فـسـرـتـ وقتـ ساعـةـ الغـفـلـةـ.

ويرد على كلا المناقشتين أنَّ بين روایة جابر وروایة هشام عموم وخصوص من وجه، لا التباين المطلق، فتشمل كل منهما أداء الغفيـلةـ بعد صلاة المغرب، وقبل غياب الشفق، فـيـأخذـ بـماـ اـتـفـقـنـاـ عـلـيـهـ، وـالـتـعـارـضـ وـالـتـسـاقـطـ فـيـ مـادـةـ الـافـرـاقـ، وـلـاـ يـبـعدـ أنـ مرـادـ الشـيـخـ الـبـهـائـيـ تـبـثـ منـ وـقـتـ الغـفـلـةـ هوـ ماـ كـانـ فـيـ مـادـةـ الـاجـتمـاعـ؛ـ حيثـ أورـدـ الإـتـيـانـ بـصـلـاـةـ الغـفـلـةـ بـعـدـ صـلـاـةـ المـغـرـبـ، بلـ بـعـدـ تعـقـيبـ نـافـلـةـ المـغـرـبـ، وـمـرـادـهـ منـ أـنـ وـقـتـهـ لـيـسـ بـيـنـ الصـلـاتـيـنـ هوـ صـرـفـ الـوقـتـ بـيـنـ الصـلـاتـيـنـ، ولـذـاـ وـضـحـ ذـلـكـ بـماـ أـشـارـ إـلـيـهـ مـنـ أـنـ صـلـاـةـ الغـفـلـةـ بـعـدـ غـيـابـ الشـفـقـ تـكـوـنـ قـضـاءـ، وـهـذـاـ مـاـ فـهـمـ الـحـقـ الـهـمـدـانـيـ تـبـثـ، حيثـ قـالـ مـعـلـقاـ عـلـيـ كـلـامـ الشـيـخـ الـبـهـائـيـ المتـقـدمـ، وـجـبـيـباـ عـلـيـ المناقشـةـ الثـانـيـةـ:-

ومـرـادـهـ عـلـىـ الـظـاهـرـ -ـ بـيـانـ عـدـمـ جـواـزـ تـأـخـيرـهـاـ عـنـ الـوقـتـ، وـصـيـرـورـتـهـ قـضـاءـ بـذـلـكـ، لـاـ جـواـزـ الإـتـيـانـ بـهـاـ مـنـ أـوـلـ الـوقـتـ مـقـدـمـاـ عـلـيـ فـرـيـضـةـ المـغـرـبـ حـتـىـ يـنـافـيـهـ

الأخبار المتقدمة المحددة لوقتها بما بين العشرين، الذي لا يتبادر منه إلا إرادة ما بين الصالاتين، فلا يرد عليه ما قيل من أنه لا منافاة بين كون هذه الساعة ساعة الغفلة، كما هو مفاد الرواية الأخيرة^(٢٧)، وبين عدم شرعية صلاتها إلا بعد الفراغ من فريضة المغرب، كما يدل عليه سائر الأخبار^(٢٨).

وهذا المعنى منسجم تماماً مع ما قاله الشيخ البهائي في ما يفعل في أول وقت الغروب، وبعد أن أورد ذكرًا مختصرًا حين الغروب قال:

ثم ينبغي المبادرة إلى صلاة المغرب، فإن المستفاد من الروايات المعتبرة عن أصحاب العصمة (سلام الله عليهم) أن وقتها مضيق، والروايات في ذلك متضافة، كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن الصادق عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ أَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ وَآتَاهُ لِكُلِّ صَلَاةٍ بِوْقَتٍ غَيْرِ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّ وَقْتَهَا وَاحِدٌ، وَوَقْتَهَا وَجْوَهَهَا... إِلَخْ»^(٢٩).

وساق عدة روایات على عدم تأخير صلاة المغرب.

٥. لا قنوت في ركعتي الشفعة:

لم يذكر القنوت في ركعتي الشفعة في كتاب (مفتاح الفلاح) عندما تعرض لهما وقال الخواجوئي المعلق على (مفتاح الفلاح):

لم يتعرض للقنوت هنا نفيا وإثباتاً، والمذكور في رسالة فارسية لبعضهم عدم استحبابه في ركعتي الشفعة، ولم يذكر له حجة^(٣٠).

وأكثر من ذلك صراحة ما ذكره الحق البحرياني في (الحدائق)، حيث قال: وصرح شيخنا البهائي قائلًا في حواشي كتاب (مفتاح الفلاح) بأن القنوت في الوتر - التي هي عبارة عن الثلاث - إنما هو في الثالثة، وأن الأوليين - المسماتين برکعـيـة

الشفع - لا قنوت فيهما، واستدلّ على ذلك بصحيحة عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام، قال: «القنوت في المغرب في الركعة الثانية، وفي العشاء، والغداة مثل ذلك، وفي الوتر في الركعة الثالثة»^(٣١).

ثم قال قتيله: وهذه الفائدة لم يتبناها علينا علماؤنا^(٣٢).

ولكن صاحب المدائق استدرك عليه بأنه قد سبقه إلى هذا القول السيد السند في (المدارك)، واستظهر بأنَّ الشيخ البهائي لم يرَ قوله^(٣٣).

المقام الثاني: من الوجوه الاستدلالية التي اكتشفها:

كثير من الوجوه الاستدلالية مشتركة عند الفقهاء المستنبطين، ولكن بعض الوجوه مختلفة عندهم، والشيخ البهائي قد تعرَّض لبعض الوجوه التي لم يسبقها أحد إليها، وفيما يلي نذكر خاتمة منها:

الأول: وجه تنفس الماء بتغير لونه بالنجاسة:

يرى أنْ لا دليل صريح من أخبارنا يدلُّ على تنفس الماء بتغيره بلون النجاسة، نعم، بعض الأخبار دلت على تنفسه بتغير ريحه، أو طعمه، وأما ما روى عن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الماء لا ينفسه إلا ما غير لونه، أو طعمه، أو ريحه»^(٣٤) خبر عامي، ومرسل^(٣٥).

ولم يستبعد وجهاً آخر للنجاسة، وهو ملازمة التغيير في اللون للتغيير في الطعم، أو الرائحة، بل ترقى بإمكان دعوى أنَّ انفعال الماء بلون النجاسة متاخر في الرتبة عن انفعاله برائحتها، أو طعمها، فاستغنى بذلك عن ذكره^(٣٦)، وهذا الوجه من مبتكرات الشيخ البهائي.

مناقشة وجه الشيخ البهائي:

وأول من تعرض لمناقشة الشيخ البهائي نقاش - في عدم وجود نصٍ من طرقنا بنجاسة الماء إذا تغير لونه - هو صاحب (المدائق) نقاش، فبعد أنْ أورد رواية العلاء بن فضيل قال: «سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الحياض، يبال فيها؟ قال: لا يبال إذا غلب لون الماء لون البول»^(٣٧). أفاد بما حاصله: أنَّ أول من ادعى عدم وجود رواية في أخبارنا تدل على نجاسة الماء بتغيير لونه هو: السيد السندي في (مدارك الأحكام)، ثم بعد ذلك الشيخ البهائي، واستظره بأنَّ الشيخ البهائي إنما اقتضى أثر السيد في (المدارك)، ثم قال مناقشاً لهما: والعجب منها نقاش في ذلك! ورواية العلاء بن الفضيل المتقدمة تنادي بالدلالة عليه.

ومثلها صحيحة شهاب بن عبد ربه، عن أبي عبد الله عليه السلام، المروية في كتاب (البصائر)، حيث قال في آخرها: «وجئت تسأل عن الماء الراكد، فما لم يكن فيه تغيير، أو ريح غالبة. قلت: فما التغيير؟ قال: الصفرة، فنوضاً منه... الحديث»^(٣٨).

ويدلُّ على ذلك ما ذكره في كتاب (الفقه الرضوي)، حيث قال عليه السلام: «كل غدير فيه من الماء أكثر من كرٌ لا ينجسه ما يقع فيه من النجسات، إلا أن تكون فيه الجيف فتتغير لونه، وطعمه، ورائحته، فإذا غيرته لم يشرب منه، ولم يتظهر منه... الحديث»^(٤٠).

ثم إنَّ صاحب (المدائق) ارتأى احتمال وجه الشيخ البهائي في عدم تعرض أغلب الروايات إلى التغيير باللون؛ لعدم الحاجة إلى ذكره في كل الروايات، حيث قال: ولعل السرَّ في اشتمال أكثر الأخبار على التغيير الطعمي والريحي دون اللوني أنَّ تغير الطعم والريح أسرع من تغير اللون، أو لا ينفك تغير اللون من تغيرهما، فلا

ثرة في التعرض له حينئذ^(٤١).

وقد يُقال بإمكان توجيه كلام الشيخ البهائي قىئش بعدم النص هو عدم النص في التنفس بالتغيير بصرف لون النجس، لا حصول التغير بصفة البول، فبينهما عموم وخصوص مطلق، والنص إنما هو في صفة البول.

ولكن يمكن الجواب بعدم الخصوصية للون صفة البول عرفاً؛ فإنَّ العرف يفهم من تنفس الماء بتغيير لونه بالصفة -بعد أن وقع البول فيه- أنَّ تغير لون الماء بوقوع مطلق النجاسة فيه يؤثر في تنفسه من غير خصوصية لصفة البول.

على كل حال، فإنَّ صاحب (الحدائق) وإنْ نقد الشيخ البهائي في دعوى عدم النص على التنفس بتغيير اللون، ولكنه رأى ثرةً لوجه الشيخ البهائي، وهي: عدم تصريح أغلب الروايات.

الثاني: وجه الجمع بين ما دل على وجوب غسل الجمعة، وبين ما دل على

استحبابه:

الروايات في غسل الجمعة مختلفة، منها ما يدلُّ على الوجوب، ومنها ما يدلُّ على الاستحباب، وبما أنَّ المقال مبنيٌّ على الاختصار لاأتعرض إلى جميع الروايات، وإنما إلى مثل ما دلَّ بظاهره على الوجوب، ومثال آخر ظاهره الاستحباب، فأما ما ظاهره الوجوب كصحيحة زرارة، قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغسل واجب يوم الجمعة»^(٤٢).

وأما ما ظاهره الاستحباب، فكصحيحة زرارة، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «لا تدع غسل يوم الجمعة؛ فإنه سنة، وشم الطيب، ولبس صالح الثياب، ول يكن فراغك من الغسل قبل الزوال...الخ»^(٤٣).

والشيخ البهائي جاء بوجه لم يفصح به غيره في الجمع بين الأخبار؛ حيث رجح حمل السنة في الخبر الثاني على ما ثبت وجوبه من السنة في مقابل الفريضة، بمعنى ما ثبت وجوبه من القرآن الكريم، وعلى ذلك لا ينافي خبر الوجوب، بخلاف مشهور العلماء، حيث حملوا أخبار ما ظاهره الوجوب من الأخبار على الاستحباب؛ لبعض القرائن، قال:

وأنت خير بآنَّ الجمع بينهما بحمل السنة على ما ثبت بالسنة، والفرضة على ما ثبت وجوبه بالكتاب غير بعيد^(٤٤).

واستشهد لهذا الحمل بآنَّ له شواهد من الروايات، ومن بعض كلمات العلماء، فنقل ما رواه الشيخ في (التهذيب) عن الرضا عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ -بطرق متعددة- آتَهُ قال: «أنَّ الغسل من الجنابة فرضة، وغسل الميت سنة»^(٤٥).

وتعليق الشيخ عليها بقوله: يراد أنَّ فرضه عُرف من جهة السنة؛ لأنَّ القرآن لا يدلُّ على فرض غسل الميت^(٤٦).

ومن كلمات العلماء -التي نقلها- كلام الشيخ الصدوق قدُّث: الغسل كله سنة، ما خلا غسل الجنابة^(٤٧).

وكلام العلامة: المراد بالسنة: ما ثبت من جهة السنة، لا من طريق القرآن^(٤٨).

وناقشه الحق البحريني في وجه الجمع بقرائن أخرى استدعت حمل الوجوب على الاستحباب، وأنَّ الوجوب والأمر في بعض الروايات يُحمل على الاستحباب، وذلك بعد أنْ وافقه على معنى السنة في مقابل الفرضة بما ثبت بالسنة، بل ودعم هذا المعنى بأدلة أخرى^(٤٩).

المقام الثالث: وجوه استدلالية اكتشفت استشكالات عليها:

لا شك بأنَّ المسائل الفقهية مبنية على أدلة شرعية في إثباتها، والأمور المهمة التي ساهمت في نشوء الاختلاف في المسائل الفقهية هي الاختلاف في بيان وجه الدليل الذي يستدل به للمسألة، فتخالف المسألة باختلاف وجه دلالة الدليل، هذا إذا لم يكن للمسألة دليل آخر، والشيخ البهائي قد عرض مناقشات لوجه استدلالية لدى من تقدم عنه، ونستعرض منها ما يلي، لكن مع غض النظر عن ثبوت المسألة بدليل آخر، أو عدم ثبوتها؛ لعدم قيام دليل آخر عليها:

الأول:

الوجوه التي تمسك بها الأصحاب على عدم جوب غسل الشعر في غسل الجنابة وما في حكمه، لم يرضاها الشيخ البهائي، ومنها الإجماع، والأصل، وعدم انتباخ عنوان البدن عليه، وقد ذكرها الشهيد الأول، حيث قال: ولا يجب غسل الشعر إذا وصل الماء إلى أصوله، قاله الأصحاب^(٥٠)؛ لقضية الأصل؛ وخروجه عن مسمى البدن. والحديث ببلل الشعر والتوعد على تركه، يحمل على توقف التخليل عليه، أو على الندب. وفي مرسى الحلباني عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «لا تنقض المرأة شعرها إذا اغتسلت من الجنابة»^(٥١)، وظاهره عدم وجوب غسله^(٥٢).

وما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تحت كل شعرة جنابة، فبلوا الشعر، وأنقوا البشرة»^(٥٣). وعن حجر بن زائدة، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ، قال: «من ترك شعرة من الجنابة متعمداً فهو في النار»^(٥٤). فحملهما العلامة الحلباني، والشهيدان الأول والثاني على تخليل الشعر، ووصول الماء إلى البشرة، وأصول الشعر، لا غسل نفس الشعر^(٥٥).

وأول من أجاب على هذه الوجوه هو الشيخ البهائي قىنس، فلم يرتضى دلالة مرسلة الحلبي على عدم وجوب غسل الشعر، ولا حمل النبوى - خبر حجر بن زائدة - على غسل البشرة وأصل الشعر، لا نفس الشعر. قال: واستفاد بعضهم منه^(٥) عدم وجوب إيصال الماء إلى الشعر نفسه، وفي دلالة الحديث على ذلك تأمل؛ إذ لا يلزم من عدم وجوب نقضه عدم وجوب غسله.

واعلم أن القول بعدم وجوب غسل مطلق الشعر هو المعروف بين الأصحاب، وربما يستدل على ذلك بأصالة براءة الذمة من وجوب غسله، وبخروجه عن مسمى الجسد، وأنت خبير بأن ظاهر الحديث التاسع عشر^(٥٧) يعطي خلاف ذلك، وقد روى الأصحاب - مرسلاً - عن النبي ﷺ أنه قال: «تحت كل شعرة جنابة، فبليوا الشعر، وأنقوا البشرة». وشيخنا الشهيد في الذكرى حمل الحديثين على ما إذا توقف التخليل على إيصال الماء إلى الشعر تارة، وعلى الندب أخرى، وهو كما ترى !! والحق أنه إن تحقق الإجماع على عدم وجوب غسل الشعر فذاك، وإلا فإن ثبات هذا الحكم بمجرد ذلك لا يخلو من إشكال، والله أعلم^(٥٨).

وذهب الشيخ صاحب الحدائق إلى ما ذهب إليه الشيخ البهائي من النقد، وعمق فيه^(٥٩).

الثاني:

في مسألة بقاء المتيمم على تييممه، وعدم انتقاده فيما إذا تمكن من الماء، ولكن لمندة لا تسع فعل الطهارة المائية لعرض عارض مثلاً، فذكروا أنَّ الوجه في ذلك هو: أنَّ التكليف بالوضوء إنما يتوجه للمكلف فيما إذا كان يتمكن منه، وأما إذا لم يكن متمكناً منه فلا يجب، ولا يتوجه خطاب التكليف بالوضوء للمكلف، وبذلك يبقى

على طهارة التيمم^(٦).

وأول من أشكل على هذا الوجه هو الشيخ البهائي تَشْ، إذ لا يرى ملازمة بين عدم توجه الخطاب بالطهارة المائية لعدم إمكانها، وبين عدم انتقاض التيمم ب مجرد الظفر بالماء، وإن لم يتمكن من استعماله للوضوء، واحتفل استنباط إطلاق إصابة الماء الوارد في صحيحة زرارة، حيث قال: «قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: يصلي الرجل بوضوء واحد صلاة الليل والنهار كلها؟ قال: نعم، ما لم يحدث. قلت: فيصلني بتيمم واحد صلاة الليل والنهار؟ قال: نعم، كلها، ما لم يحدث، أو يصب ماء»^(٦).

وقال الشيخ البهائي تَشْ: وربما يستنبط من الحديث الثاني -حيث أطلق عَلَيْهِ الْكَلَمُ نقض إصابة الماء التيمم، وساوى في ذلك بينه وبين الحدث- أنَّ مجرد إصابة كافٍ في النقض، وإن لم يمضِ زمان يتمكن فيه من فعل الطهارة المائية، وهذا أحد الوجهين في المسألة.

وربما مال بعضهم إلى الوجه الآخر، أعني عدم الانتقاض إلا ببعض ذلك المقدار؛ مستندلاً بامتناع التكليف بعبادة في وقت لا يسعها، فإذا تلف الماء قبل مضي زمان يمكن فيه من فعل الطهارة تبين عدم التكليف باستعمال الماء، فيلزمبقاء التيمم؛ لأنَّ النقض لا يتحقق إلا بتمكنه من المبدل.

وفيه نظر؛ إذ لقائل أن يقول: لا ملازمة بين عدم تكليف التيمم باستعمال الماء، وبين بقاء تيممه من غير إيجاب تيمم آخر عليه، بل الظاهر أنَّ يكون نفس وجдан الماء -المظنون بقاوه ذلك المقدار استصحاباً للحال- ناقضاً، فيجب به تيمم آخر إذا لم يبق ذلك المقدار بطره انعدم عليه، أو سبق آخر إليه مثلاً، والتزام القول بأنَّه يجوز للتميم لفقد الماء -بعد وجوده- فعلُ مشروطٍ بالطهارة، كابتداء الصلاة، ومس خط المصحف مثلاً، إلى أن يضي ذلك المقدار -لا يخلو من إشكال^(٧).

وتابع الشيخ البهائي الحقن التراقي، فبعد أن أورد الوجه المتقدم في اعتبار سعة الوقت أجاب بقوله: ويضعف عن الملازمة بين عدم التكليف بالاستعمال، وبين بقاء التيمم؛ لجواز كون نفس وجود الماء -الجاري فيه استصحاب البقاء - ناقضاً، ولذا لا يجوز للمتيمم الواحد للماء الشروع في الصلاة، ومس المصحف بالتيمم قبل مضي ذلك المقدار، بل يمكن الكلام فيما لم يظن بقاوه، بل يحتمل أيضاً. وينع قوله: (ولذا لو علم...)^(٦٣)؛ لإطلاق الأخبار، حيث ترتب فيها النقض على مجرد الإصابة، أو المرور، أو القدرة عليه^(٦٤).

وأما وجه علماء العصر في بقاء التيمم فهو كما يظهر من السيد الحكيم في (مستمسك العروة الوثقى)، حيث أفاد أن المراد من إصابة الماء ينصرف إلى صورة التمكّن منه، وسعة الوقت للطهارة بها، وأيد ذلك بخبر أبي أيوب، المروي عن تفسير العياشي: «إذا رأى الماء -وكان يقدر عليه- انتقض التيمم»^(٦٥).

الثالث:

ما استدل به السيد صاحب (المدارك) على طهارة ذرق الطيور مطلقاً، سواء المأكلة أو غير المأكلة: صحيحه علي بن جعفر، عن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «أنه سأله عن الرجل: يرى في ثوبه خراء الطير، أو غيره، هل يمحكه وهو في صلاته؟ قال: لا بأس»^(٦٦).

بتقريب أنَّ الإمام عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لم يلزم محكه، وإنما قال: «لا بأس»، فهو إنما يدل على الجواز، ومع كون السؤال مطلقاً من جهة الطير، من غير تفصيل بين المأكول وغير المأكول، فنعرف بأنَّ ذرق غير المأكول ظاهر، قال السيد: وترك الاستفصال مع قيام الاحتمال يفيد العموم^(٦٧).

وأوَّل من ردَّ هذا الاستدلال هو الشيخ البهائي، حيث قال: وقد احتاج بعض الأصحاب بالحديث السابع على طهارة خرء الطير^(٦٨)، وظني أنه لا ينهض دليلاً على ذلك؛ فإنَّ نفي البأس فيه لا يتعين أن يكون عن الخرء؛ لاحتمال أن يكون عن حكه في الصلاة عن الثوب^(٦٩)، ويكون سؤال علي بن جعفر إنما هو عن أن حكه في أثناء الصلاة هل هو فعل كثير لا يجوز في الصلاة؟ أم لا؟

فأجابه عليه عليه عليه ببني البأس عنه فيها، فمعنى قوله عليه عليه عليه: «لا بأس»: نفي البأس عن المصلِي من حكه فيها، ولفظة: «غير» يجوز قراءتها بالنصب، والجر، وعلى التقديرِين ففيها تأييدٌ تامٌ لـهذا الاحتمال؛ إذ لو لم يحمل عليه لم يصح إطلاقه عليه عليه عليه نفي البأس عما يراه المصلِي في ثوبه من خرء الطير، وغيره، وأيضاً فاللام في الطير لا يتعين كونها للجنس؛ لجواز كونها للعهد، والمراد: المأكول اللحم، ومع قيام الاحتمال يسقط الاستدلال، والله أعلم^(٧٠).

فما أفاده الشيخ البهائي من استشكال على الاستدلال بهذا الحديث من ثلاثة وجهات:

الأولى: أنَّ من المحتمل أن سؤال علي بن جعفر ليس عن حكم خرء الطير، وإنما عن حكم فعل الحك في الصلاة لأجل إزالة خرء الطير، هل ينافي الصلاة؟ أم لا ينافي الصلاة؟ فنفي الإمام عليه عليه عليه البأس؛ لبيان عدم منافاته لفعل الصلاة.

ويبدو أنَّ الشيخ البهائي لم يذكر هذا الاحتمال في المراد من السؤال اعتباطاً؛ وذلك لأنَّ سياق الحديث يدل على ذلك، ففي الفقرة التي سبقت هذه الفقرة في الحديث كان عن السؤال عن فعل تطهير الدم في الصلاة، وأنه ينافي الصلاة أم لا، وأجاب الإمام عليه عليه عليه بما يفيد المنافاة، وكذلك الفقرة اللاحقة عليها بيان لفعل لا ينافي الصلاة. وإليك عبارة السياق، فمما سُئل علي بن جعفر أخاه الإمام موسى بن

جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ في الحديث: «وعن الرجل يكون في صلاته، فرماده رجل فشجه، فسأل الدم، فانصرف، وغسله، ولم يتكلم حتى رجع إلى المسجد.

هل يعتد بما صلي؟ أو يستقبل الصلاة؟

قال: يستقبل الصلاة، ولا يعتد بشيء مما صلي.

وعن الرجل يرى في ثوبه خراء الطير، أو غيره، هل يحکه وهو في صلاته؟

قال: لا بأس.

وقال: لا بأس أن يرفع الرجل طرفه إلى السماء وهو يصلى»^(٧١).

وقد تابع الشيخ البهائي بالاستشكال من هذه الجهة شيخنا صاحبُ

(المدائق) قتيل^(٧٢)، والسيدُ صاحب (الرياض) قتيل^(٧٣)، والميرزا القمي قتيل^(٧٤)، والمحقق

النراقي قتيل^(٧٥)، والمحقق آغا رضا الهمданى^(٧٦).

الثانية: ما يؤيد الاحتمال السابق، أن كلمة: «غير» - في جملة: «يرى في ثوبه خراء الطير، أو غيره» - يكن قراءتها بالجر عطفا على الطير المجرور بالإضافة، ويمكن قراءتها بالنصب عطفا على الخراء المنصوب؛ لأنه مفعول به، وعلى التقدير الأول يكون المعنى: سواء رأى في ثوبه خراء الطير، أو خراء غيره، فلا بأس بأن يحکه، وغير خراء الطير يشمل حتى الخراء النجس من الحيوان غير مأكل اللحم، فلا تنسمجم إطلاق لا بأس إلا على نفي منافاة الفعل للصلاة.

وكذلك على التقدير الثاني؛ لأن المعنى يكون: سواء رأى في ثوبه خراء الطير، أو رأى شيئاً آخر، والشيء الآخر يشمل النجاسات، فلا ينسجم إطلاق: «لا بأس» إلا لنفي منافاة الفعل للصلاة.

الثالثة: أَنَّه على فرض أن نفي البأس يفيد طهارة خراء الطير، لكن من المحتمل أن المراد من الطير هو المعهود لفظاً مما تقدم ذكره في الرواية، حيث سُئل قبل ذلك:

«عن الرجل يصلّي وفي كمه طير؟ فقال: إن خاف عليه ذهابا فلا بأس»، فليس من بعيد جداً كون المراد من هذا الطير هو الطير المأكول للحم، ومع قيام الاحتمال المعتمد به يسقط الاستدلال؛ حيث يسلب الظهور من الرواية.

كما أنه ليس من بعيد أن مراده من العهد هو: العهد الذهني؛ فإن عادة ما يسقط من ذرق الطيور على الشخص في الحالة الطبيعية في الأماكن المتعارفة لإقامة الصلاة هو ذرق طيور مأكولة اللحم، كالعصافير، والحمام، ولذا قال السيد صاحب (الرياض) في المقام: إن إطلاق: «الطير» فيه ينصرف إلى المتبادر الغالب، وهو مأكول اللحم، وغيره نادر^(٧٧).

ولم يجرأ أحدٌ على الاستدلال بالحديث على طهارة ذرق طير غير مأكول اللحم بعد أن أشكل الشيخ البهائي بهذه الإشكالات على استدلال صاحب (المدارك).

المقام الرابع: ردود له على إشكالات على وجوه استدلاليّة، ونماذج لذلك ما يلي:

الأول:

العلامة الحلبي اشترط الكريّة في طهارة الجاري مع الملاقة^(٧٨)، واستشكل عليه بعضهم^(٧٩) بالتعليق الوارد في صحيحه ابن بزيع، عن الرضا علّي، قال: «ماء البئر واسع، لا يفسده شيء، إلا أن يتغير ريحه، أو طعمه، فينزع حتى يذهب الريح، ويطيب طعمه؛ لأن له مادة».

فقوله علّي: «له مادة» تعلييل لعدم فساد ماء البئر بمجرد الملاقة، وهذه العلة متحققة في الماء الجاري الأقل من الكثرة، فحينئذ لا يتنجس الجاري ولو كان قليلاً بالملاقة، إلا مع تغيير أو صافه؛ لأن العلة المنصوصة حجة، فتنفتح لنا مناط طهارة

الجاري.

لكن الشيخ البهائي استشكل على هذا الوجه؛ لاحتمال أن العلة في ختام الرواية لا ترجع إلى عدم تنفس ماء البئر، بل هي تعليل لذهب تغير الماء بالرائحة، ولطبيه، ومع الاحتمال يبطل الاستدلال، قال قيئض: وهذا الحديث مما استدل به بعض الأصحاب على بطلان ما ذهب إليه العلامة طاب ثراه - من اشتراط الكريمة في الجاري؛ لأن عائشة جعل العلة في عدم الفساد بدون التغير - أو في الطهارة بزواله - وجود المادة، والعلة المنصوصة حجة، هذا كلامه، وفيه نظر؛ لاحتمال أن يكون قوله عائشة: «لأن له مادة» تعليلاً لترتب ذهب الريح وطيب الطعام على النزح، كما يقال: لازم غرميك حتى يعطيك حقك؛ لأنك يكره ملازمتك. وكما يقال: الزم الحمية حتى يذهب مرضك؛ فإن الحمية رأس الدواء. ومثل ذلك في الكلام كثير، ومع قيام الاحتمال يسقط الاستدلال^(٨٠).

ولم يسبق أحد الشيخ البهائي قيئض في هذا الإشكال، وأول من حاول أن يجيب على إشكاله هو الحقن صاحب (المدائني) قيئض، حيث أفاد أن التعليل - بأن له مادة - لا يكون إلا بالله فائدة في الكلام، فإذا كان تعليلاً لذهب الريح وتطيب طعم الماء صار بلا فائدة؛ إذ أن من الواضح أن بالنزح تذهب الريح، وتطيب طعم الماء، بلا حاجة إلى التعليل بأن له مادة، قال تعقيباً على كلام الشيخ البهائي:

والظاهر أنه لا يخلو من بعد، فإن ذهب الريح وطيب الطعام بالنزح أمر بدائي محسوس، لا يحتاج إلى علة، فحمل الكلام عليه مما يخرجه عن الفائدة، ولا يليق حينئذ نسبته بكلام الإمام، الذي هو إمام الكلام^(٨١).

لكن الحقن النراقي قيئض ينتصر للشيخ البهائي قيئض - دون أن يصرح بذلك - بأن أكد وجود الوجه لاحتمال رجوع التعليل لذهب الريح؛ حيث إنه يرى أن النزح في

نفسه قد لا يسبب زوال الريح إلا بالتعليق بالمادة، قال: مع أنه يمكن أن يكون تعليلاً لذهاب الريح وطيب الطعام بالنزح، حيث إن مجرد النزح لا يستلزم ذلك، وليس ذلك معلوماً؛ إذ ما ليس له مادة ربما لم ينزل تغييره بالنزح إلى أن لا يبقى منه شيء، فترتبه على النزح كلياً إنما هو مع وجود المادة^(٨٢).

وقد صرخ السيد القزويني في الدفاع عن الشيخ البهائي قتيل، ورد كلام صاحب (المدائق) قتيل، وموضحاً لوجه الاحتمال، حيث قال: إن ذلك مما لا غرابة فيه، بل هو بنفسه احتمال ظاهر لا خفاء فيه، بعد ملاحظة أن الإمام عاش عليه -حينما أدعى الملازمة بين النزح وزوال التغير - استفاد من الرواية استبعاداً في تلك الملازمة، فأتي بالعلة المذكورة؛ رفعاً لذلك؛ وتحقيقاً لتلك الملازمة؛ أو دفعاً لما عساه يتأمل بعد ذلك فيها، ولا ريب أن ذلك مما لا ينافي وظيفة الإمامة بعد ما حصل له المقتضي، وإنما لا يحمل كلام الأئمة على نظائر هذه الأمور إذا لم يقم عليه مقتض، كما أن المقام كان من مظان الاستبعاد والتأمل المذكورين... الخ^(٨٣).

لكنْ عاد السيد الحكيم قتيل للاستشكال على الشيخ البهائي، ومعمقاً لجواب صاحب (المدائق) قتيل، دون أن يصرح بذلك، فدفع احتمال رجوع العلة لذهب الريح بثلاثة وجوه:

الأول: أنه أمر عرف واضح التتحقق، فيكون تعليله في لسان الشارع تعليلاً على خلاف وظيفته، وبياناً للواضح.

الثاني: أن ذهب الريح لا يترتب على مجرد وجود المادة، وإنما يترتب على ذلك منضماً إلى تزايد الماء النقي، ونقص المتغير، وغلبة الأول على الثاني، فلو رجع التعليل إليه لزم الاقتصار على بعض العلة في التعليل، وهو خلاف الظاهر.

الثالث: أن المفad المذكور ليس مدولاً عليه بالكلام، ولا مما سيق لأجله، وإنما

هو متصيد، وهذا بخلاف لو كانت العلة علة لعدم نجاسة ماء البئر^(٨٤).

المثال الثاني:

روى الشيخ في (الاستبصار) و(التهذيب) بسند عن زكريا بن آدم عليه السلام قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك، كنتُ في صلاتي، فذكرتُ في الركعة الثانية - وأنا في القراءة - أني لم أقم، فكيف أصنع؟ قال: اسكت موضع قراءتك، وقل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة. ثم امض في قراءتك وصلاتك، وقد تمت صلاتك»^(٨٥).

وقد أشكل الشهيد الأول -أعلى الله مقامه- بالأخذ بفадها، والتكلم بذلك أثناء الصلاة، وقال: إنه كلام ليس من الصلاة، ولا من الأذكار^(٨٦)، وقد قرر الشهيد الأول جملة من العلماء من جاء بعد الشيخ البهائي^(٨٧).

وأجاب الشيخ البهائي -أعلى الله مقامه- بأن يقول: (قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة). في نفسه، بقرينة الأمر بالسکوت؛ فإنه أعم من الأمر بالسکوت عن القراءة، والسکوت عن شيء آخر، قال: وأنت خبير بأن الحمل على أنه يقول ذلك مع نفسه من غير أن يتلفظ به ممکن، وقوله عليه السلام: «اسكت موضع قراءتك، وقل: قد قامت الصلاة». ربما يؤذن بذلك؛ إذ لو تلفظ بالإقامة لم يكن ساكتاً في موضع القراءة، وحمل السکوت على السکوت عن القراءة لا عن غيرها خلاف الظاهر^(٨٨).

غير أن جوابه لم يرضِّه جملة من المحققين، ومنهم الشيخ الجواهري، بأن شمول الأمر بالسکوت لقول: (قد قامت الصلاة) ينافي ظاهر قوله في الرواية أمر الإمام عليه السلام بالقول: (قد قامت الصلاة)، مضافاً إلى أن ذاك الحمل ينافي سياق الكلام^(٨٩).

وقد قرر الحق البحريني تَدَبَّرْ -على الظاهر- الشيخ البهائي في الاستشكال على

الشهيد الأول، وأضاف إشكالا آخر مبني على التسليم أنه يقول ذلك متلفظاً به، وأنه ليس من الأذكار، حيث قال: وأنت خبير بأنه لقائل أن يقول: إن ما ذكره شيخنا المتقدم -من كونه ليس من الصلاة، ولا من الأذكار- وإن كان كذلك، إلا أن النص متى دل على جوازه فلا وجه لرده، ولا استبعاد فيه، سيما مع وجود النظائر المتفق عليها بينهم، وليس هذا بأبعد مما دلت عليه النصوص، وقالوا به من غير خلاف يعرف، من جواز الأفعال الخارجة عن الصلاة في أثناء الصلاة، من غسل دم الرعاف، وقتل الحية، وإرضاع الصبي، ونحو ذلك من الأفعال الخارجة عن الصلاة، التي لو لا هذه النصوص الواردة بها لأبطلوا بها الصلاة البتة؛ لكونها أفعالاً أجنبية عنها، خارجة عن حقيقتها، والأمر في الموضعين كذلك^(٩٠).

وقد وافقه جملة من تأخر عنه^(٩١)، وإن أشكل بعضهم بإشكال آخر لرد الخبر، وذلك بضعف السند.

المواهش:

(١) وهو السيد صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ، ١٧٠٨ م، صاحب كتاب: «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة»، ومرقه في حرم السيد أحمد بن موسى المعروف بـ(شاه چراغ). انظر كتاب: «تلامذة المجلس» للسيد أحمد الحسيني، ص ٤٢.

(٢) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ورتب كتابه بأنْ جعل فيه أصحاب الأشعار على أقسام خمسة، أولها في أهل المحرمين، والثاني أهل الشام، ومصر، ونواحيهما، والثالث أهل اليمن، والرابع أهل العجم، والبحرين، والعراق، والخامس أهل المغرب. انظر الذريعة ج ١٢، ص ٢١٢.

(٣) وأمثلة لذلك انظر التحفة السننية، ص ١٧ وص ٢١، الحدائق الناضرة لا يكاد يتعرض إلى الشيخ البهائي إلا ويعبر عنه بشيخنا البهائي، وهو أكثر من كررَ هذا الوصف فيه، ومفتاح الكرامة، ج ٣، ص ٣٧ وص ١٥٢، رياض المسالك، ج ٢، ص ١٩٣، غنائم الأيام، ج ١ ص ١٢٢، منهاج الأحكام، ص ١٤٩، عوائد الأيام، ص ٤٦١، وص ٦١٩، مستند الشيعة ج ١، ص ١٩٥، في

أجزاء أخرى، سيما الجزء الثالث، والخامس، جواهر الكلام، ج ١٣، ص ٣٥، وص ٢٢٦، رسائل فقهية للشيخ الأنصاري، ص ٣٢٠، ص ٣٢٣، كتاب الصلاة للشيخ البهائي، ج ١ ص ٥٥٢، وج ٢، ص ٩٨، وكتاب الطهارة له ج ١، ص ٧٧، وص ١٨٣، وكذا في أغلب كتبه الفقهية، ينابيع الأحكام، السيد علي موسوي القزويني، تقريرات المجدد الشيرازي في الأصول، ج ١، ص ١٢٠، مصباح الفقيه، ج ١ كتاب الطهارة، ص ١١٢ وكذا جملة من أجزاء الكتاب، اللمعات النيرة للآخوند الحراساني، ص ٥٨، العروة الوثقى، ج ٢، ص ١٤٣، وكتاب الصلاة للشيخ عبد الكريم الحائرى، ص ١٠٧، مستمسك العروة الوثقى، ج ٢، ص ٣٢٨ وفي غيرها أيضاً، الرسائل للسيد الإمام الخميني، ج ١، ص ٧٤، وفي كتاب الطهارة له ج ١ ص ٦٢، كتاب الحج للسيد الحوئي، ج ١، ص ٣٤٧، كتاب الصلاة له ج ١، ص ٩٤ وموارد أخرى له.

(٤) مشارق الشموس، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠١، وص ١٠٤، وص ١٠٦، وغيرها، غنائم الأيام، ج ١، ص ١١٩، ص ١٢٦، ج ٢، ص ٣٠٦، ص ٣٢٥، جواهر الكلام، ج ٧، ص ٣٤١، تقريرات المجدد الشيرازي للروزدرى، مصباح الفقاھة للسيد الحوئي، ج ١، ص ٣٩٢ وغيرها.

(٥) حکای الشیخ یوسف فی الحدائیق الناپرۃ ج ٨، ص ٢١، والشید الحکیم فی مستمسک العروة الوثقی، ج ٦، ص ٧١، وحکی النقل المحقق التراقی فی مستند الشیعۃ، ج ٥، ص ٢٤.

(٦) الوسائل باب: ٨ من أبواب تکبیرة الإحرام، ح ١.

(٧) الحدائیق الناپرۃ، ج ٨، ص ٢٢.

(٨) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٤٤، وسائل الشیعۃ، ج ١، الباب السابع عشر من أبواب الوضوء، ص ٤٠٣، الحديث الأول من الباب.

(٩) الحبل المتن ج ٢، ص ٧٠ - ٧١ ط. الآستانة الرضوية، وص ١٤ ط. بصیری (طبعہ خطیہ)، وانظر مشرق الشمسمین، ص ٢٩٤، والحديث الرابع من شرح الأربعين حدیث للشيخ البهائي.

(١٠) الحبل المتن، ج ٢، ص ٧٠.

(١١) الحدائیق الناپرۃ ج ٢، ص ٢٢٨.

- (١٢) انظر مشارق الشموس ص ١٠١، الحدائق الناضرة، ج ٢، ص ٢٢٨، مفتاح الكرامة، ج ٢، ص ٣٧٧ - ٣٨٠ ط جامعة المدرسين، غنائم الأيام للميرزا القمي، ص ١٢٢ - ١٢٤، جواهر الكلام، ج ٢، ص ١٦٧ - ١٤٥، كتاب الصلاة للشيخ الأنصاري، ج ٢، ص ١٧١ - ١٦٧.
- (١٣) الاحتجاج للشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٣١٢.
- (١٤) الحبل المتن، ص ١٥٩، ط بصيرتي.
- (١٥) الحدائق الناضرة، ج ٧، ص ٢٢٠.
- (١٦) مستند الشيعة، ج ٤، ص ٤٣٨.
- (١٧) كتاب الصلاة للسيد الحوئي، ج ٢، ص ١١١، ١١٠.
- (١٨) مفتاح الفلاح، ص ١٩٤، نشر الأعلمي، وص ٥٤٥ نشر جامعة المدرسين.
- (١٩) تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٤٣، باب المواقف.
- (٢٠) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٥٠٢.
- (٢١) مفتاح الفلاح، ص ١٩٤، نشر الأعلمي، وص ٥٤٥ نشر مؤسسة النشر الإسلامي (جامعة المدرسين).
- (٢٢) مصباح المتهجد، ص ٩٤.
- (٢٣) انظر التعليقة في شرح مفتاح الفلاح للخواجوئي ص ٥٤٥ - ٥٤٦.
- (٢٤) بث إبليس جنوده كما في الخبر.
- (٢٥) الحدائق الناضرة، ج ٦، ص ٧٠.
- (٢٦) انظر مفتاح الكرامة، ج ٩، ص ٢٤٠، والسيد المؤلف قال في نقه للشيخ البهائي: وفيه أنه لا دلالة في الخبر الذي أشار إليه على أن الصلاة من ذلك الوقت، وإنما يدل على أن ابتداء التسمية بالغفلة من ذلك الوقت، و مجرد كون هذه الصلاة تصلى في ساعة الغفلة لا يستلزم تقديمها على الفريضة، و مجرد فوات الأداء لا يستلزم القضاء كما هو الحق. ولم يشر إلى أنَّ صاحب الحدائق سبقه في هذا النقد مع تشابه العبارتين.

- (٢٧) مراده خبر جابر، وهي الرواية الأخيرة على حسب ترتيب عرض المحقق الهمداني.
- (٢٨) مصباح الفقيه، ج٢ من الصلاة، ص٩.
- (٢٩) مفتاح الفلاح ص١٨٢، نشر الأعلمي، وص٥١٣ نشر مؤسسة النشر الإسلامي.
- (٣٠) مفتاح الفلاح مع تعليقة الحواجوئي المتوفى سنة ١١٧٣ هـ ص٦٨١، نشر مؤسسة النشر الإسلامي (جامعة المدرسين).
- (٣١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج٢، ص٨٩، الاستبصار، ج١، ص٣٣٨، وسائل الشيعة، ج٦، الباب الثالث من أبواب القنوت، ص٢٦٧، ح٢. ط آل البيت عليهم السلام.
- (٣٢) الحدائق الناضرة، ج٦، ص٣٩.
- (٣٣) نفس المصدر.
- (٣٤) وسائل الشيعة، ج١ الباب الأول من أبواب الماء المطلق، ص١٠١، ح٩.
- (٣٥) الحبل المتين ص١٠٦.
- (٣٦) الحبل المتين ص١٠٦.
- (٣٧) الاستبصار، ج١، باب الماء القليل يحصل فيه شيء من النجاسة، ص٢٢، ح٨، تهذيب الأحكام، ج١، باب المياه وأحكامها، ص٤١٥، ح٣٠، وسائل الشيعة، ج١، الباب الثالث من أبواب الماء المطلق، ص١٠٤، ح٧، جامع أحاديث الشيعة، ج٢، ص٧.
- (٣٨) بصائر الدرجات، ص٢٥٩، وسائل الشيعة، باب التاسع من أبواب الماء المطلق، ص١١٩، ح١١، مدينة العاجز، ج٥، ص٣٣٨، بحار الأنوار، ج٤٧، ص٦٩.
- (٣٩) فقه الرضا عليه السلام ص٩١، مستدرك الوسائل، ج١، الباب الثالث من أبواب الماء المطلق، ص١٨٩، ح٧، بحار الأنوار، ج٧٧، ص١٧.
- (٤٠) الحدائق الناضرة، ج١، ص١٨٠ - ١٨١.
- (٤١) الحدائق الناضرة، ج١، ص١٨١.
- (٤٢) الكافي، ج٣، ص٤١٧، وسائل الشيعة، ج٣، ص٣١٢ ط آل البيت عليهم السلام.

- (٤٣) الكافي، ج ٣، ص ٤١٧، وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٣١٢.
- (٤٤) الحبل المتن، ج ١، ص ٣٤٣ ط الأستانة الرضوية.
- (٤٥) التهذيب، ج ١، ص ١٠٩، ح ٢٨٥.
- (٤٦) نفس المصدر.
- (٤٧) انظر الحبل المتن، ج ١، ص ٣٤٣ ط الأستانة الرضوية، والفقیہ، ج ١، ص ٦١.
- (٤٨) الحبل المتن، ج ١، ص ٣٤٤، مختلف الشيعة، ج ١، ص ١٥١.
- (٤٩) الحدائق الناصرة، ج ٤، ص ٢١٩ - ٢٢٣.
- (٥٠) انظر المعتبر ج ١، ص ١٩٤ - ١٩٥ ، منتهى المطلب، ج ٢، ص ٢٠٣، تذكرة الفقهاء ج ١، ص ٢٣، جامع المقاصد، ج ١، ص ٢٦١، مدارك الأحكام، ج ١، ص ٢٩٢.
- (٥١) الكافي، ج ٣، ص ٤٥، ح ١٦، التهذيب ج ١، ص ١٤٧، ح ٤١٦.
- (٥٢) ذکری الشیعه، ج ٢، ص ٢١٧.
- (٥٣) سنن أبي داود، ج ١، ص ٦٥، ح ٢٤٨، سنن الترمذی ج ١، ص ١٧٨، ح ١٠٦، سنن ابن ماجة ج ١، ص ١٩٦، ح ٥٩٧.
- (٥٤) أمالی الشیخ الصدق، ص ٥٧٢، ثواب الأعمال للصدق ص ٢٢٩، من لا يحضره الفقیہ، ج ١٨٢، تهذیب الأحكام للشیخ الطوسي، ج ١، ص ١٣٥، وسائل الشیعه، ج ٢، ص ١٧٥ نشر آل البيت علیهم السلام.
- (٥٥) تذكرة الفقهاء، ج ١، ص ٢٣٠، نهاية الأحكام، ج ١، ص ١٠٧، ذکری الشیعه، ج ٢، ص ٢١٧ روض الجنان، ص ٥٣.
- (٥٦) مراده من حدیث عدم وجوب نقض المرأة شعرها.
- (٥٧) مراده خبر حجر بن زائدة المتقدم.
- (٥٨) الحبل المتن، ص ٤٣، وفي طبع الأستانة الرضوية في ج ١، ص ١٣٩.
- (٥٩) الحدائق الناصرة، ج ٣، ص ٨٨ - ٩٠.

- (٦٠) انظر مسالك الأفهام، ج ١، ص ١١٨، ومدارك الأحكام، ج ٢، ص ٢٥٣، ذخيرة المعاد للمحقق السبزواري، ص ١٠٧، المدائق الناشرة، ج ٤، ص ٤٠٠.
- (٦١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٦٣.
- (٦٢) الحبل المتين، ص ٩٤ نشر بصيرتي، قم.
- (٦٣) قول صاحب وجه عدم انتقاض التيمم إذا لم يمض زمان يمكنه الإتيان فيه بالوضوء، إذ قال: ولذا لو علم - أولاً - عدم تمكنه من الإكمال، لم ينتقض تيممه. انظر مستند الشيعة، ج ٣، ص ٤٩٠.
- (٦٤) مستند الشيعة، ج ٣، ص ٤٩٠.
- (٦٥) مستمسك العروة الوثقى، ج ٤، ص ٤٦٢.
- (٦٦) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٥٤، وسائل الشيعة، ج ٧، باب ٢٧ من أبواب قواعد الصلاة، ص ٢٨٤، ط آل البيت عليه السلام.
- (٦٧) مدارك الأحكام ج ٧، ص ٢٨٤.
- (٦٨) والغريب أن محقق كتاب الحبل المتين - نشر الأستانة الرضوية - ذكر أمثلة على من استدل بهذا الحديث، قال: كابن بابويه في الفقيه، ج ١، ٤٠، والشيخ الطوسي في المبسوط، ج ١، ص ٣٩، وابن عقيل كما نقله عنه في الذكرى ج ١، ص ١١٠، مع أنَّ الشيخ الصدوق وإن كان يرى طهارة ذرق الطيور لكن يستدل بهذا الحديث على طهارة ذرق الطيور، وإنما أورده بطوله فيما يصلى فيه من اللباس، وما لا يصلى فيه، وليس الشيخ الصدوق ناظراً به إلى طهارته، وأما الشيخ الطوسي فهو وإن كان يرى في المبسوط طهارة ذرق الطيور غير الخفافش، لكنَّه لم يستعرض الحديث فضلاً من أن يكون استدل به على الطهارة، وأما ما نقله الشهيد الأول في الذكرى عن ابن عقيل هو طهارة ذرق الطيور، واستشهاده برواية الإمام الصادق عليه السلام: «كل شيء يطير فلا بأس بخرقه، وبوله» (الفقيه ج ١، ص ٤١)، ولم يستدل بصحة علي بن جعفر رضوان الله تعالى عليه، ولم يتعرض لها أصلاً، وهي التي في محل البحث، والأغرب من ذلك أنَّ المحقق المزبور لم

- يتعرض لصاحب المدارك الذي هو من استدل بالخبر، وقال صاحب الحدائق رضوان الله تعالى عليه: والظاهر مراد الشيخ البهائي ببعض الأصحاب إنما هو السيد المذكور -يريد صاحب المدارك-؛ فإنه لم يتعرض غيره لذكر هذه الرواية في المقام. الحدائق الناضرة، ج ٥، ص ١٣ .^{٦٩}
- (٦٩) ويكون الغرض من حكه في الصلاة إزالة القذارة إن كان الطير مأكولاً، أو تخفيض النجاسة بقدر الإمكان إن كان غير مأكولاً. هذه الحاشية من نفس الشيخ البهائي تثبت، انظر الحبل المتين ج ١، ص ٤١٧، نشر الأستانة الرضوية.
- (٧٠) الحبل المتين، ص ٩٦، نشر بصيرتي، وج ١، ص ٤١٧ نشر الأستانة الرضوية.
- (٧١) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٥٤ .
- (٧٢) الحدائق الناضرة، ج ٥، ص ١٢ .
- (٧٣) رياض المسائل، ج ٢، ص ٣٤٥ .
- (٧٤) غنائم الأيام، للميرزا القمي، ص ٣٨٥ .
- (٧٥) مستند الشيعة، ج ١، ص ١٤٢ .
- (٧٦) مصباح الفقيه، ج ١، ص ٥١٧ .
- (٧٧) رياض المسائل ج ٢، ص ٣٤٥ .
- (٧٨) نهاية الأحكام، ج ١، ص ٢٢٩ .
- (٧٩) مدارك الأحكام، ج ١، ص ٣٠ - ٣١، وفي ص ٥٥ .
- (٨٠) الحبل المتين، ص ١١٨ .
- (٨١) الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٩٠ .
- (٨٢) مستند الشيعة، ج ١، ص ٢٢ .
- (٨٣) ينابيع الأحكام في معرفة الملال والحرام. ج ١، ص ٤٢٥ .
- (٨٤) مستمسك العروة الوثقى، ج ١، ص ١٢٦ .

- (٨٥) الاستبصار ج ١، ص ٣٠٤، ح ١١٢٨، التهذيب، ج ٢، ص ٢٧٨، ح ١١٠٤، الوسائل الباب ٢٩ من أبواب الأذان والإقامة، ح ٦.
- (٨٦) الذكرى، ج ٣، ص ٢٣٣.
- (٨٧) انظر ذخيرة المعاد للمحقق السبزواري، ح ١، ص ٢٥٨، وكشف اللثام للفاضل الهندي، ج ٣، ص ٣٩٣
- (٨٨) الحبل المتين ص ٢١٠، ط بصيرتي، وج ٢ ص ٢٩٩، ط الأستانة الرضوية.
- (٨٩) جواهر الكلام، ج ٩، ص ٧٠.
- (٩٠) الحدائق الناصرة، ج ٧، ص ٣٧١.
- (٩١) رياض المسالك ج ٣، ص ٣٠٧، مصباح الفقيه، ج ٢ ط القدية، ص ٢٦١، وكتاب الصلاة للسيد الخوئي قمّ ج ٢، ص ٣٩٩، فقه الصادق علیه السلام ج ٤، ص ٣٣٢.

إمساك المحرم على أنفه من الرائحة

المنتنة... تحريمها؟

علي فاضل الصددي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على محمد وآلـهـ.
المعروف حرمة قبض المحرم على أنفه من الرائحة الكريهة^(١)، بل نفي في الغنية
علمه بالخلاف فيها^(٢)، ومبـلغ علمـيـ أنـ أولـ منـ تـنـظـرـ فيـ هـذـاـ الحـكـمـ هوـ صـاحـبـ
المـارـكـ^(٣)، والمـظنـونـ قـوـيـاـ أـنـ مـنـشـأـ تـنـظـرـهـ فـهـمـ أـسـتـاذـهـ المـقـدـسـ الأـرـدـبـيـلـيـ نـفـيـ وجـوبـ
إـمسـاكـ عـلـىـ الـأـنـفـ لـلـرـائـحـةـ الـكـرـيـهـةـ مـنـ بـعـضـ أـخـبـارـ الـمـسـأـلـةـ، وـهـوـ أـولـ مـنـ اـسـتـظـهـرـ
عـدـمـ حـرـمـةـ ذـلـكـ حـسـبـ تـبـيـعـيـ الـقـاصـرـ.

قال المـقـدـسـ عليه السلام: (... والظاهر عدم تحريم ذلك، وعدم النهي عن ذلك، وكـأنـهـ
يـقـولـ يـعـنيـ الإـمامـ عليـهـ السـلـامــ فـيـ الصـاحـاحـ الـآـتـيـةـ: إـنـاـ يـجـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـمـسـكـ عـلـىـ الرـائـحـةـ
الـطـيـبـةـ، لـأـنـ الرـائـحـةـ الـمـنـتـنـةـ؛ لـأـنـهـ الـمـتـبـادـرـ مـنـ تـلـكـ الـأـخـبـارـ عـلـىـ فـهـمـيـ، وـيـؤـيـدـهـ
قولـهـ عليـهـ السـلـامـ: «وـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـتـلـذـذـ»؛ فـإـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ المـقـصـودـ مـنـ المـنـعـ مـنـ الرـائـحـةـ
الـطـيـبـةـ -وـعـدـمـ المـنـعـ مـنـ الـمـنـتـنـةـ- هـوـ: عـدـمـ التـلـذـذـ، وـذـلـكـ مـوـجـودـ فـيـ قـبـضـ الـأـنـفـ مـنـ
الـمـنـتـنـةـ، وـعـدـمـهـ...^(٤).

وـمـنـ شـابـ المـقـدـسـ عليـهـ السـلـامــ عـلـىـ ذـلـكـ: السـيـدـ مـحـمـدـ الرـوـحـانـيـ عليـهـ السـلـامــ، مـسـتعـينـاـ بـنـفـسـ
الـنـبـهـاتـ الـتـيـ أـلـحـ إـلـيـهـ، وـلـكـ بـتـقـرـيرـ آـخـرـ، وـهـوـ أـنـ النـهـيـ لـيـسـ وـارـداـ فـيـ مـقـامـ بـيـانـ
الـحـكـمـ اـبـتـداءـ، بـلـ فـيـ مـقـامـ تـوـهـمـ الـحـظـرـ، وـتـخـيـلـ وـجـوبـ إـمـسـاكـ عـلـىـ مـطـلـقـ الرـائـحـةـ،
طـيـبـةـ كـانـتـ أـوـ مـنـتـنـةـ^(٥).

والمفارقة أنه أفتى في مناسكه بالحرمة^(٦).

ومن استشكل الحرمة الحق العراقي عليه السلام قائلًا: (وأما الرائحة الكريهة ففي حرمتها إشكال، من النهي عنه في بعض النصوص، ومن إمكان حمل نهيه لبيان توهّم وجوب الرياضة بشمه المناسب للمحرم، كما في النص السابق من قوله: «أمر الحرم ضيق»، والأحوط تركه)^(٧).

ومن استشكل الحرمة، واحتاط في مقام الفتوى بالترك لزوما -الميرزا جواد التبريزي قدس سره؛ لذكر النهي عن الإمساك على الأنف من الرائحة الكريهة في سياق المكرور، فلعله قرينة على كراحته أيضًا^(٨).

والمتحصل أن منشأ إشكال الحرمة أمران:

الأول: كون النهي في مقام توهّم وجوب الإمساك عن الرائحة الكريهة، وأما ما ذكره الحق العراقي (رضوان الله عليه) وغير متسق على الظاهر؛ فإن توهّم وجوب الرياضة باسم النتن من الروائح لا يرفع بـ«لا تمسك على أنفك من الريح المنتنة»، بل بـ«أمسك عليه من الريح المنتنة».

الثاني: سياق الكراهة.

ونضيف إليهما ثالثاً: وهو تخيل عدم ظهور الجملة الخبرية في البعث، أو الزجر، كما هو مذهب الحق التراقي صاحب (المستند).

وقبل معالجة هذه الإشكالات نستعرض روایات المسألة:

الأولى: حسنة -بل صححه- معاوية بن عمار -التي رواها الكليني بسندتين معتبرتين-، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تمسّ شيئاً من الطيب، ولا من الدُّهن في إحرامك، واتقِ الطيب في طعامك، وأمسك على أنفك من الرائحة الطيبة، ولا تُمسك عنه من الريح المنتنة؛ فإنه لا ينبغي للمحرم أن يتلذّذ بريح طيبة»^(٩).

الثانية: صححه معاوية بن عمار -التي رواها الشيخ-، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تمس شيئاً من الطيب وأنت محروم، ولا من الدهن، واتق الطيب، وأمسك على أنفك من الريح الطيبة، ولا تمسك عليها من الريح المنتنة؛ فإنه لا ينبغي للمحرم أن يتلذذ بريح طيبة، واتق الطيب في زادك، فمن ابتلي بشيءٍ من ذلك فليعد غسله، ولি�صدق بصدقه بقدر ما صنع، وإنما يحرم عليك من الطيب أربعة أشياء: المسك، والعنب، والورس، والزعفران، غير أنه يُكره للمحرم الأدھان الطيبة، إلا المضطر إلى الزيت -أو شبهه- يتداوى به»⁽¹⁰⁾.

الثالثة: رواية معاوية بن عمار -التي رواها الشيخ بإسناده عن موسى بن القاسم، عن إبراهيم النخعي، عنه -، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «اتق قتل الدواب كلّها، ولا تمس شيئاً من الطيب، ولا من الدهن في إحرامك، واتق الطيب في زادك، وأمسك على أنفك من الريح الطيبة، ولا تمسك من الريح المنتنة، فإنه لا ينبغي لك أن تتلذذ بريح طيبةٍ، فمن ابتلي بشيءٍ من ذلك فليعد غسله، ولি�صدق بصدقه بقدر ما صنع»⁽¹¹⁾.

وطريق الشيخ إلى موسى بن القاسم وإن كان صحيحاً في الفهرست، وكذا في مشيخة التهذيب، إلا أن إبراهيم النخعي الواقع في سند الرواية مجھول الحال، بل مهملاً؛ إذ لم يذكر في كتب الرجال⁽¹²⁾، فالرواية ضعيفة سندًا به.

الرابعة: حسنة الحلبي، بل صحيحته -التي رواها الشيخ الكليني- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «المحرم يمسك على أنفه من الريح الطيبة، ولا يمسك على أنفه من الريح المنتنة»⁽¹³⁾.

وروها الشيخ الصدوق عن الحلبي ومحمد بن مسلم، وفيها: «ولا يمسك على أنفه من الريح الخبيثة». إلا أنه عليه السلام قد أهمل في (مشيخة الفقيه) ذكر طريقه إليهما

معاً، نعم، ذكر طريقه لكلٍ واحدٍ منها، وهم صحيحان، إلا أنه لا ملازمة بين صحة طريقي كل منها على انفراد، وبين صحة طريقه إليهما معاً، لجواز تعدد الطريق، فكثيراً ما يورد في المشيخة طريقه إلى شخصٍ ثم يورد طريقاً آخر إلى شخصين - أو جماعة - يشتمل على ذلك الشخص، ومنه تعلم المحدثة في توصيف بعض الأعلام بهذه الرواية بطريق الصدوق بالصحيحه^(١٤).

اللهُمَّ إِلَّا أَنْ يَقُولُ: أَوْلَأَ: إِنْ ذَكْرَ طَرِيقِهِ لِحَمْدٍ بْنَ مُسْلِمٍ مُطْلِقٍ، يُشَمَّلُ فِرْضَ ذِكْرِهِ مُنْفَرِداً وَمُنْضَمَاً، مَا لَمْ تَقُمْ قَرِينَةً عَلَى الْانْفَرَادِ، كَذْكَرَ طَرِيقٍ آخَرَ لَهُ مَعْ جَمَاعَةٍ. بَلْ إِهْمَالُ ذَكْرِ طَرِيقِهِ لَهُ مُنْضَمًا إِلَى جَمَاعَةٍ - مَعْ شَيْوَعَ ذَلِكَ فِي مَثَلِ عَلَيْهِ الرِّوَاةِ كَابِنِ مُسْلِمٍ وَالْحَلَبِيِّ - قَرِينَةٌ عَلَى الإِطْلَاقِ أَيْضًاً.

وَثَانِيَاً: إِنَّهُ - بَنَاءً عَلَى نَظَرِيَّةِ تَعْوِيْضِ السَّنْدِ - الَّتِي يَرَاها جَمْعُ مِنَ الْأَعْلَامِ، وَمِنْهُمْ أَحَدُ مَنْ وَصَّفَ الرَّوَايَةَ بِطَرِيقِ الصَّدُوقِ بِالصَّحِيحَةِ - - يُكَنْ تَعْوِيْضَ الطَّرِيقِ إِلَيْ كُلِّ مِنْهُمَا؛ لَأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَيْ كُلِّيهِمَا طَرِيقَ إِلَيْ كِتَابِيهِمَا، فَيَعُوْضُ بِالطَّرِيقِ إِلَيْ كُلِّ مِنْهُمَا، فَهُوَ طَرِيقُ لِكِتَابِيهِمَا.

الخامسة: صحيحة هشام بن الحكم - التي رواها الكليني - عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «الحرم يمسك على أنفه من الريح الطيبة، ولا يمسك على أنفه من الريح المتننة، لا بأس بالريح الطيبة فيما بين الصفا والمروءة، ريح العطارين، ولا يمسك على أنفه»^(١٥).

وروى كُلُّ مَنْ الصَّدُوقُ وَالشِّيخُ مُقطَّعٌ: «لَا بَأْسَ بِالرِّيحِ...» عن هشام بن الحكم، ولم يخرجا المقطع السابق له برواية هشام كما صنع الكليني، نعم، خرجه الصدوق - كما عرفت -، ولكن برواية الحلبي، ومحمد بن مسلم.

السادسة: صحيحة ابن سنان - التي رواها الشیخ - عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال:

«الحرم إذا مرّ على جيفة فلا يمسك على أنفه»^(١). وابن سنان وإن كان مشتركاً بين عبد الله ومحمد، إلا أن ابن سنان في سند هذه الرواية هو عبد الله؛ وذلك لأن عبد الله من طبقة رجال الباقي والصادق عليهما السلام، بينما محمد من طبقة رجال الرضا ومن بعده عليهما السلام، فبالطبقة حصل التمييز بين المشتركيين^(٢).

وبعد استعراض روايات المسألة أعود لحاكمة الإشكالات الثلاثة:

أما الإشكال الأول الذي يقضي بكون النهي إما يعني عدم وجوب الإمساك عن الرائحة المنتنة تبادراً، كما أفاد المقدّس الأرديبيلي، وإما أنه في مقام توهم الوجوب، فلا يكون ظاهراً في الحرمة، نظير الأمر في مورد توهم الخطر، كما أفاده السيد الروحاني، وقد ينتهي ما أفاده المقدّس إلى هذا - فقد أجب عنه بأنّ مورد النهي الوارد مورد توهم الوجوب هو: ما إذا أوجب المولى شيئاً، أو أشياء، واحتُمل أن يكون شيء آخر واجباً أيضاً؛ لتساويهما في الجهة المقتضية للإيجاب، فإذا ورد نهي عنه فلا يكون ظاهراً في الحرمة، بل المتّبادر منه عدم شمول الإيجاب والأمر له، ويقال آنئذ بأنّ النهي وارد مورد توهم الأمر^(٣)، وما نحن فيه ليس كذلك؛ فإنّ الأخبار الدالة على وجوب الإمساك عن الرائحة الطيبة لا يتحمل شموله للرائحة الكريهة؛ لعدم الالتزام بها، فإذا ورد نهي عنها فلا يصح أن يقال: إنّ النهي هنا وارد مورد توهم الأمر؛ إذ لا توهم لشمول الأمر للمقام للفرق بين المقامين^(٤).

وهذه الإجابة قد تكفلت استبعاد توهم الإيجاب على مستوى شخص خطاب: «أمسك على أنفك، ولا تمسك عليه»، ونتمم هذه الإجابة بأننا لا نتحمّل إيجاب الإمساك على الأنف عن الرائحة المنتنة - بعد ما علمنا من بناء الحج وواجباته وتروكه على المشقة - ليدفع بـ «لا تمسك على أنفك منها»، فما ورد من أن حال الحرم ضيقة^(٥) إنما يؤخذ بالاحتمال إيجاب الرياضة بضم الرائحة المنتنة، فلا يدفع هذا

الاحتمال بـ «لا تمسك على أنفك من الرائحة المنتنة» -كما تقدم-، بل بـ (أمسك على أنفك منها).

وأما دعوى ظهور التعليل في ذيل ذلك المستفيض، وهو قوله: «فإنه لا ينبغي للمحرم أن يتلذذ بريح طيبة» في كون النهي في مقام توهّم وجوب الإمساك حتى من الريح المنتنة، حيث إنّ المبتغى من المنع عن الرائحة الطيبة وعدم المنع من الرائحة المنتنة هو: عدم التلذذ، وهو موجود في فرضي القبض على الأنف من الرائحة المنتنة وعدمه^(٢١) - فهي لا تتجاوز التأييد والإشعار دون الظهور، كما اعترف بذلك المقدس الأربيلي، فراجع.

وبعبارة أخرى-أوضح في دفع الدعوى-: إن قوله عَزَّلَهُ اللَّهُ: «فإنه لا ينبغي للمحرم أن يتلذذ بريح طيبة» وإن كان ظاهراً في التعليل، إلا أنه كما يحتمل كون المعلل: «أمسك..» و«لا تمسك..»، يحتمل كون المعلل خصوص: «أمسك..»، وأما الفصل بـ «ولا تمسك على أنفك من الريح المنتنة» بين المعلل والتعليل فيبرره الاستطراد.

وأما الإشكال الثاني -والذي ينصب على الرواية الثانية، وهي صحيحة معاوية بن عمار، بل على روایات معاوية الواردة في هذا الصدد أجمع، «الأولى، الثانية والثالثة»؛ لقرب دعوى اتحادها باعتبار اتحاد الراوي، والمروي عنه، والمروي، إلا أن ذيل الثانية مذوف من الأولى، والثالثة^(٢٢) - فتقريبه: أن صدر الصديقة الثانية قد دل على النهي عن مطلق الطيب، مسّاً، وشمّاً، وأكلًا، إلا أن حصر الحرام في ذيلها في خصوص المسك، والعنب، والورس، والزعفران - قرينة على أن النهي بالإضافة إلى غير الأربعة بنحو الكراهة، وأما الأمر بالتصدق عنه فإنه بإزاء ما يكره من الطيب، فالنهي عن الإمساك على الأنف من الرائحة المنتنة - لما كان في سياق المكرر، وسياق الأمر بالتصدق عنه - فهو محتف بما يصلح للقرنية على كراهة الإمساك

عن الرائحة المنتنة^(٢٣).

وقد أجب عن هذا الإشكال بأنّ اشتتمال كل من الجملتين -أعني: « أمسك »، و: « لا تمسك » - على حكم خاص ينبع عن التصرف في الظهور الذي لم ينهض دليلاً على التصرف فيه، خصوصاً لو قلنا بثله في جملة واحدة، كما في قوله: « اغتسل للجمعة والجنابة »، فإنّ قيام الدليل على استحباب الأول لا يوجب ثبوت الاستحباب للثاني^(٢٤).

ويلاحظ على هذه الإجابة بأنها إنما تتمّ بناءً على استفادة الإلزام من حكم العقل عند عدم الترخيص، وأما بناءً على استفادته من ظهور الصيغة - أمراً أو نهياً فيه - فلا محلّ لهذه الإجابة؛ فإن احتفاف الكلام بما يصلح للقرينية على الكراهة ينبع من ظهوره في الإلزام.

وأما الإشكال الأخير فتقريره: أنّ الجملة الخبرية (الفعلية) المستعملة في الطلب والبعث مثل: (يعيد) - غيرُ ظاهرة في الوجوب؛ باعتبار أنها غير مستعملة في معناها الحقيقي، - وهو الإخبار عن ثبوت النسبة، - والمعانى الجازية المحتملة متعددة، ولا مردّح للوجوب؛ لعدم أقوائいてه. وهكذا الحال بالنسبة للجملة الخبرية المنفية الواردة في مقام الزجر؛ فإنّها غيرُ ظاهرة في الحرمة؛ نظراً لعدم استعمالها في معناها الحقيقي - وهو الإخبار عن انتفاء النسبة، - والمعانى المحتملة عديدة، ولا ظهور لها في الحرمة لترجمتها على غيرها. وفيما نحن فيه - حيث إنّ صحيحتي الحلبي وهشام بالخصوص قد اشتتملنا على: « ولا يمسك على أنهه من الريح المنتنة » وهي جملة خبرية منافية - فلا تدل على الحرمة؛ للتقرير المذكور.

وقد أجاب مشهور المتأخرین - كصاحب الكفاية، ومن تابعه - عن أصل الإشكال بأنّ الجملة الخبرية لم تستعمل في غير معناها، بل استعملت في نفس معناها

الموضوع له، وهو: النسبة الصدورية مثلاً، إلا أنه لم يكن بداعي الإخبار، والإعلام، وهو -أعني داعي الإخبار، والإعلام- غير مقوّم للموضوع له، بل بداعي البعث والتحريك بنحو آكد؛ باعتبار أنَّ الامر حين أظهر طلبه بهذا النحو فقد دلَّ على عدم رضاه إلا بوقوعه^(٢٥)، ومنه يعرف الحال في الجمل الخيرية المنفية.

فالمتھصل أنَّ جملة: «ولا تمسك عليه من الرائحة المنتنة» في المستفيض عن معاوية بن عمار - وإن منع سياق الكراهة من ظهورها في المنع من الإمساك على الأنف من الرائحة المنتنة، إلا أنَّ صحیحۃ ابن سنان ظاهرة في الحرمۃ، فإنَّها وإن خلت من السؤال، إلا أنها لا تتحمل إلا أن يكون سؤال ابن سنان عن حرمۃ الإمساك على الأنف من رائحة البیفة، فأجیب بـ«لا يمسك»، ولا تتحمل أن يسأل عن وجوب الإمساك عن رائحتها، ليجاب بالنفي؛ لما مرَّ من بناء أمر الحج على المشقة، وحال الحرم على الضيق.

هذا، وما يؤیّد ظهور الروایات في حرمۃ الإمساك على الأنف من الرائحة المنتنة أن مقتضى الطبع البشري هو الإمساك عن المتن، والنهي عما يقوم به الإنسان بطبعه قرینة على كون النهي في مقام الإلزام.

ونتيجة مجموع ما تقدّم: تمامية بعض الروایات في التدليل على حرمۃ الإمساك على الأنف من الرائحة الكريهة في حق الحرم.
والحمد لله أولاً، وأخراً، وظاهراً، وباطناً، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

المواهش:

(١) قال الفاضل الهندي في كشف اللثام ٥: ٣٥٢: "ولا يقبض على أنفه من الرائحة الكريهة وفacaً للمنعن، والمقنعة، والنهاية، والمبسوط، والسرائر، وغيرها، أي: يحرم كما في الاقتصاد، والجمل، والعقود، والوسيلة، والغنية، والمهدب، والجامع، والإشارة، والدروس...".

- (٢) غنية النزوع (الجواجم الفقهية): ص ٥١٣ س ٢٤ .
- (٣) مدارك الأحكام ٧: ٣٢٥ .
- (٤) مجمع الفائدة والبرهان ٦: ٢٩٠ .
- (٥) المرتقى إلى الفقه الأرقي (الحج) ٢: ١٤٦ .
- (٦) مناسك الحج للروحاني ص ٩٨ م ٢٣٧ .
- (٧) شرح تبصرة المتعلمين ٣: ٤٣٣ .
- (٨) التهذيب ٢: ٢٨١، مناسك الحج للطبريزى ص ١١٧ م ٢٤١ . وقد احتاط بالترك على مستوى الفتوى كل من السيد عبد الأعلى السبزوارى، والميرزا على الغروي قَيْمَّا، لاحظ مناسك الحج للسبزوارى ص ٨٦ م ١٧٧، مناسك الحج للغروي ص ٨٤ م ١٧٨ .
- (٩) الوسائل ١٢: ٤٤٣ ب ١٨ من أبواب ترورك الإحرام ح ٥ .
- (١٠) الوسائل ١٢: ٤٤٤ ب ١٨ من أبواب ترورك الإحرام ح ٨، ٩ .
- (١١) الوسائل ١٢: ٤٤٤ ب ١٨ من أبواب ترورك الإحرام ح ٨، ٩ .
- (١٢) قال في مستدركات علم الرجال ١: ٢١٩: "... هو إبراهيم بن يزيد النخعي، من علماء العامة وفقهائهم - إلى أن قال - وعن الحلية: قوله - يعني إبراهيم - من فضل علياً على عثمان: إن كان هذا رأيك فلا تجالستنا، وقوله: لأن آخر من السماء أحب إلى من أن أتناول عثمان بسوء". انتهى.
- (١٣) الوسائل ١٢: ٤٥٢ ب ٢٤ من أبواب ترورك الإحرام ح ١، الكافي ٤: ٣٥٤ ح ٥ .
- (١٤) التهذيب ٢: ٢٨٠ للميرزا الطبريزى، تفصيل الشريعة (الحج) ٥: ٥٥ .
- (١٥) الوسائل ١٢: ٤٤٨ ب ٢٠ من أبواب ترورك الإحرام ح ١ .
- (١٦) الوسائل ١٢: ٤٥٣ ب ٢٤ من أبواب ترورك الإحرام ح ٣ .
- (١٧) وللمزيد يُراجع معجم رجال الحديث ٢٢: ٢٢٥ .
- (١٨) وهكذا الحال بالنسبة لمورد الأمر الوارد مورد توهم المطر.

- (١٩) كتاب الحج (للسيد الكلبائكياني) ٢ : ٩٦.
- (٢٠) الوسائل ١٣ : ١٣٩ ب ١٨ من أبواب كفارات الاستمتعان ح ٣.
- (٢١) المرتقب إلى الفقه الأرقي ٢ : ١٤٦.
- (٢٢) وصدر الثالثة محفوظٌ من الأوليين.
- (٢٣) التهذيب ٢ : ٢٨١، تفصيل الشريعة (الحج) ٤ : ٥٥.
- (٢٤) تفصيل الشريعة ٤ : ٥٥.
- (٢٥) لاحظ للمزيد منتقى الأصول ١ : ٤٠٨، بحوث في علم الأصول ٢ : ٥٥-٥٧، الحكم في أصول الفقه ١ : ٢٨٩.

إثبات السنن التاريخية في

القرآن الكريم^(١)

السيد مرتضى السيد مجید السندي

المحور الأول: السنن والقوانين في العلوم المختلفة:

السنة في اللغة:

السنة في اللغة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢)، قال الزجاج: سنة الأولين أنهم عاينوا العذاب، فطلب المشركون أن قالوا: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اتَّهِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣). وسننتها سنّا، واستمنتها: سرّتها. وسننت لكم سنة فاتبعوها.

وفي الحديث: من سنّ سنة حسنة فله أجراها، وأجر من عمل بها. ومن سنّ سنة سيئة يريد من علمها ليقتدى به فيها، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنّه. قال نصيب:

كأنّي سنت الحبّ أول عاشق من الناس إذ أحببت من بينهم وقد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة، والسير، وإذا أطلقت في الشرع فإنّما يراد بها: ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه، قوله، وفعله، مما لم ينطق به الكتاب العزيز^(٤).

وقال الراغب الأصفهاني في (مفردات غريب القرآن): تنج عن سَنَنَ الطريق، وسُنَّتِهِ، وسِنَّتِهِ، فالسُّنَّنُ: جمع سنة. سنة الوجه: طريقته. سنة النبي: طريقته التي كان يتحرّاها. سنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلٍ وَكَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِيلًا﴾^(٥)، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٦)، فتنبيه أن فروع الشرائع وإن اختلفت صورها- فالغرض المقصود منها لا يختلف، ولا يتبدل، وهو تطهير النفس، وترشيحها؛ للوصول إلى ثواب الله تعالى، وجواره^(٧).

السنن والقوانين العلمية:

إنَّ العَالَمَ الْمُحيَطَ بِنَا مَلِيءً بِالْأَحَدَاثِ، فَكُلُّ لَحْظَةٍ تَرْبِيَتْ بِنَا تَضَمَّنَ تَغْيِيراتٍ كَثِيرَةٍ فِي مُخْتَلِفِ الْمُجَالَاتِ، فَالْفَلَكُ يَدُورُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَدُورُ مَعَهُ، وَقَدْ اهْتَمَ الْإِنْسَانُ بِكُلِّ مَا حَوْلَهُ، وَحَاوَلَ رِصْدَ حَرْكَتِهِ، وَأَكْتَشَافَهَا؛ وَذَلِكُ لِيُسْحِرَ كُلَّ مَا حَوْلَهُ فِي خَدْمَتِهِ مَا أَسْتَطَعَ، فَرِصَدَ كُلَّ حَرْكَةٍ تَوَصَّلَ إِلَيْهَا، وَصَنَفَهَا، فَنَتَجَتْ عَنْهُ عَدَدٌ عَلَمَاتٌ، وَوُجِدَ أَنَّ كُلَّ مَجَالٍ -وَعِلْمٍ- قَوَاعِينَ ثَابِتَةً، لَا تَتَغَيِّرُ، هِيَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مَسِيرِ كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِذَلِكِ الْعِلْمِ، فَمِنَ الْقَوَاعِينِ الثَّابِتَةِ فِي الْفَلَكِ -مَثَلًا- أَنَّ لَكُلِّ كَوْكَبٍ حَرْكَتَيْنِ، حَرْكَةً حَوْلَ نَفْسِهِ، وَحَرْكَةً حَوْلَ النَّجْمِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ مَجْمُوعَتِهِ، كَمَا هِيَ الشَّمْسُ نَجْمُ الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا أَرْضَنَا.

وَتَبَعَا لِلْفَلَكِ، فَإِنَّ عِلْمَ الْفِيَزِيَاءِ -أَيْضًا- يَقْرِرُ أَنَّهُ لَا يَوْجِدُ جَسْمًا -أَوْ عَنْصَرًا- فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَلَهُ حَرْكَةٌ مَا، وَيَسْتَحِيلُ تَصْوِيرُ جَسْمٍ مَعْدُومِ الْحَرْكَةِ، وَهِيَ حَرْكَةٌ دُورَانٌ، تَشَبَّهُ حَرْكَةُ الْفَلَكِ كَثِيرًا، وَكَانَ كُلَّ ذَرَّةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ تَنْتَلِعُ مَجْمُوعَةً فَلَكِيَّةً. وَمِنَ الْأَسْرَارِ -وَالْقَوَاعِينِ- الَّتِي تَعْمَلُ مَعَهَا الْإِنْسَانُ، وَسَعَى إِلَيْهَا الْكَشْفُ عَنْهَا،

قوانين الجسم، فها هو يكتشف أنَّ للدم في عروقه حركة مستمرة، وبسرعة منتظمة، زيادتها تؤديه، ونقصانها يفنيه، وأنَّ الدم -مثلاً- يتكون من عناصر معينة، بحسب معينة، وغير ذلك من قوانين الجسم المعروفة والثابتة، فاستفاد منها الإنسان في معالجة ما يطرأ عليها من خلل، بعادلة النقص، أو الزيادة.

إلى غير ذلك من القوانين العلمية التي توصل إليها الإنسان، سواء في عالم الجماد، من قدد المعادن، وتقلصها تبعاً لدرجة الحرارة، أو في عالم النبات، وكيفية التنفس عنده اعتماداً على ضوء الشمس، والتي سميت بعملية البناء الضوئي، أو في عالم الحيوان، وحالاته المختلفة مع تعدد أنواعه، من بريٍّ، ومائيٍّ، وبينهما، وغير ذلك الكثير من العالم -والقوانين- العلمية التي لا زال الإنسان يكتشف جديداً منها في كل يوم.

كل ذلك لم يكن الدين الإسلامي بعيداً عنه، ولا مهملاً له، فقد أشار إليه القرآن الكريم إشارات سريعة، وعميقة، داعياً إلى التأمل فيه، وأخذ العبرة منه، خصوصاً ما يتعلق بالقوانين الثابتة، والنظم الواضحة الراسخة، مستدلاً بذلك على وجود الخالق عزوجل، وقد تعرض القرآن الكريم إلى كثير من ذلك، وببلاغة إعجازية، فمن الآيات التي جمعت الكثير من تلك القوانين في كلمات قليلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِآيَاتٍ لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٨)، وفي هذه الآية الكريمة دعوة واضحة إلى التأمل في السماوات، والأرض، وإشارات إلى قوانين الليل، والنهار، وحركة السفن في البحر بالرياح، وزراعة الأرض، وحياة الأرض بالزرع، وإن ماتت سنين، وما لا يمكن ذكره باختصار

إلا بنفس هذه الآية، وإنما ذلك لا يُحصى في عدة كتب.
 وقد ذكر القرآن الكريم -إضافة إلى السموات، والأرض، والفلك- الجبال،
 والنبات، والحيوان، وقد جمع الكثير من ذلك في آيات قصيرة أيضاً، فقال تعالى:
 ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَيْ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بَكُّمْ وَبَثَ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ﴾^(٩)، فنجد
 الآية الكريمة ابتدأت من السموات، والأرض، ومررت بالجبال، والحيوان، وانتهت
 بالنبات، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ
 الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٠).

ثم إنّ أئمّة الهدى من أهل بيت العصمة عَلَيْهِ الْكَلَامُ فصلوا في ذلك كثيراً، خصوصاً في
 زمن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ؛ إذ كان عصره عصر انتشار العلم، وانشغل بنو أمية وبني
 العباس ببعضهم؛ تناحرأ على السلطان، فنجد في كلمات الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ الكثير
 من القوانين العلمية في شتى العلوم، والفنون، وقد خرّج الكثير من الطلاب
 المتخصصين في مجالات متعددة، وكانت مدرسته هي السباقة في علوم الفلك،
 والفيزياء، والطب، وغيرها، وقد ألفت في ذلك كتب، كما هو كتاب: (الإمام جعفر
 الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ، زعيم مدرسة أهل البيت)، للدكتور العراقي محمد حسين علي الصغير،
 إذ عقد فصلاً تكلّم فيه عن العلوم التجريبية في مدرسة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَامُ، وأخر حول
 العلوم الإنسانية، بعد أن تكلّم عن العلوم الشرعية، ومصادر علم الإمام الإلهية،
 وكذلك نجد كتاب: (الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ كما عرفه علماء الغرب)، لمجموعة من
 الباحثين الغربيين، أثبتوا فيه سبق الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ إلى كثير من النظريات
 العلمية الدقيقة، في الفلك، والفيزياء، والكيمياء، والطب، والفلسفة، وغير ذلك^(١١).

المحور الثاني: القرآن الكريم والسنن التاريخية:

علاقة القرآن بالتاريخ:

لقد تحدث القرآن الكريم في قسم كبير منه عن قصص الماضين، فسرد قصصهم مع بعض من التفصيل بدرجة تثير انتباه القارئ لهذا الكتاب العظيم، فهو يذكر قصص الأنبياء من آدم عليه السلام، بل من قبل أن يخلقه، والاعتراضات التي كانت من قبل الملائكة، وقصته في الجنة، وقصة نوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ولوط، ويوفى، ويعقوب، وشعيب، وصالح، وموسى، وهارون، وداود، وسلiman، وأيوب، ويونس، وإلياس، واليسع، وذا الكفل، وعزيز، وزكريا، ويعيسي، وعيسي، حتى يصل إلى خاتم الأنبياء محمد عليه السلام، بل لم يكتف بذلك، حتى ذكر بعض قصص الأولياء، أمثال لقمان الحكيم، وطالوت، والحضر، وأصحاب الكهف، وأيوجوج، ومجوج، وحواربي عيسى عليه السلام، ومریم، وأسیة بنت مزاحم، كما ذكر قصص بعض الطغاة الذين واجهوا الرسالات، وحاربوا حامليها، وتکبروا على الحق، أمثال فرعون، ونمروذ، وقوم لوط، وقوم نوح، وقبيلة صالح، ومشركي قريش، واليهود، وإخوة يوسف، إلى غير ذلك.

فأصبح لدينا مادة تاريخية كبيرة جداً في القرآن الكريم، وخصوصاً مع وجود بعض السور بكماتها هي عبارة عن قصة، وبعض القصص التي ذكرت في أكثر من سورة، فالقسم التاريخي في القرآن الكريم يقارب الثلث، أو أكثر من ذلك، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما علاقة القصة والتاريخ بالقرآن؟ ولماذا كل هذا الكم الهائل من الطرح التاريخي في القرآن؟ أجاب على هذا السؤال عدة باحثين في علوم القرآن والتفسير، نذكر بعضاً منها:

* قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في كتابه: (قصص القرآن): ليس القرآن المجيد كتاب تاريخ، أو قصص، أو علوم طبيعية، أو بيان أسرار السماوات، والأرض، وإنما هو كتاب: هداية للبشر. وبما أن أفضل الدروس وال عبر تكمن في تاريخ الماضين - لا سيما الأنبياء العظام، والأمم، والشعوب التي كانت تحكم مساحات كبيرة من الأرض ثم انقرضت، كما تتجلّى أعظم دروس التوحيد - ومعرفة الله - في أسرار خلقة العالم - فقد تعرّض القرآن لهذه الأمور وفق أسلوب خاص؛ ليقدم نماذج، ومثل لها أكبر تأثير في هداية الإنسان^(١٢).

* ويقول الشيخ محمد محمد طاهر الحقاني - في كتابه: (القرآن والأصول الموضوعية العامة) - في هذا: نتحدث عن طبيعة الحركة التاريخية في القرآن، إذ ما نلاحظه في استعراض القرآن للأحداث التاريخية إما على سبيل القصص، أو استعراض حالة الأمم، وسلوكها... يكشف عن طبيعة الحركة التاريخية في القرآن، وإمكانية انتزاع قوانين ثابتة بين الماضي، والحاضر، والمستقبل. وبما أن حركة القرآن في مقام إثبات القوانين العامة، والحكم بمعايير الثابتة التي لا يمكن أن تتغير باختلاف الظروف وال الحالات.

وبالجملة: إنَّ القرآن الكريم يشير إلى اختلاف المضارعات، والكشف عن الصراعات بين الأمم، ولكن ذلك يعطي إثبات القوانين العامة، والأصول الكلية الثابتة بين القوانين للجهة المشتركة، أو ما يعبر عنه: بالقاسم المشترك في جميع القوانين العامة بين الماضي، والمستقبل^(١٣).

السنن التاريخية، والهداية البشرية:

كما تقدم، فإنَّ القرآن الكريم قد تعرض إلى السنن، والقوانين الكونية العلمية،

مع آئه لم يكن كتاب اكتشاف يعرض مثل تلك القوانين، ويدرسها، وإنما هو كتاب هداية، نزل؛ ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، صحيح أنَّ في القرآن الكريم إشارات إلى كل ذلك، ولكنَّها إشارات إليه بالحدود التي تؤكد على البعد الإلهي للقرآن، وبقدر ما يمكن أن يثبت العمق الرباني لهذا الكتاب، الذي أحاط بالماضي، والماضِر، والمستقبل. فالقرآن الكريم لم يطرح نفسه بدليلاً عن قدرة الإنسان الخلاقة، وقابلاته لخوض ميادين الحياة المعرفية، وإنما طرح نفسه طاقة روحية موجهة للإنسان، مجردة لطاقاته، محركة له في المسار الصحيح.

كذلك تعرَّض القرآن الكريم للساحة التاريخية الراخمة بمجموعة من الظواهر التي تخضع لقوانين ثابتة، كتلك الساحات الكونية العلمية، تعرَّض لها بما يخدم هدفه الأسمى، بما يساهم في هداية البشر إلى الخالق جَلَّ وَعَلَا، وترك التفصيل -والتبصر- لإنسان، بعد أن أعطاه الأسس.

ولكن مع هذا يوجد فرق جوهري بين الساحة التاريخية وبقية ساحات الكون، وهذا الفرق يجعل من هذه الساحة -ومن سنتها- أمراً مرتبطاً -أشدَّ الارتباط- بوظيفة القرآن ككتاب هداية، خلافاً لبقية الساحات الكونية، والميادين الأخرى للمعرفة البشرية؛ ذلك أنَّ القرآن الكريم -كما قلنا- كتاب هداية، وعملية تغيير، عملية تغيير تمثل إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذه العملية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسنن التاريخية، وإنْ كان لها جانب رباني مرتبط بالوحي، لكن هناك جانب آخر، فهي عملية اجتماعية متجسدة في جماعة من الناس، هم النبي ﷺ، ومن تبعه، وسار على دربه، وهي عملية اجتماعية واجهت تيارات اجتماعية مختلفة، واشتبكت معها في ألوان الصراع، والنزع العقائدي، والاجتماعي، والسياسي، والعسكري، فهي من حيث كونها عملاً قائماً على الساحة التاريخية، ومن حيث

كونها جهداً بشرياً، يقاوم جهوداً بشرية أخرى، تعتبر عملاً تاريخياً، تحكمه السنن التاريخية، وتحكم فيه الضوابط العامة للساحة التاريخية.

وقد عرض القرآن الكريم مشروعه الإصلاحي هذا بكلٍّ جانبيه؛ الرباني، والبشري، فأشار إلى أنه خير ما نزل للبشر، وأنه محكم لا يشوبه الخطأ، وأنه ظاهر على كل المشاريع الأخرى لا محالة، كما أشار إلى أنَّ على الناس -وخصوصاً أتباعه- أنْ يتعلموا في تاريخ الأمم السابقة، وكيف أنَّهم لم تستطع الخروج عن القوانين، والسنن التي تحكم التاريخ البشري^(١٤).

وهذا ما سنلاحظه فيما يأتي من الآيات التي تتحدث عن السنن التاريخية في المحور القادم، إن شاء الله تعالى.

المحور الثالث: نماذج من السنن التاريخية في القرآن الكريم:

إذن، فقد اهتم القرآن الكريم بإرشاد الناس إلى طريق الحق، وكان من أبرز أساليبه في ذلك إرجاعهم إلى عقولهم، وفطرتهم، وحثّهم على التأمل فيما حولهم، وقد ركَّزَ في ضمن ذلك -أيضاً- على التأمل في تاريخ من سباقهم من الأمم، كما في قوله تعالى: ﴿الَّمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١٥)، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْتَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آتَيْنَا أَنَّهُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١٦)، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١٧)، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْتَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً

وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِكُلِّ كَافِرٍ إِنَّمَا لَهَا﴾^(١٩).

هذه الآيات -وغيرها- تحدث الناس على التأمل في تاريخ من سبقهم؛ لينظروا فيه، ويتمعنوا، فيعرفوا قوانين الحياة التي سارت على أولئك الناس، فيتبعوا في ذلك طريق النجاة، والحق.

تعرّض القرآن الكريم لبعض ما حصل للأمم السابقة، وتحث الناس على التأمل فيه، ولكن ذلك لم يكن مجرد عرض تلك الحوادث، وبيان نتائجها، بل ركز القرآن الكريم على أنَّ ما يذكره لنا عبارة عن قوانين تسري على جميع الأمم، فقوم نوح، وقوم هود، وصالح، وإبراهيم، وغيرهم، -عليهم جيعاً وعلى نبينا وأله أفضل الصلاة والتسليم - جرت على أقوامهم نفس تلك القوانين، التي في عمومها تعني أنَّ من يخرج عن طاعة الله، ويتحدى رسالته، فيقف في وجهها، مصيره إلى الهلاك بعذاب أليم، وأنَّ النصر لله، والخير - كل الخير - في اتباع نهج الرسل، والإيمان به، فيؤكّد القرآن الكريم أنَّ هناك قوانين ثابتة جرت على عدة أقوام من سبقنا، فهي لا محالة جارية علينا، هذه القوانين يمكن تسميتها بالسنن التاريخية، فقد عرفنا أنَّ السنن هي القوانين الثابتة. وقد اهتمَ القرآن الكريم بتلك السنن، والقوانين؛ لأنَّها مرتبطة ارتباطاً مباشرأً بهدفه الرئيسي، الذي هو هداية الناس، فهو: ﴿هُدَىٰ لِلنَّاسِ﴾. فهو لم يتطرق لكثير من القوانين العلمية، كالمرتبطة بعلوم النباتات، والحيوانات مثلاً، أو علوم الفيزياء، والكيمياء، من التمدد بالحرارة، أو سرعة السقوط، أو حالات الحيوانات المائية، والبرية، أو عملية تنفس النبات، والبناء الضوئي، كلُّ ذلك تركه لتجارب الإنسان؛ لأنَّه لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بهداية الإنسان، نعم، حَتَّىَ على

التأمل في مخلوقات الله تعالى، والاستلهام من دقها، وقوانيتها، وإيداعاتها، إلا أنه لم يصرح بتلك القوانين وما الغرض منها، بل أكتفى بالإشارة إلى وجودها، وهذا ما يرتبط بهدفه من هداية الإنسان، فهو بإرشاده للإنسان إلى السعي في اكتشاف قوانين ودقة الكون من حوله بهيئ فكره لقبول المثالق الواحد.

أما السنن التاريخية فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببداية الإنسان؛ لأنها تبيّن عاقبة من ينكر للحق، وأنه سيلقي عاقبته في الدنيا قبل الآخرة، وأنَّ من يسير على الطريق المستقيم هو من سينجو في الدنيا والآخرة أيضاً، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

القرآن الكريم أتى هادياً إلى سوء السبيل؛ ليغيّر المجتمع الضال في فكره، وسلوكه، الضال في معرفته، عملية التغيير تلك تحتاج إلى جانبين: أحدهما شريعة، وطريقة حقة؛ للسير عليها، فتحمي من الضلال، والثاني: نخبة تطبق تلك الشريعة، وتبيّن صلاحيتها، وفوائدها العملية. وقد تكفل القرآن كلاً الجانبين؛ هدفه في الهدایة، فجاء بالشريعة، والطريقة الصحيحة، التي يجب أن يتبعها الإنسان في مسيرة حياته، وفي طريقه نحو الحق، والصلاح، فوضعتها جاهزة، صادرة من المثالق الأعلى، كاملة، متكاملة، لا تحتاج إلا إلى استجابة الناس لها، والأخذ بها.

أما الجانب الآخر -والذي هو مرتبط في حقيقته بالإنسان المتلقٰي لتلك الشريعة- فقد تكفل القرآن الكريم بعرض النماذج الواضحة التي تقبّلت الشرائع السماوية، ومدى نجاحها في الرقي، والتكامل، وعرض -أيضاً- نماذج أخرى حاربت تلك الشرائع، وأهملتها، فناها جزءها، وألت إلى الانحطاط، والدمار، وبين بوضوح أنَّ كلَّ ذلك لم يكن خاصاً بعصر معين، أو فئة معينة، بل هو سار على جميع الخلق بلا استثناء. وهنا نستعرض بعضًا من تلك السنن التاريخية التي وردت في القرآن الكريم بایجاز، والمُدْفَع: بيان وجود تلك السنن في القرآن الكريم، وهي كثيرة، منها:

سنة غلبة حزب الله على حزب الشيطان:

إنَّ من سنن الله في التاريخ -والمجتمع- هي: سنة نصر -وغلبة- حزب الله على أعدائهم حزب الشيطان في ميدان الصراع، والمواجهة، وميدان الدفع، والتدافع، ومن طبيعة السنة الثبات، والاطراد، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِبُونَ﴾^(٢٠)، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢١)، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢٢). إنَّ القرآن الكريم يطرح هذه السنن على نحو صيغتين: على شكل القضية الشرطية، وعلى شكل القضية الفعلية.

شكل القضية الشرطية:

في هذا الشكل تتمثل السنة التاريخية في قضية شرطية تربط بين حادثتين، أو مجموعتين من الحوادث على الساحة التاريخية، وتؤكد العلاقة بين الشرط والجزاء، وأنَّه متى تحقق الشرط تحقق الجزاء، فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصْرُّرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيَبْيَثُ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢٣). فهذه الآية الكريمة تؤكد على أن النصر حليف المؤمنين، ولكن هذا النصر ليس اعتباطياً، بل لا بد من نصرة يقوم بها المؤمنون لدين الله؛ لكي يأتي المدد الإلهي، والنصر الإلهي.

فمنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفَشِّلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيَّسَ الرَّسُولُ وَأَنْتُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا﴾^(٦).

شكل القضية الفعلية:

وهناك آيات أخرى تؤكد على نفس المضمون، وهو نصر -وغلبة- حزب الله على حزب الشيطان، ولكن على نحو القضية الفعلية المتحققة الناجزة. فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢٧). فإن هذه الآيات وإن أكدت نفس المضمون، إلا أنها لم تأت على نحو القضية الشرطية كما في الآيات السابقة الذكر، فهاتان صيغتان للسنن التاريخية في القرآن عن النصر، والغلبة للمؤمنين على حزب الشيطان، والجرمين، ولكن النصر لا يأتي اعتباطاً، بل له شروطه، وضوابطه، وعوامله المتمثلة في الصبر، والمصاورة، والرابطة، والتقوى، والوحدة، وإعداد القوة، وطاعة للقيادة الميدانية المتمثلة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِي الْأَمْرِ﴾، الامتداد الطبيعي للرسول ﷺ، فيما يملكونه من علم بالرسالة، وعزم على تجسيدها، وعدل، وكفاءة، وليس كل من ملك، واستثار، وحكم، وتجبر. كما أن طريق النصر معبدٌ بالأساء، والضراء، وليس طريقاً معبداً بالورود، والرياحين، بل هو طريق ذات الشوكة، ﴿أَمْ حَسِبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢٨).

الاستقامة طريق الخير:

من السنن التاريخية التي يقررها القرآن الكريم في عدة آيات: ما نجده مختبراً في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾^(٢٩)، وهذه الآيات وغيرها- تتحدث عن علاقة معينة بين الاستقامة وتطبيق أحكام الله تعالى، وبين وفرة الخيرات، وكثرة الإنتاج. ومن الآيات التي أكدت على هذه السنة قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيَمْدُدُكُمْ

بِأَمْوَالٍ وَّبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاحَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا^(٣٠)، هنا -بلسان نبي الله نوح عليه وعلى نبينا وأله آلاف التحية والسلام- يشير القرآن الكريم إلى هذه السنة التاريخية، فيجعل الاستغفار سبباً مؤثراً في نزول المطر، وكثرة الأموال، وجريان الأنهر، ووفرة الأولاد، وموقف الاستغفار هنا موقف العلة التامة، أو المقتضي بالنسبة إليها، والآية تهدف إلى أنَّ الرجوع إلى الله -وإقامة دينه، وأحكامه- يسوق المجتمع إلى النظم، والعدل، والقسط؛ وذلك لأنَّ في ظله تنصبُ القوى في بناء المجتمع على أساس صحيح، فتصرف القوى في العمran، والزراعة، وسائر مجالات المصالح الاقتصادية العامة، كما أنَّ العمل على خلاف هذه السنة هو رجوع المجتمع عن الله، وعن الطهارة في القلب، والعمل ينتج خلاف ذلك، وللمجتمع الخيار في التمسك بأهداف أيٍّ من السنتين، فالكل قضاء الله، وتقديره^(٣١).

ومن أحكام الله تلك ما يسمى بلغة اليوم: عدالة التوزيع، فهي الطريق في نظر القرآن الكريم نحو وفرة الإنتاج، كما يشير إلى ذلك السيد الشهيد، مستشهاداً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كَلَّوْا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾^(٣٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى أَمْنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَّبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣٣)، فشرعية السماء نزلت من أجل تقرير عدالة التوزيع، ومن أجل إنشاء علاقات التوزيع على أساس عادلة، فلو أنَّ الناس طبقوا عدالة التوزيع، لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة، ولما وقعوا في فقر من هذه الناحية، ولا زداد الشراء، والمالي، وكثرت الخيرات، والبركات، لكنَّهم تخيلوا أنَّ عدالة التوزيع تقتضي التقسيم، وبالتالي تقتضي فقر الناس، بينما الحقيقة -والسنة التاريخية- تؤكِّد عكس ذلك، فتؤكِّد أنَّ تطبيق شريعة السماء، وتجسيد أحكامها في علاقات التوزيع، يؤدي دائماً

إلى وفرة الإنتاج، وزيادة الشروء، وإلى أن تُفتح على الناس بركات السماء، والأرض، إذن، هذه –أيضاً– سنة من سنن التاريخ^(٣٤).

التغيير يبدأ من الإنسان أولاً

هنا سنة من سنن التاريخ يقررها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٣٥)، هذه الآية الكريمة تتحدث عن نموذج من نماذج سنن التاريخ، يمثل العلاقة بين المحتوى النفسي الداخلي -والروحي- للإنسان، وبين الوضع الاجتماعي، فالمحتوى النفسي يمثل القاعدة التي يجب أن تكون سليمة، أو يجب إصلاحها؛ ليكون البناء العلوي للمجتمع سليماً، أو ليصلاح، فعلى الإنسان أن يبدأ من نفسه أولاً؛ ليصلاح من حوله، وعليه أن يبدأ من داخله؛ ليصلاح خارجه، فكل ما يظهر من الإنسان خارجاً يكون نابعاً من باطنه، وكل ما يغلب على المجتمع يكون نابعاً من بوطن أفراده، فإن صلح الباطن صلح الظاهر^(٣٦). ويؤكد القرآن الكريم هذه القاعدة –والسنة التاريخية– في آيات أخرى أيضاً، فيقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(٣٧)، وهذه الآية تشير إلى نفس السنة، ولكن من جهة أخرى، هي تتحدث عن التغيير في الحال، وأنه إنما يبدأ من الإنسان نفسه، ومن داخله، وروحه، فتقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يقطع نعمه عن الناس، ولا يغيرها إلا إذا تغيرت نفوسهم، وهي تربطنا بالسنة التي تحدثنا عنها سابقاً، السنة التي تقرر: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٣٨)، فالاستقامة طريق الخير، والنعم مستمرة لا تنقطع، ما دام الإنسان مستمراً في مسيرته الصحيحة، إلا أنه إذا غيرَ ما في نفسه، وإذا غيرَ سلوكه الروحي، سيتغير حاله، وسيتغير سلوكه الخارجي، وسيتغير حال المجتمع، ثم ستتغير النعم التي أنعم الله

بها عليهم.

إذن، هذه سنة تاريخية تربط بين التغير الداخلي، والتغير الخارجي على نحو القضية الشرطية، فهي تبين أنَّ هناك علاقة بين تغييرين: تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، وتغيير الوضع الظاهري للبشرية، والإنسانية، مفاد هذه العلاقة قضية شرطية تقول: إِنَّه ممْتَازٌ مَّا وُجِدَ ذَاكَ التَّغْيِيرَ فِي أَنفُسِ الْقَوْمِ -إيجاباً، أو سلباً-، وُجِدَ هَذَا التَّغْيِيرُ فِي بَنَاءِ الْقَوْمِ، وَكِيانِ الْقَوْمِ، مُتَنَاسِبًا مَّا مَعَ التَّغْيِيرَ فِي النَّفْسِ إِيجاباً، أو سلباً^(٣٩).

سنة التعميم:

النعميم هو: أنْ يشمل العقاب -أو الثواب- جميع أفراد المجتمع بدون استثناء. والنعميم من السنن الإلهية التي لا تختلف، وهي سنة عامة تشمل الدنيا والآخرة، ولها آثارها الدنيوية، وأثارها الأخروية، حيث إنَّ الخير والشر الذي تكتسبه الأمة يعمُّ الأمةَ جميعاً، ولا تفرق هذه السنة بين الصالحين، والمفسدين، ولا بين العاملين، وغير العاملين، إذا عموه بالرضا. وعامل النعميم هو: الرضا، والسخط، الحبُّ، والبغض، الولاء، والبراءة، فإذا أحبَّ أحدُ عملَ قومٍ حشر معهم، وموارد النعميم كثيرة، نذكر بعضًا منها:

أ - النعميم في الإدانة، والمسؤولية، والعقوبة:

قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَئِبَّاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، فإنَّ هذه الآية الكريمة تدين الأبناء بما فعل آباؤهم من جرائم، بل إنَّ الله يعاقبهم بها، ويقول: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، ويقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في (نهج البلاغة): «وَإِنَّمَا قُتِلَ نَاقَةٌ ثُودٌ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمِّهُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ؛ لِمَا عَمَّهُ بِالرَّضَا».

فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِين﴾.

ب - التعميم في الحجة:

فالله تعالى ألزم اليهود المعاصرين لرسول الله عليه السلام بفعل آبائهم، واتخذه حجة عليهم، بأن يأتياهم بقربان تأكله النار، ليؤمنوا به، فجاجهم القرآن بن جاءهم قبل رسول الله عليه السلام، من الأنبياء، والرسل، بالبيانات، والحجج، وبالقربان الذي طلبوه، فقتلوا الأنبياء، ولم يؤمنوا بهم، ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِهِ تَعَالَى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ج - التعميم في نسبة العمل:

إنَّ الله تعالى ينسب جرائم الآباء في قتلهم الأنبياء إلى الأبناء اليهود المعاصرين لرسول الله عليه السلام، وليس فقط تحمل الأبناء مسؤولية جرائم الآباء، ويدينهم بها، ويعاقبهم عليها، وإنما ينسب فعل الآباء إلى الأبناء مباشرة، وبالصراحة، حيث قال: ﴿فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

د - التعميم في النتائج:

للطاعة والمعصية آثار، ونتائج في حياة الناس الاجتماعية، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى أَمْنُوا وَأَتَقْوَا لَفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْذَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، إنَّ هذه الآثار لا تختص بالعاملين والحاضرين فقط، بل تشمل الحاضرين والغائبين، إذا كان يجمعهم الرضا، والسطح. قوله تعالى: ﴿صُرِبتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

بِأَيَّاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٤٠﴾

المواهش:

- (١) شارك في إعداد الموضوع السيد إبراهيم الشخص.
- (٢) الكهف: .٥٥
- (٣) الأنفال: .٣٢
- (٤) لسان العرب ج ٢، ص ١٩١٦.
- (٥) الفتح: .٢٣
- (٦) الفتح: .٤٣
- (٧) مفردات غريب القرآن، ص ٤٢٩.
- (٨) البقرة: .١٦٤
- (٩) لقمان: .١٠
- (١٠) الرعد: .٣
- (١١) راجع الكتابين المذكورين؛ ففيهما الكثير حول أهل البيت عليهما السلام والعلوم المختلفة.
- (١٢) قصص القرآن، ص ٥.
- (١٣) القرآن والأصول الم موضوعية العامة، ج ١، ص ٣٩٤.
- (١٤) المدرسة القرآنية، ص ٤٥ - ٥٣، بتصرف.
- (١٥) التوبة: .٧٠
- (١٦) يوسف: .١٠٩
- (١٧) الحج: .٤٦
- (١٨) غافر: .٨٢
- (١٩) محمد عليهما السلام: .١٠
- (٢٠) المائدة: .٥٦

- .٢٢) المحادلة: .٢١)
- .١٩) المحادلة: .٢٢)
- .٧) محمد ﷺ: .٢٣)
- .٢٠٠) آل عمران: .٢٤)
- .٤٦) الأنفال: .٢٥)
- .١١٠) يوسف عليه السلام: .٢٦)
- .٥١) غافر: .٢٧)
- .٢١٤) البقرة: .٢٨)
- .١٦) الجن: .٢٩)
- .١٢ - ١٠) نوح: .٣٠)
- .٦١ - ٦٠) مفاهيم القرآن، ج ١٠، ص
- .٦٦) المائدة: .٣٢)
- .٩٦) الأعراف: .٣٣)
- .٦٦ - ٦٥) المدرسة القرآنية، ص
- .١١) الرعد: .٣٥)
- .٦٢) المدرسة القرآنية، ص
- .٥٣) الأنفال: .٣٧)
- .١٦) الجن: .٣٨)
- .٩٢) المدرسة القرآنية، ص
- (٤٠) مجلة بینات، العدد (٦)، بتصرف، عن كتاب: «سنة التعميم في القرآن».

فهرست الأعداد

(٢٠ - ١)

إعداد: التحرير

نقدم هذا الفهرست بمناسبة
مرور خمسة أعوام على إصدار مجلة
رسالة القلم

السنة الأولى

محتويات العدد (١)

- ❖ كلمة العدد / رئيس التحرير ٣
- ❖ دفن الرأس في كريلاء (وقفة مع السيد ابن طاووس قديس) / فاضل عبد الجليل الزاكى ٤
- ❖ عاشوراء الحسين عليه السلام / موسى جعفر السلمابادى ١٠
- ❖ البعد الولائى في النهضة الحسينية / جاسم بدر الزهراوى ١٤
- ❖ محطات من سيرة أصحاب الحسين عليه السلام / عبد الله علي الدقاد ١٨
- ❖ الانقیاد حق أم تکلیف؟! / عبدالرؤوف حسن الربع ٢٣
- ❖ بأي روحية نعيش عاشوراء الحسين عليه السلام / السيد حسن الغريفي ٢٧
- ❖ الإصرار على إقامة الشعائر الحسينية / عزيز حسن الحضران ٣٠
- ❖ شبهات معاصرة وأجوبة من نور / جميل العالى ٣٦
- ❖ (عاشوراء مدرسة الأجيال) حوار مع السيد منير الخباز / حاوره: السيد مجید العلوی ٤٦
- ❖ البعد الثوري والسياسي للبكاء على الحسين عليه السلام / علي جعفر الماحوزي ٦٤
- ❖ تربة كريلاء صاحبة المقام الأرفع / رائد عبد الكريم الخنيزى ٦٨

محتويات الطف ومعرفة التكليف الشرعي /

- | |
|--|
| ❖ علي أحمد الكربابادي ٧٠ |
| ❖ نهضة الإحياء والإبقاء / علي أحمد الجفري ٧٤ |
|
 |
| ❖ الشعار الإسلامي والحركة النهضوية / غازي عبد المحسن إبراهيم ٧٧ |
| ❖ في رثاء أبي عبد الله عليه السلام - قصيدة / علي عبد الحسين البني ٨٣ |
| *** |

محتويات العدد (٢)

- | |
|---|
| ❖ كلمة العدد - ما بين ثقافة النمل والنحل / رئيس التحرير ٢ |
| ❖ حوار مع سماحة الشيخ محمد صنقرور / حاوره: علي أحمد الجفري ٣ |
| ❖ التوحيد أساس دعوة الأنبياء / جعفر حسين الرستي ١٢ |
| ❖ نفي السهو عن النبي عليه السلام / عبد الرؤوف حسن الربع ١٩ |
|
 |
| ❖ وقوفات عقائدية في أدعية أهل البيت عليهما السلام / جعفر عبد المهdi شهاب ٣٠ |
| ❖ تجليات الله في حياة الفرد والمجتمع / صادق سليمان السكري ٤١ |
| ❖ لماذا يقتل الله الأبرياء؟! / علي أحمد الكربابادي ٥١ |
| ❖ الإسلام.. أطروحة متكاملة لإنسان خالد / محمد صالح رضي ٥٥ |

❖ (التبليغ بين العمل الفردي والمؤسساتي)	
حوار مع سماحة الشيخ باقر الحواج / حاوره: سعيد	
حسن المادح ٥	
❖ إله أم نبي؟! المسيح بين القرآن	
والإنجيل(١)/ فاضل عبد الجليل الزاكى ١٤	
❖ اعرف نفسك أولاً قبل كل شيء / ياسر	
ميرزا الحوري ٤٨	
❖ الرؤية الكونية / محمود عاشور	
عبد علي ٧٠	
❖ حقيقة العصمة / محمد باقر خليل	
الشيخ ٧٥	
❖ الغيبة وأثارها في الحياة الإنسانية(١)/ عبد	
الله علي الدقاد ١٨٩	
❖ التوبة / محمود حسن غلوم ١٢١	
❖ قضية فدك / محمد إبراهيم المبشر ١٢٩	
❖ الرجل والمرأة في كفتي العقل والعاطفة/	
علي أحمد الكربابادي ١٦٥	
❖ فن الإلقاء / السيد عباس السيد جعفر	
شهر ١٧٦	
❖ أخبار المشاهدة(٢) / محمد علي	
العربي ١٨٥	
❖ مقدمات لعلم الفقه / حسن عبد الله	
القصاب ١٩٩	
❖ في رثاء شهيد المحراب (السيد محمد	
باقر الحكيم)- قصيدة / علي عبد الحسين	
البني ٢١٣	

❖ العلم والعمل / عادل عبد الحسين	
الفنان ٦٢	
❖ التحديد الأصيل للمفهوم الإسلامي / السيد	
حسن السيد أحمد الغريفي ٦٩	
❖ لن حق الإفتاء / عزيز حسن	
الحضران ٧٤	
❖ المرأة في المنظور الإسلامي / السيد رضا	
الموسوي ٨٢	
❖ مقتطفات من هنا وهناك / محمود جاسم	
البصري ٨٨	
❖ كتب الضلال بين الرفض والقبول / غازي	
عبد الحسن إبراهيم ٩٢	
❖ سوء الظن.. يمحو الدين ويثير الفتنة/	
جاسم بدر المطوع ١٠٤	
❖ خير الزاد للمسيرة التكاملية / حسين فؤاد	
المرزوق ١١١	
❖ الفريضة المهجورة / السيد ياسين السيد قاسم	
فضل ١٢٠	
❖ بحث حول روایات المشاهدة (١) / محمد علي	
العربي ١٣٤	
❖ شذرات من التراث الأدبي في البحرين/	
فاضل عبد الجليل الزاكى ١٤٣	

محتويات العدد (٣)

❖ كلمة العدد - الهوية الحقيقية / رئيس	
التحرير ٣	

❖ أخبار المشاهدة(٣) / محمد علي	
العربي ٢٠٤	



السنة الثانية

محتويات العدد (٥)

❖ كلمة العدد- هيئات متن الذهلة / رئيس التحرير ٣
❖ (عاشراء ملحمة الوعي الحسيني والغضاف الزيني) حوار مع سماحة الشيخ عيسى قاسم / حاوره: غازي عبد الحسن إبراهيم ٤
❖ أحكام التربية الحسينية/ فاضل عبد الجليل الزاكى ٢٥
❖ الإنسان والمسؤولية/ السيد مجید السيد حمزه العلوي ٥٧
❖ التطور والإبداع بين السلب والإيجاب/ حسن عيسى مرزوق ٧٢
❖ الحكمة العاطفية في مدرسة آل البيت عليهما السلام / السيد عباس السيد جعفر شبر ٨٢
❖ أجمل زينة للمرأة العفيفة/ حسين فؤاد المرزوق ٩١
❖ ثقافة البكاء/ عزيز حسن الخضران ١٣٥
❖ حسابات النصر بين الإمام الحسين عليهما السلام والخواص/ السيد حسن السيد أحمد الغريفي ١٤٥
❖ إطلاالة على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ جاسم بدر المطوع ١٥٣

محتويات العدد (٤)

❖ كلمة العدد- الحادثة المسمومة/ رئيس التحرير ٣
❖ (الزهراء عليها قدوة للإنسانية) حوار مع سماحة الشيخ الأصفى / حاوره: السيد ياسين قاسم الموسوي ٥
❖ إله أم نبي؟ المسيح بين القرآن والإنجيل(٢)/ فاضل عبد الجليل الزاكى ١٥
❖ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية(١)/ قصي الشيخ علي العربي ٦٦
❖ الأسماء الحسنى وأهل البيت عليهما السلام / غازي عبد الحسن إبراهيم ٩٩
❖ أبعاد الارتباط بأهل البيت عليهما السلام / السيد حسن السيد أحمد الغريفي ١٠٦
❖ الغيبة وأثارها في الحياة الإنسانية(٢)/ عبدالله علي الدقاد ١١٣
❖ من محارب الصلاة إلى ساحة الحرب/ جعفر حسين الراسي ١٣٩
❖ الصبر / السيد مرتضى السيد مجید رمضان ١٤٤
❖ دور العبادة في تعميق الإيمان وترسيخه (الصلاه نموذجا) / صادق سليمان المبارك ١٥٣
❖ موعد الأمة/ علي أحمد الكربابادي ١٧٢
❖ الصمت آية النبل وثمرة العقل / السيد حبيب السيد فاخر الموسوي ١٨٥
❖ الطفل في مذهبة السلوك/ السيد عباس السيد جعفر شبر ١٩٢

❖ تسخير الإنسان.. من نعم الرحمن/ جاسم بدر المطوع	٩٢
❖ المرجعية والقيادة/ السيد ياسين السيد قاسم الموسوي	١٠٠
❖ التقىة/ السيد مرتضى السيد محمد السندي	١٣٦
❖ الإمامة.. مقامات وأدوار(١)/ علي أحمد الكربابادي	١٤٥
❖ دراسة أدوار أئمة أهل البيت ع / السيد حسن السيد أحمد الغريفي	٦٢
❖ وانبلاج النور/ جعفر عبد الهادي شهاب	١٦٩
❖ تنافر الحروف/ حسين فؤاد المرزوق ...	١٧٧

محتويات العدد (٧)

❖ كلمة العدد- نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم/ رئيس التحرير	٣
❖ (القرآن الكريم) حوار مع سماحة السيد محيي الدين المشعل /	٥
❖ الأعجاز القرآني(١)/ عادل عبد الحسين الهنان	١٨
❖ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية(٣)/ قصي الشيخ علي العربي	٣١
❖ الشفاعة في المنظور الإسلامي/ موسى جعفر السلمابادي	٦٨

❖ ثورة الحسين الخالدة (رد لقوله: الحسين خرج عن حده فيقتل بسيف جده)/ جعفر عبد الهادي شهاب	١٦٣
❖ الحقائق الأربع/ علي أحمد الجفيري ...	١٦٩
❖ رد الأباطيل عن نهضة الإمام الحسين ع / محمد حسن الكراكي	١٨٤
❖ في ذكرى الشهادة- قصيدة/ علي أحمد الكربابادي	١٩٠
❖ مصارع عشاق- قصيدة/ علي عبد الحسين البنّي	١٩٣

محتويات العدد (٦)

❖ كلمة العدد- رسالة القلم/ رئيس التحرير	٣
❖ حوار مع سماحة الشيخ علي رحمة/ حاوره: علي أحمد الجفيري	٤
❖ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية(٢)/ قصي الشيخ علي العربي	٢٠
❖ غرائب المرتاضين وكرامات الأولياء/ غازي عبد الحسن إبراهيم	٤٣
❖ الحق والباطل/ عيسى جاسم الفقاص	٤٩
❖ خواص الحق ودورهم المصيري والتاريخي/ علي جعفر المحوزي	٦٠
❖ هل سعى الأئمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟(١)/ حسن عبد الله القصاب	٧٨

❖ دور الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة الفرق المنحرفة/ محمد باقر الشیخ ٨٤
❖ أشراط الساعة وارهاسات القيامة/ عبد الله علي البنا ١١٠
❖ الجاهلية قبل بعثة النبي الأكرم عليه السلام(١)/ السيد حسن السيد أحمد الغريفي ١٣٠
❖ الشخصية التغیرية للرسول الأكرم عليه السلام / السيد ياسين السيد قاسم الموسوي ١٣٧
❖ معالم الدستور وخطوته العامة/ عبد الله علي الدقاقي ١٤٦
❖ التربية الجنسية للطفل/ حسين جاسم عبد الله ١٦٧
❖ النقد البنا/ علي المسترشد ١٧٦
❖ سماع الدعوى الحسبية/ علي فاضل الصددي ١٩١

السنة الثالثة

محتويات العدد (٩)

❖ كلمة العدد- لا يوم كيومك يا أمبا عبدالله/ رئيس التحرير ٣
❖ (آليات التبليغ في عاشوراء الحسين عليه السلام) حوار مع سماحة الشيخ محسن الآراكبي/ حاوري: عزيز حسن الحضران ٥
❖ نهيب الانطلاق وإعصار الثورة/ عبد الله علي الدقاقي ١٦

❖ كتمان الأسرار في نظام الخلقة وصفات الخلق/ عبد الله علي البنا ٨٢
❖ الإمامة.. مقامات وأدوار(٢)/ علي أحمد الكربابادي ٩٤
❖ كيف ندخل المدخل الكريم الذي وعد به الله؟/ علي عبد الحسين البني ١٠٦
❖ رسالة في الإخلاص/ السيد ياسين السيد قاسم الموسوي ١١٤
❖ هل سعي الأئمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟(٢)/ حسن عبد الله القصاب ... ١٣٤
❖ قرة العينين في ترجمة الصيمريين/ فاضل عبد الجليل الزاكى ١٤٣
❖ مدرسة الإمام الراحل/ علي المسترشد ١٧٧

محتويات العدد (٨)

❖ كلمة العدد- واندحر الجيش الذي لا يقهر/ رئيس التحرير ٣
❖ (بين الإسلام والمسيحية) حوار مع الأستاذ الشيخ علي الشیخ / حاوري: عبد الرؤوف حسن الربيع ٥
❖ المنهج الموضوعي القرآني(١)/ سعيد ميرزا النوري ١٨
❖ هل عبس النبي الأكرم عليه السلام؟/ حسين فؤاد المرزوق ٢٥
❖ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية(٤)/ قصي الشيخ علي العربي ٥١

محتويات العدد (١٠)

❖ كلمة العدد- هكذا تكون العظمة/ رئيس التحرير	٣
❖ (الفقيد الراحل [الجمري توفي] في كلام أحد مريديه) حوار مع سماحة الشيخ علي فاضل الصدفي / حاوره: علي أحمد الجفيري	٥
❖ العالمة المجاهد الجمري وإنجاز الانتفاضة المباركة/ سعيد ميرزا النوري	١٢
❖ الشیخ الجمري رجل الكلمة والموقف/ السيد مرتضی السيد مجید السندي	٢٧
❖ وداعاً أيها الجمري- قصيدة/ علي أحمد الكربابادي	٣٥
❖ الكلام في فهم القرآن(١)/ سعيد جعفر حماد	٣٧
❖ بصمات الشيعة في حضرة القرآن الكريم/ غازى عبد الحسن إبراهيم	٦٢
❖ العالم الرئاني الشیخ میثم البحراني(١)/ فاضل عبد الجليل الزاكی	٨٨
❖ ضبط تاريخ واقعة الطف/ محمد علي العربي	١٢٨
❖ معالم النهج/ علي جعفر الماحوزي ...	١٣٤
❖ السحر.. حقيقته وشرعنته(١)/ قصي الشیخ علي العربي	١٤٢
❖ فصل الإسلام عن علمائه فصل للرئيس عن جسده/ عبد الله علي الدقاق	١٦٩

كل يوم عاشوراء/ قصي الشیخ علي

العربي	٣٨
❖ الخطاب الفقهي للثورة الحسينية/ سعيد ميرزا النوري	٥٩
❖ صوم عاشوراء في الفقه الشيعي/ غازي عبد الحسن إبراهيم	٧١
❖ المنبر الحسيني بين الهوية والهوية/ حسن عيسى الستري	٩٢
❖ تعريف بمؤسسة علمية.. معهد الإمامين الحسينين <small>عليهم السلام</small> لإعداد الخطباء والبلغاء/	١١١
❖ الإقدام على قتل الإمام الحسين كان عمدياً/ جعفر عبد المهدي شهاب	١١٥
❖ قصيدتان من كنوز الشعر والرثاء/ محمد علي العربي	١٢٥
❖ زوايا من امتحان كربلاء/ محمد باقر الشیخ	١٣٥
❖ تعارض العلم والدين/ علي أحمد الكربابادي	١٣٨
❖ وقفة مع آية: للذكر مثل حظ الأنثيين/ علي فاضل الصدفي	١٤٤
❖ بحث حول القبلة/ فاضل عبد الجليل الزاكی	١٤٨
❖ التوبة/ السيد ياسين السيد قاسم الموسوي	١٧٨

* * *

❖ العالم الرياني الشيخ ميثم البحرياني(٢)/	
فاضل عبد الجليل الزاكى ١٥٠	
❖ تأملات في شخصية الشيخ ميثم البحرياني /	
السيد مجید المشعل ١٨٣	
❖ التأمل لسلوك الطريق إلى الله/ عبد الله علي الدقاقي ١٩١	
❖ تعريف بمؤسسة الإمام الخميني تأثث / ١٩٤	
✿✿✿	
وحتويات العدد (١٢)	
❖ كلمة العدد- المرأة والشعار المسؤول/ رئيس التحرير ٣	
❖ (نظيرية تفسير القرآن بالقرآن) حوار مع سماحة السيد كمال الحيدري / حاوره: عيسى جاسم القفاص ٤	
❖ قانون الأحكام الأسرية (من خطب الجمعة لسماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم) / ١٤	
❖ حقيقة المرأة والرجل/ عيسى جاسم القفاص ٢٢	
❖ ولا تعلمونهن الكتابة!! / علي محمد الكربابادي ٢٨	
❖ حقوق المرأة/ محمد حسن صالح الكراني ٧١	
❖ نظرة الإسلام للمرأة/ قصي الشيخ علي العربي ٨١	
❖ كيف يكون الطفل مبدعا؟! / السيد عباس جعفر شبر ١٠٦	

❖ تعريف بمؤسسة علمية.. جامعة آل البيت العالمية/ ١٧٥	
✿✿✿	
وحتويات العدد (١١)	
❖ كلمة العدد- شيعة كنا وما زلنا/ رئيس التحرير ٣	
❖ (الوحدة الإسلامية شعار عملي له جذوره الفقهية) حوار مع سماحة الشيخ عباس الكعبي / حاوره: علي أحمد الكربابادي ٤	
❖ إعلان سماحة السيد الخامنئي عام الوحدة الوطنية والانسجام الإسلامي / ٢٧	
❖ بيان سماحة السيد السيستاني حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية / ٣٠	
❖ خطاب الوحدة (من خطب سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم) / ٣٣	
❖ شعار الوحدة الإسلامية ضرورة لا عبئية / عبد الرؤوف حسن الربيع ٤١	
❖ الكلام في فهم القرآن (٢)/ سعيد جعفر حماد ٤٨	
❖ أهل البيت <small>عليهم السلام</small> في القرآن الكريم/ جعفر عبد المهيدي شهاب ٨٦	
❖ ملابسات البعثة النبوية المباركة/ السيد ياسين السيد قاسم الموسوي ٩٨	
❖ السيدة خديجة <small>عليها السلام</small> وخمسة وعشرون عاما من الوفاء/ محمد علي عيسى قاسم ١٢١	

❖ شعاع الشهادة الحمراء ما زال يسري يا	
حسين (١) / قصي الشيخ علي العربي ٧٨	
❖ الفقر بين الكفر والفسر (١) / حسين فؤاد	
المرزوق ١٠٠	
❖ فساد نكاح المعاطة عند الفريقين / سعيد	
جعفر حماد ١٥٤	
❖ ❖ ❖ ❖	

محتويات العدد (١٤)

❖ كلمة العدد- عندما تسقط الراية يسقط	
الجميع / رئيس التحرير ٣	
❖ (الشخصية الجاذبة للرسول الأكرم عليه السلام)	
حوار مع سماحة العلامة الحجة الشيخ جعفر الهادي /	
حاوره: علي أحمد الكربابادي ٥	
❖ الرسول عليه السلام مبعث الرحمة العالمية /	
عبدالرؤوف حسن الربيع ٢٥	
❖ من عوامل نجاح الرسول عليه السلام في دعوته /	
أحمد إبراهيم نوار ٣٤	
❖ الخصائص المحمدية / عزيز حسن	
الحضران ٤٣	
❖ نبينا عليه السلام مبادئ وقيم / قصي الشيخ علي	
العربي ٦٦	
❖ عندما تتعدد الوجوه وتتبدل / رائد ميرزا	
الستري ٩٠	
❖ مناقشة كتاب (آل البيت وحق وقهم	
الشرعية) (١) / حسن عبد الله القصاب ٩٩	

❖ هداية الأئمة عليه السلام / سعيد جعفر	
حماد ١٤٩	
❖ الإمعان في خبر مسجد جمكران / محمد علي	
العربي ١٧٥	
❖ الطواف من الطابق الأول / علي فاضل	
الصدري ١٨٦	
❖ نبذة عن الحسينية البحرينية في قم	
المقدسة / ١٩٤	
❖ ❖ ❖ ❖	

السنة الرابعة

محتويات العدد (١٣)

❖ كلمة العدد- تجلی البلاغة عند شعراء	
الحسين عليه السلام / رئيس التحرير ٣	
❖ (المنهج السياسي الإسلامي) حوار مع سماحة	
العلامة الشيخ حسان سويدان / حاوره: عيسى	
Jasim Al-Qafas ٥	
❖ الثورة الحسينية والعزة الإسلامية / سعيد	
ميرزا النوري ١٤	
❖ فلسفة البكاء / علي أحمد الجفري ٢٧	
❖ واقعة كربلاء في مسيرة الإسلام / السيد	
مجيد السيد علي المشعل ٤٣	
❖ إحرام الحسين عليه السلام بين العمرة المفردة	
وعمرة التمتع / غازي عبد الحسن إبراهيم ٤٧	
❖ حكومة العلماء بالله / علي فاضل الصدري	
٦٢	

<p>❖ العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم / قصي الشيخ علي العربي ١٢١</p> <p>❖ الحماسة في المنظور القرآني / السيد مرتضى السيد مجید السندي ١٥٩</p> <p>/ التوقيع المنسوب للإمام العسكري <small>عليه السلام</small> / فاضل عبد الجليل الزاكى ١٧٢</p> <p>❖ قاعدة (إنما الحرام ما حرم الله في كتابه) في الميزان / علي فاضل الصدّي ١٩٠</p> <p style="text-align: center;">***</p> <p>محتويات العدد (١٦)</p> <p>❖ كلمة العدد- الصداقة بين الجنسين / رئيس التحرير ٣</p> <p>❖ (تربية الطفل في الإسلام) حوار مع سماحة الشيخ حبيب الكاظمي / حاوره: علي جاسم عاشور ٥</p> <p>❖ إشارات تربوية / السيد عباس جعفر شبر ١٤</p> <p>❖ قيود الغريزة الجنسية في القرآن / عبدالرؤوف حسن الربيع ٢٤</p> <p>❖ هدية العدد للوالد وما ولد في بعض شؤون الأولاد والتربية والأسرة / محمد صالح رضي ٤٣</p> <p>❖ التربية الدينية في ضوء الدراسات النفسية / قصي الشيخ علي العربي ٦٥</p> <p>❖ عندما يتحدث الجسد أخلاقاً / رائد ميرزا الستري ٧٨</p> <p>❖ جواز التقسيم أو الحلق ليلة العيد للنساء والضعفاء / علي فاضل الصدّي ٩٠</p>	<p>❖ إعجاز نغمات آيات القرآن / سعيد جعفر حماد ١١٦</p> <p>❖ الطائفية البغيضة .. قراءة في فكر سماحة العالمة الشيخ عيسى أحمد قاسم / غازي عبد الحسن إبراهيم ١٣٥</p> <p>❖ حرمة نكاح أبي المرتضى في أولاد المرضعة وصاحب اللبن / علي فاضل الصدّي ١٥٨</p> <p>❖ وقفة صادقة مع عابد الهوى / جعفر سلمان آل طوق ١٧٠</p> <p>❖ المنهجية الصحيحة لدراسة العلوم الدينية (١) / محاضرة لسماحة العالمة الشيخ معين دقيق ١٩٢</p> <p style="text-align: center;">***</p> <p>محتويات العدد (١٥)</p> <p>❖ كلمة العدد- البيعة والجماهير المتحمسة / رئيس التحرير ٣</p> <p>❖ (النص الديني وفهم الدين) حوار مع: سماحة الأستاذ العالمة الشيخ جعفر النمر / حاوره: عيسى جاسم القفاص ٥</p> <p>❖ علم الكلام ودواعي التجديد / سعيد جعفر حماد ١٨</p> <p>❖ هل الدين تراث؟! / أحمد إبراهيم نوار ٥٢</p> <p>❖ نظرية المعرفة وفهم الدين / عيسى جاسم القفاص ٦٣</p> <p>❖ قراءة في تعدد القراءات / علي أحمد الكربابادي ٨٧</p>
--	---

❖ آثار الذنوب / عيسى جاسم القفاص ١١٧
❖ مشكل تأخير البيان.. وحله / علي فاضل الصددي ١٣٠
/❖ بحث في أدلة الشفاعة عند المعتزلة (٢) / سعيد جعفر حماد ١٤٥
❖ دروس في الأخلاق السياسية (٢) / عادل علي الشعلة ١٨٦
❖ المنهجية الصحيحة لدراسة العلوم الدينية (٢) / محاضرة لسماحة العالمة الشیخ معین دقیق ٢٠١

محتويات العدد (١٨)

❖ كلمة العدد- الإسلام هبة السماء/ رئيس التحرير ٣
❖ (المراقبة) في حوار أخلاقي مع سماحة العالمة السيد مصطفى حسينيان / حاوره: عيسى جاسم القفاص ٥
❖ تعريف بشعار: اقرأ إسلامك / ١٦
❖ نظرية أولية حول: إقرأ إسلامك / جاسم محمد حسن ٢١
❖ الطريق إلى قراءة الإسلام / السيد مجید السيد حمزة العلوی ٥٠
❖ قراءة الإسلام تزكية للنفس وتغذية للعقل / رائد میرزا الستري ٦٣
❖ ضعف الإقبال على قراءة الكتب الدينية / عبد الرؤوف حسن الربيع ٧٦

❖ البيان الوفي في حال إسماعيل الجعفي / محمد علي العربي ٩٨
❖ دور الإمام علي عليه السلام في زمن الخلفاء / عزيز حسن الحضران ١١٣
/❖ بحث في أدلة الشفاعة عند المعتزلة (١) / سعيد جعفر حماد ١٤٧
❖ حادثة الصلاح في كلمات الإمام الحسن عليه السلام / فاضل عبد الجليل الزاكى ...
❖ دروس في الأخلاق السياسية في الإسلام / عادل علي الشعلة ١٨٧

السنة الخامسة

محتويات العدد (١٧)

❖ كلمة العدد- بكاء فاطمة/ رئيس التحرير ٣
❖ (تساؤلات عاشورائية) في حوار مع سماحة الشيخ نجم الدين الطبسي / حاوره: عماد علي الشعلة ٥
❖ إحياء عاشوراء / غازى عبد الحسن إبراهيم ٢٤
❖ جلاء العين في حكم صوم العاشوراءين / محمد علي العربي ٥٤
❖ كي يبقى الدم أدلة للمصلحين في التغيير والإصلاح / رائد میرزا الستري ٧١
❖ الآثار العملية لصفة الرضا / حسين علي أبو رويس ٨٤
❖ مناقشة كتاب (آل البيت وحقوقهم الشرعية) (٢) / حسن عبد الله القصاب ٩٦

❖ أنصار الحجة المنتظر ﷺ / عزيز حسن	٨٤
الحضران ٦٦	
❖ المنظرون لصاحب الأمر من منظور قرآني /	
جعفر علي المالكي ٧٨	
❖ دعاوى البابية والنيابة الخاصة زمان الغيبة	
الكبرى (القسم الرابع من أخبار المشاهدة) / محمد	
علي العربي ٩٥	
❖ منقذنا ﷺ .. دراسات توضيحية من خلال	
الأيات القرآنية / قصي الشيخ علي العربي ١١١	
❖ ولادة المهدي ﷺ في مصادر أهل السنة	
والجماعة / غازي عبد الحسن إبراهيم ١٢١	
❖ الاستبدال والأبدال / السيد ياسين السيد	
قاسم الموسوي ١٣٦	
❖ نظرة في عوامل الثورتين الحسينية	
والمهودية / حسين علي أبو رويس ١٥١	
❖ دروس أخلاقية من سورة الفاتحة / عيسى	
جسم التقاض ١٥٩	
❖ العودة إلى الذات .. ثورة / محمد باقر خليل	
الشيخ ١٩٠	

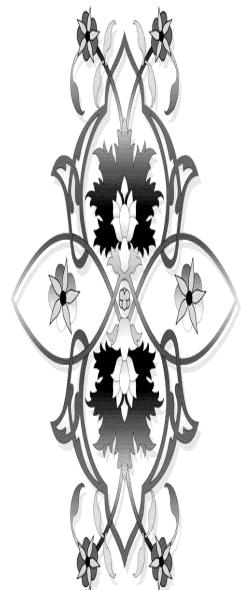
محتويات العدد (٢٠)

❖ كلمة العدد - ثقافتا التكفير والتحرير /	
رئيس التحرير ٣	
❖ (التشيع عند المستبصرين) في حوار مع سماحة	
السيد الدكتور عصام العماد / حاوره: عزيز حسن	
الحضران ٥	

❖ قراءتنا / قصي الشيخ علي العربي ٨٤	
❖ اقرأ إسلامك .. ووجوب معرفة الدين / السيد	
ياسين السيد قاسم الموسوي ١٠١	
❖ لإسلام المحمدي / السيد حسن السيد أحمد	
الغرافي ١١٠	
❖ الحداثة الدينية .. نظرة من الداخل / غازي	
عبد الحسن إبراهيم ١١٩	
❖ حكم زيادة الركعة سهوا / علي فاضل	
الصددي ١٣٦	
❖ صاحب الحدائق وصحة الحديث / سعيد	
جعفر حماد ١٥١	
❖ مناقشة كتاب (آل البيت وحقوقهم	
الشرعية) (٣) / حسن عبد الله القصاب ... ١٧١	
❖ دروس في الأخلاق السياسية (٣) / عادل علي	
الشعلة ١٩٢	

محتويات العدد (١٩)

❖ كلمة العدد - زمن الجمع المرتقب / رئيس	
التحرير ٣	
❖ (أمل الأحرار الحجة المنتظر ﷺ) في حوار مع	
سماحة آية الله السيد حسين الشاهرودي / حاوره:	
علي أحمد الكربابادي ٥	
❖ دعواي المشاهدة .. وتكذيب مدعويها / علي	
فاضل الصددي ٢٤	
❖ دعواي النيابة قبل السفياني والصيحة /	
سعید جعفر حماد ٣٤	

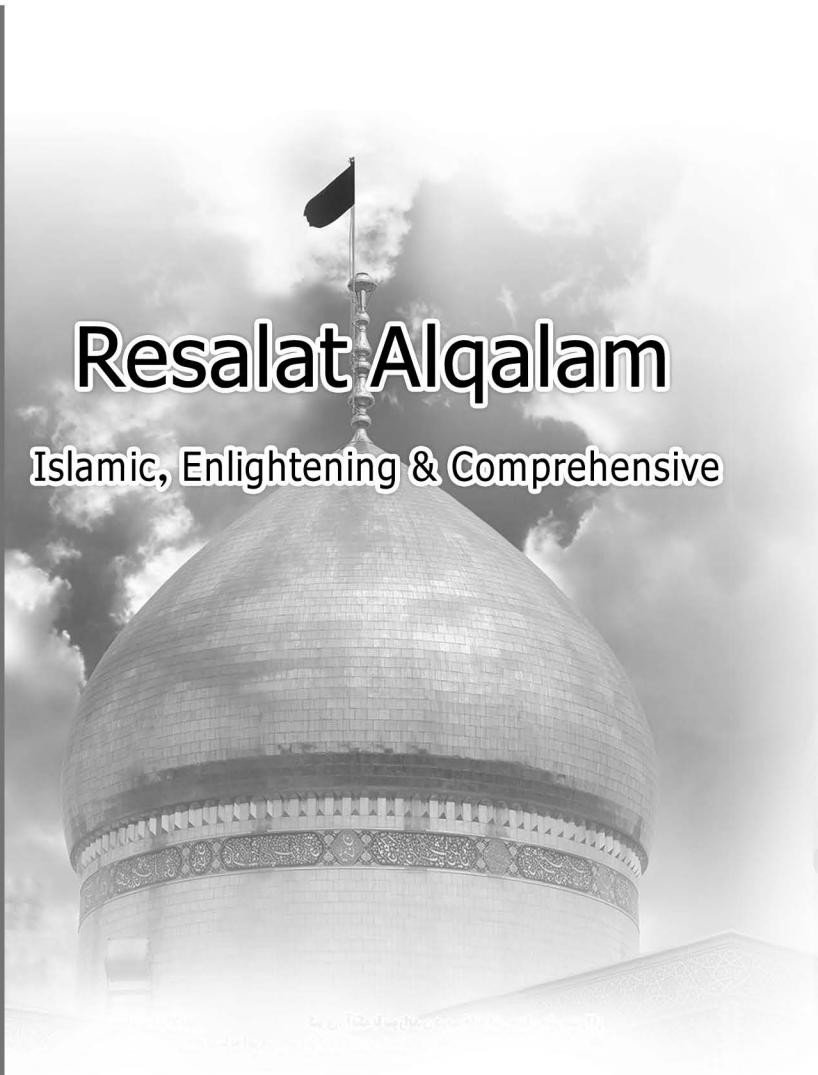


❖ متى نشأ التشيع؟ / حسن عبد الله	
القصّاب	٢٧
❖ شيعتنا / قصي الشيخ علي العربي	٤٠
❖ رجال البحرين (خير أهل المشرق) / محمد	
علي العربي	٧١
❖ التشيع.. حقائق مطوقة بالنور / علي أحمد	
الكريباردي	٩٧
❖ نظرة في عوامل الثورتين الحسينية	
والمهدوية (٢) / حسين علي أبو رويس	١١٩
❖ الدور الفقهي للشيخ البهائي / سعيد جعفر	
حمد	١٣٠
❖ إمساك المحرم على أنفه من الرائحة	
المنتنة... تحريمها؟ / علي فاضل الصدقي ...	١٦١
❖ إثبات السنن التاريخية في القرآن الكريم /	
السيد مرتضى السيد مجید السندي	١٧١
❖ فهرست الأعداد /	١٨٩





- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Abdulraoof Hassan Alrabia
- Publishing Committee:
Aziz Hassan Salman
Ghazi Abdulhassan



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom